مسائل من تاريخ الجزيرة العربية

ألفها وحققها

أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري

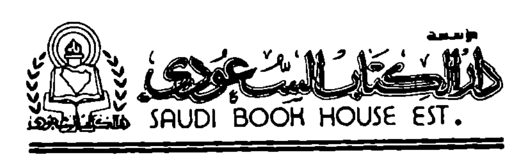
منشورات
مؤسسة دار الأصالة
للثقافة والنشر والإعلام
الرياض . ص . ب ٤٢٢٤٨

الطبعة الأولى - ربيع الأول
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

الطبعة الثانية - جمادى الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

الطبعة الثالثة - شعبان
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

الطبعة الرابعة - ربيع الأول
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م



الرياض ت: ٢٣٠٤٢١٢ - ٢٣٢١١٤٣ - فاكس: ٢٣٠٤٢١٢
ص.ب: ١٢٢٤٨ رمز بريدي: ١١٥٤١ تلكس: ٤٠٥٦٧٣ - ٤٠٠ اس جي

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات بإجمال

١ ـ المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن مصادر تاريخنا المحلي قبل ظهور طلائع الجامعات في هذا البلد مصادر ناقصة محدودة يكرر بعضها بعضاً.

وصدرت كتب لباحثين عرب أفادت من الوثائق فجاءت ثرية متميزة بمعلوماتها ككتاب عبد العزيز نوار عن تاريخ العراق الحديث، وكتاب تاريخ الأحساء السياسي للدكتور محمد عرابي نخلة وكلاهما ذو علاقة بتاريخ المملكة.

وصدر عن أبناء هذا البلد عدة دراسات منها كتاب الدكتور العثيمين عن نشأة إمارة آل رشيد، وكتاب الدكتور محمد بن عبد الله السلمان عن الأحوال السياسية في القصيم، ولعل هذين الكتابين ـ بعد أبحاث الدكتور الحميدان عن آل جبر ـ مقدمة الكتب الطليعية للدراسات التاريخية المحلية التي تكسر حاجز الجمود على بضعة مصادر يكرر بعضها بعضاً إلى رحاب الوثائق، وتاريخ البلدان المجاورة، وتاريخنا بأقلام الأجانب، والرواية الشفهية باستيعاب، والاستعمال اللامع لدلالة الشعر العامي، والتنقيب عن المخطوطات، والتوسع بمراجعة المصادر المساعدة، وتحليل الأخبار وتعليلها.

وهذا هو مطلب فقه التاريخ الذي تأخر كثيراً في مصادر نهضتنا الثقافية.

وأوعبهم مصادر الأستاذ السلمان فقد بذل جهداً غير عادي في تتبع المصادر.

ويدلل على عظم الجهد المبذول في هذا الكتاب أن مصادره بلغت خمسة وستين وخمسمئة مصدر ما بين عربي وأجنبي، وما بين مخطوط ومطبوع.

ونصف هذه المصادر من الوثائق.

والبقية مخطوطات، ورسائل جامعية لم تنشر، ورواية شفوية، وكتب مطبوعة ودوريات.

وهذه الكثرة في المصادر جاءت عن وعي بيَّنه المؤلف بقوله: «فالمصادر الرئيسية لتاريخ نجد لا يمكن اعتبارها وحدها مصادر رئيسية لموضوع البحث، فابن غنام وابن بشر في فترات تاريخيهما يعبران عن وجهة نظر أحد أطراف النزاع أو الخلاف في فترة هذا البحث، ولا بد من معرفة وجهة نظر الآخر على حقيقتها ليمكن بعد ذلك الخروج بنظرة متكاملة وعادلة عن دراسة جانب ما في فترة البحث وكذا الحال مع ابن عيسى وابن ناصر وغيرهما[1].

والقارىء السعودي يعاني أمرَّ الشكوى من جهود تاريخية لا بأس بها إلا أنها أهملت التوثيق في الحواشي وذكر المصادر آخر الكتاب.

كأن حقائق التاريخ توحى إليهم، وكأنهم أكبر من مصادر يرجعون إليها؟!.

ومن هذا كتاب صقر الجزيرة لأحمد عبد الغفور عطار.

---

(١) الأحوال السياسية في القصيم ص ز.
وقد استعمل المؤلف كلمة «رئيسية» أكثر من مرة. وذلك لحن في هذا الموضع، والصواب رئيسة ـ بدون ياء النسب ـ لأن الغرض وصف المصادر بأنها رئيسة، وليس الغرض نسبتها إلى أمر رئيس فيقال: رئيسية!!.
وانظر ص ح ـ ط عن رحلاته لجلب مادة البحث في الشرق والغرب.

وآخرون ذكروا أحياناً مصادر على أصابع اليد في آخر كتبهم وأهملوا التوثيق في الحواشي كمعظم كتب شيخنا عبد الله بن خميس.

وسبب ذلك المضي في تكرار مصادر التاريخ المحلي والقصور عن أعباء الروافد الجديدة.

ولست أقصر عيب مصادر تاريخنا المحلي على أن المؤرخ يعبر عن وجهة نظر أحد الأطراف كما ورد في تعليل الدكتور.

بل العيب انتشار الأمية الثقافية وقصور رؤية المؤرخ عن تاريخ عصره في الأمصار الأخرى الذي يؤثر في سير تاريخه المحلي، واكتفاء المؤرخ بجفاف سياق الحدث مجرداً من التحليل والتفسير والتعليل.

وبعضهم يبتر الحدث من سياقه ويهمل أسبابه ويصوغه في سياق آخر لا يخرج عن التجني واستسهال الثلب، فعلى سبيل المثال يعبر مؤرخو نجد ـ من أمثال ابن غنام وابن بشر وابن عيسى ـ عن حادثة ١١٩٦ هـ بالردة ونقض البيعة.

ولكن الدكتور السلمان ـ تبعاً لسماحة الشيخ محمد ابن مانع رحمه الله ـ يشكك في الردة والنقض.

وهكذا فعل الذكير إلا أنه كان أبلغ بياناً. قال:

«إن آل عريعر كان لهم شيء من النفوذ والولاية في القصيم فخاف زعيمهم أن يفقده بعد أن رأى خضوع القصيم لحكومة الدرعية وانتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيه.

لهذا أرسل إلى بعض رؤساء القصيم يتهددهم ويتوعدهم بأنه سيسير إليهم إذا لم يقتلوا علماء الدعوة ومرشديها الذين عندهم فاستعجل بعضهم وقتل من عنده ـ كما فعل أهل الخبراء وأهل الجناح.

ثم لما وصل خاف أهل عنيزة وأرسلوا معلميهم إلى سعدون فقتلهم.

إذن فما لهذا التهويل والتشنيع على أهل القصيم من معنى، ولم يرتدوا

عن الإسلام، فعدم دخولهم تحت طاعة أمير أو اتباعه لا يخرجهم عن دائرة الإسلام.

على أن أهل القصيم لم يلبثوا بعد ذلك إلا مدة قليلة حتى دخلوا تحت طاعة ابن سعود حينما تغلب على ابن عريعر [٢].

وإذ جعلت كتاب الدكتور السلمان مثالاً للدراسات التاريخية الرائدة، ومع علمي بأن له تعليلات نادرة، وأنه كشف عن مصادر تعليلات أخرى جهلها من سبقه من الباحثين مثل تعليله هزيمة عبد الله بن سعود رحمه الله أمام إبراهيم باشا بكشف العدو لخطته الحربية قبل بدء المعركة[٣].

إلا أنه ثمة مؤاخذات طفيفة لا ينقص من قيمة الكتاب عدم تلافيها، ولكن تلافيها يزيد من قيمة الكتاب.

فمن ذلك تعليله اتجاه الدولة السعودية الأولى إلى منطقة القصيم قبل الاستيلاء على الرياض بتعليلين[٤].

والواقع أن هذين التعليلين يضعفان بما أورده المؤلف من استنجاد أمير بريدة بابن سعود.

وإذن فلا داعي لتعليل اتجاه ابن سعود إلى القصيم، لأنه لم يتجه ابتداء من غير داع، وإنما المطلوب تعليل استجابته للداعي، وتعليل غرضه أهو: إنجاد الدريبي، أم بسط النفوذ؟

ومن ذلك اللجوء إلى الترجيح بالاحتمال العقلي قبل بذل الجهد في تحقيق النقل التاريخي.

---

(٢) الأحوال السياسية ص ١٠ ـ ٢١.

(٣) الأحوال السياسية ص ٣٦ عن مخطوطة النجم اللامع للنوادر لمحمد العلي العبيد.
وانظر على سبيل المثال ص ٤١ ـ ٥٤ عن أسباب سقوط الدولة السعودية الأولى ونتائجه، وهو من أمتع مباحث الكتاب.
وص ٢٨ عن أسباب الحملة المصرية على الدولة السعودية، وص ٢٩ ـ ٣٠ عن أسباب تنفيذ محمد علي للحملة.

(٤) الأحوال السياسية ص ١٦ ـ ١٧.

وهذا لا يصح في النقليات.

لجأ إلى ذلك في تعليل قفول ثويني وفكه الحصار عن الدرعية:

أهو لاضطراب في بلاده؟

أم لأن الدولة العثمانية أبعدته عن زعامة المنتفق؟

قال الدكتور السلمان: «ويبدو أن الاضطراب كان بسبب إبعاد ثويني عن الزعامة، وذلك للجمع بين الرأيين»[٥].

قال أبو عبد الرحمٰن: إنما مجال مثل هذا الترجيح الاحتمالي بعد تحقيق النقل عن الاضطراب الذي حدث من كتب أهل العراق، وبعد تحقيق النقل عن حادثة الإبعاد.

فإذا لم يوجد نقل محقق، أو وجد النقل ولم يوجد مرجح متعين فحينئذ يكون اللجوء إلى الاحتمال.

ومن ذلك أن يكون التعليل ناقصاً كتعليل استقلال إمارة عنيزة عن إمارة القصيم بأسرتي الإمارة في بريدة وعنيزة[٦].

فهذا تعليل صحيح ولكنه ناقص، بل التعليل بقوة نفوذ ابن سليم، وشعور أهل المدينتين وواقعهما بأنهما مؤهلتان لأن تكونا قاعدتين للقصيم.

وأفاض المؤلف في قضية هروب الإمام فيصل بن تركي من مصر، وتناول ما قاله المحققون من شكهم في مقتضى نص ابن بشر[٧].

ولعل مما يؤخذ على المؤلف غياب رأيه الصريح في الترجيح، وترك مجال الترجيح مع وجود المرجحات، وركونه إلى التوفيق بين الروايات.

وهذا ما فعله في آخر حديثه عن هرب الإمام فيصل قال: «ولو فرضنا صحة رواية ابن بشر لما كانت متناقضة مع القول بإخراج عباس بن طوسون

---

(٥) الأحوال السياسية ص ٢٢.

(٦) الأحوال السياسية ص ٢٦.

(٧) الأحوال السياسية ص ١٤٢.

له، بل ربما أنه هو الذي اتفق مع أصحاب الركائب التي نقلته ومن معه، وجعل نزوله بالحبال من أحد فرج السجون المرتفعة، وذلك من باب تغطية عمله حتى يعتقد بأن فيصلاً هرب بنفسه وبحيلة منه خاصة إذا صحت رواية من قال: إنه حبس في قلعة غرب السويس وليس في القاهرة القريبة من أنظار الحكومة.

ولهذا تذكر بعض الروايات أن محمد علي علم بهروب فيصل فأرسل قوة لإدراكه ومعهم عباس باشا، فلم يدركوه»[8].

قال أبو عبد الرحمٰن: لا بد من مراجعة الوثائق التركية، ولا بد من مراجعة بعض المختصين بها كالدكتور محمد عبد الله الزلفىٰ، وفيما أذكر أن رجوع الإمام بترتيب من الدولة العثمانية وحكومة مصر وعثمان باشا بمكة.

ويشفع تلك الوثائق مضابط من أهل نجد يطالبون بعودة الإمام فيصل.

فإذا صح كل ذلك أصبح نص ابن بشر مرفوضاً بإطلاق.

وأما دلالة الشعر العامي على تاريخنا المحلي، وتعميمها فقد لمست أثرها العظيم في أسفار كتابي (تاريخ نجد في عصور العامية/ ديوان الشعر العامي).

والشاعر العامي في المعظم الغالب مؤرخ على نهج مطوع نفي إذ يقول عن سمرهم:

سوالف بعصور جيل بأثر جيل ... تاريخ ما يجري بماضي السنين

وهذه المعالم عن تعميق تاريخنا المحلي رسمت بها مسلكي في تحرير مسائل من تاريخ الجزيرة حققتها في أوقات متباعدة، وفي النية إن شاء الله متابعة نشر ما سبق لي تحقيقه من مسائل تاريخية، و الله الموفق والمعين.

أبو عبد الرحمٰن ابن عقيل الظاهري
(محمد بن عمر بن عبد الرحمٰن العقيل)

دارة ابن حزم بالرياض ١٤١١/٥/٢٣ هـ

---

(٨) الأحوال السياسية ص ١٤٢.

٢ ـ الملك عبد العزيز[1]

لقد أذن الله لهذه الأمة في جزيرة العرب ـ بعد أعباء من الجهل وغبش في العقيدة، وغربة عن السنة، وعذاب متجدد من الفتن والتبدد والمسغبة وذهاب الريح ـ بإمام صالح راشد جدد للمسلمين حياة كريمة بالرجوع إلى الدين عقيدة وشريعة.

وذلك هو محمد بن عبد الوهاب ومن ظل قائماً على عهده من أحفاده وعلماء أمته.

واختار الله لحماية عقيدة الإسلام وشريعته (التي دعا إليها محمد بن عبد الوهاب) والدعوة إليهما وتطبيقهما في الدولة والمجتمع ملوك آل سعود رحم الله من سلف منهم، ورحم الخالف منهم وهداه وسدده.

وكان تاريخهم مديداً تعرض لهزات عنيفة عنيفة قمينة بتقويض الجذور لو لم تكن ضاربة في أعماق الولاء لدين الله وتاريخ أمة الإسلام.

فلقد أعاد الإمام تركي بن عبد الله آل سعود شباب الدولة بعد قسوة الأتراك العنيفة الظالمة.

ثم أعادها سلفية ـ مع الإبقاء على هيبة السلطان ـ الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمٰن بن فيصل بن تركي رحمهم الله ـ بعد الاختلاف وذهاب الريح.

وكل ناشىء في هذه الجزيرة يلزمه لعبد العزيز ما هو لازم للأب

---

(١) نشر هذا البحث بجريدة الجزيرة عدد ٦٥٧٠ في ١٤١١/٣/٥ هـ ص ١٧ ـ ١٩ بعنوان: ذكرى الوحدة والقائد.

والمعلم والسلطان والعالم، لأنه حكم الشرع وحرر النفوس من تديُّك أمراء القرى ومشايخ القبائل وغطرسة القوي، وأشاع التعليم ومحو الأمية، وهيأ الله له وهيأ لمن خلفه وسائل تضمن الكسب الحلال وسبل الحياة الكريمة الشريفة.

إنه يوجد الزعيم القوي وتكون قوته وبالاً على الأمة، ومأساة لمصيرها، لتخلف عناصر الإيمان والخير والرحمة والعلم والبصيرة.

ويوجد المؤمن الفاضل ولا يقوى على سياسة أهله وولده لتخلف عنصر القوة.

وكل منعطفات التاريخ تلقي اللوم على جهل الجمهور وعجز القيادة الخيرة، أو خيانة القيادة القوية.

وقبل وجود عبد العزيز كان للأمة في الجزيرة العربية دولة قائمة اختارتها الجماهير بالبيعة الشرعية لتكون منفذة وقوامة على دستورها الذي بلغه رسول الله ﷺ عن ربه، وبلغه من كل جيل عدوله إلى أن جدد تبليغه الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد أن كادت تنمحي معالمه من بعض أجزاء هذه الرقعة وبعد أن كثر كدره في كثير من أجزاء الرقعة.

وكل الأمة تعتقد وتشعر أن للأسرة حقاً واجباً من الولاء والمحبة لتحملها أعباء الدعوة واستمرارها في الصمود لها.

وسيظل حقها ديناً شرعياً ما ظلت البيعة على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ استمراراً لعهدها التاريخي الطويل المجيد.

وبعد الفتنة العمياء في عهد أبناء الإمام فيصل بن تركي رحمهم الله: خلت الجزيرة من ذي كفاءة يوحِّد الراية ويؤسس الدولة.

وإنما كانت المنطقة مراكز قوى متفاوتة السلطة والجبروت أعلاها حاكم مقاطعة ما، وأدناها أمير القرية، وأوسطها شيخ القبيلة.

وهذه المراكز في مختلف صورها زعامات قبلية فردية لم يصحبها بناء دولة وتوجُّه حضاري في ميادين الحسبة والتعليم والتجارة والاقتصاد والدفاع.

ولم تسع هذه الزعامات إلى رفع غبن الأمة فيما تعانيه من جهل ومرض وتخلف وعي سياسي واجتماعي.

وكان مقياس هذه الزعامات الانتصار في غارة قروية أو قبلية مبيرة لغير غرض من الوحدة، وإنما الدافع السلب والنهب، أو غيرة زعيم من وجاهة زعيم، أو تجديد ذحول وثارات.

ويتموج في الجزيرة ذوو فروسية وشهامة يعدلون الموازين بإذن الله ولا يقاس فارسهم بألف من غيرهم.

ولكن هذه الفروسية كانت شراً ووبالاً، لأنها أعادت سيرة الجاهلية الأولى في النهب والسلب وقطع الطرق والإخلال بالأمن، وكانت الدماء الزكية تراق هدراً.

وكان مقياس التجمع اعتزاء عشائرياً دون شعور بانتماء الأمة الواحدة والأخوة الإسلامية المقدسة.

وسبب كل ذلك جهل الرعية وغياب القيادة القوية المؤمنة التي توظف هذه الحيوية الفروسية لبناء الدولة.

ويتردد على الألسن وفي الكتب أن عبد العزيز جاء من الكويت ليسترد ملك أجداده.

وهو حق تاريخي بلا ريب، وهو باعث من بواعث مغامرة عبد العزيز بلا ريب أيضاً.

ولكنه لم يكن كل الحق، وليس هو أم البواعث ولا جميعها.

ذلك أن لدينا ظاهرة تاريخية حكمت تصرفات عبد العزيز طيلة بنائه للدولة خلال نصف قرن.

وهذا المبدأ يترجم نوايا عبد العزيز وبواعث مغامرته.

هذا الإطار الذي حكم تاريخ عبد العزيز ترجم لنا أن مبدأ عبد العزيز الإيمان بعقيدة ثابتة لم تتغير طيلة حياته، وهي باعث مغامرته.

فهذا تصرفه من خلال إيمانه.

وبدأ مغامرته وهو يملك عقلاً حضارياً موهوباً يؤمن بتعدد صور المواجهة والمعاناة ولا يجمد على نمط، ولكنه لا يختار صورة غير فاضلة وإن شرفت الغاية.

فهذا تصرفه من موهبته.

إذن ليس الباعث الوحيد لمغامرته أن يسترد حقاً تاريخياً لجده فيصل أو أعمامه أو أبيه عبد الرحمٰن رحمهم الله.

ذلك أن من عايشوا عبد العزيز ـ وهم أشياخ من العوام رجال صدق وفطرة لا يعرفون الترويج الإعلامي ـ يشهدون أن عبد العزيز في أعظم الأزمات يستخير ربه بعلمه ويستقدره بقدرته، ويشرط في دعائه لربه أن يكون فيه صلاح للإسلام وأهله ورحمة للأمة.

فليست هذه صفة من باعث مغامرته استرداد ملك أجداده.

ويشهد تاريخه رحمه الله أنه لم يأب الصلح قط إذا عرض عليه وإن كان في مركز القوة.

مع أن الصلح يرهقه بالتزام العهد لمن لا يسره أن يتسامح معه.

ثم لم يؤثر عنه قط أنه خاس بعهده.

بل إنه في غير حالات الصلح والمعاهدة يقدم جانب العفو والتسامح، ولا يلجأ إلى العقوبة ـ في أكثر الأحوال ـ إلا بعد النكث وتكرر المخالفة.

وليست هذه صفة من يثأر لحق تاريخي.

إن الحق التاريخي ـ الذي يصرح به الملك عبد العزيز نفسه أحياناً ـ مجرد مناسبة تاريخية هيأت لعبد العزيز المغامرة للمطلب الأسمى، وهو أن يزيل عن أمته غبن الجهالة والتخلف والمرض والفروسية الممزقة وتديك الزعامات الجزئية، ليكون لهذه الأمة دولة ذات رقعة واحدة وجيش واحد.

إنه في إيمانه تلميذ أمين لعقيدته ليس عنده ما يبتكره في دين ربه لأن دين الله اتباع لا ابتداع.

فجمع أمثل علماء الوطن وأشعرهم بواجبهم في ولاية الأمر، وحملهم واجب تخصصهم العلمي والتزم لهم ولأمته أن يكون منفذاً لما يقضي به النص الشرعي أو الإجماع المعصوم أو الاجتهاد الراجح أو شورى ذوي الحل والعقد في النائبة الجزئية.

مع أنه كان مثل أحدهم فقهاً في الدين، ولكنه تفرغ لما لا يقوى عليه غيره من تحقيق الخير للأمة بعد جمع شملها.

لم تكن انتصاراته العسكرية التي فجرها في أنحاء المملكة غزو زعيم عشائري أو حالم بالسلطة ـ كما هو الواقع في البيئة الممزقة التي جاء لتوحيدها.

وإنما كان يصحب تفجيره العسكري عقل حضاري ووعي بأحداث العالم من حوله، فكان يشفع كل انتصار عسكري بأهداف الانتصار ذاته وهو المعطيات الحضارية والواجب الديني من فتح المدارس والمصحات وتنظيم الشؤون المالية والإدارية والفنية والقضائية والتنفيذية وتوظيف الفروسية الممزقة لبناء الدولة وإقامة الأمن وإشاعة العدل وحفظ الحقوق العامة والخاصة، واستبدال الكسب الحرام من النهب واللصوصية بالرزق الحلال من استثمار الحرف والمواهب والمهارات وإيجاد الفرص.

وقد عاين ألطاف الله تصحبه ـ رغم ضعف قوته العسكرية في كثير من المواقف ـ فتحقق له بذلك اللطف الإلهي والقوة والعلم والإيمان وكل ذلك منحة من ربه.

ولكنه كان يعلم أن أعمار الأمة المحمدية بين الستين والسبعين وهو لن يبقى معمراً للأمة، ويخشى عليها انتكاسة كل مجتمع يسوده التخلف والجهل.

لهذا كان تمدين الأمة وتعليم ناشئتها والتدرج بهم من مستويات التعليم المختلفة وتوجيه فروع العلم حسب اختلاف الميول بما يضمن الوعي العلمي بكل حقل في محيط حاجة الأمة الراهن، وفي نطاق تطلعها إلى ما ستشرف عليه من رقي الأمم الأخرى.

كان ذلك كله هو شغله الشاغل، وهو ما تفرغ له كلياً بعد استراحته عسكرياً على قلة ذات يد وضعف في الموارد.

وفقهه في دين الله، وعقله الحضاري، ومواهبه: كل ذلك جعله يقف موقفه القوي المؤمن دون تزمت ترفضه سماحة الدين ودون تسيب تأباه عزائمه.

فكان رحمه الله والداً ومربياً ومعلماً لكل فرد من أفراد هذه الأمة فبفضل الله أولاً وقدرته ثم بما منحنا إياه من بركة عبد العزيز وعزائمه: أمنت سبلنا ونعمت أسرنا بالراحة النفسية ورغد الرزق وزالت عنا ظلمة الجهل والتخلف ووجدت الفرص لكل عامل بحسبه.

وتهيأ لكل فرد أن يتربى شعوره بالأمة العربية الإسلامية الواحدة، ومثل هذا الشعور كان قبل عبد العزيز مفقوداً، إذ كان الشعور قبلياً كما أسلفت لكم.

إن ما نعيشه الآن من نعمة في الدين والرزق والمال والعرض والنفس والتنمية هو الحق التاريخي الصحيح الذي حفز عبد العزيز على المغامرة فاتخذ استرداد ملك أجداده مناسبة ظرفية.

والذين خبروا واقع الأمة العربية والإسلامية منذ ثورة نابليون حتى الآن: يعلمون علم اليقين أن حق عبد العزيز التاريخي هو ورقة العمل الرابحة لكل صلاح منتظر في أجزاء العالم العربي والإسلامي.

وورقة العمل هذه التي خط عبد العزيز سطورها بحروف من نور هي بناء دولة صحيحة في عروبتها قيمة على دينها ومصالح أمتها.

إنها الدولة المتسمة بالثبات في تاريخها وعقيدتها مع تجدد عقلها الحضاري وعطائها الإنمائي.

قال أبو عبد الرحمٰن: نبحث جزئية من مسألة الحق التاريخي، لنرى كيف كان مجرى ذلك الحق في الأحداث، وتلك هي إنقاذ الملك عبد العزيز للأحساء من أطماع الحلفاء.

ففي آخر سنة ١٣٣١ هـ نشرت مجلة لغة العرب مقتطفات من مقابلة أجراها إبراهيم العبد العزيز الدامغ مع الملك عبد العزيز رحمه الله وكانت نشرت في الدستور كاملة.

وموجز معناها من نص كلام الملك عبد العزيز وبلسانه نفسه ما يلي:

١ ـ أن الإحساء حق تاريخي اغتصبته الدولة العثمانية.

٢ ـ أنه انتزع من دولة مسلمة (أحيت دعوة السلف) بغير حق.

بينما النفوذ الأجنبي ممتد على السواحل المجاورة، فكيف تؤخذ البلاد من دولة مسلمة ويترك للنفوذ الصليبي الأجنبي حريته.

قال أبو عبد الرحمٰن: بل هي أمثل دولة مسلمة.

٣ ـ اختل الأمن بولاية الأتراك وعمت الفوضى وصارت الغلبة لقطاع الطرق وتظلم الأهالي يُرفع إلى مقام الولاية، فلا يُسمع له صدى.

٤ ـ أن الأهالي طلبوا من عبد العزيز مراراً أن ينقذهم فأضرب عن طلبهم إذعاناً للدولة وإن كان يسوؤه تردي أوضاعهم.

٥ ـ جاءته مضابط تحمل توقيعات الأهالي.

ونص العلماء والوجهاء لعبد العزيز: «إن لم تسعفنا نضطر إلى ما لا تُحمد عقباه».

وخلال ذلك كان إعلان الدولة بتخليها عن خليج العرب وسواحله.

قال أبو عبد الرحمٰن: كانت الثعبان العجوز بريطانيا تفغر فاها لالتقام منطقة الخليج.

٦ ـ **النتيجة**: سرح عبد العزيز موظفي الإمارة التركية حتى وصلوا إلى بلادهم محافظاً عليهم دون أن ينالهم

ويقول عبد العزيز: فهذه هي الأمور التي ساقتني إلى ما أتيت، فقدمت الأهم على المهم، وسرحت موظفي الإمارة محافظاً على حياتهم بدون أن ينالهم أذى.

وعليه إذا أنعم النظر رجال الدولة المخلصون في هذه المسائل وفكروا

في مآلها أحسن التفكير وأعطوا لكل ذي حق حقه ولاحظوا الأمن الضارب أطنابه في البلاد وتثبتوا مما انتشر من مرافق العمران بين العباد: حبذوا عملي هذا.

ولا سيما إذا علموا أني قطعت دابر الأشقياء والمفسدين وحقنت دماء الأهلين وبسطت أروقة الراحة بين العالمين[٢].

قال أبو عبد الرحمٰن: من ألقاب عبد العزيز الكثيرة عند أهل نجد: سطام، ولطام، ومعزي، ونايف، وأخو الأنور، وأبو الليل وأبو الليول وأبو المساري.

لأنه خمسين عاماً يذرع الجزيرة بالسرى ليلاً، وأكثر فتكاته بياتاً وفي عام ١٣٣١ هـ سرى أبو الليل سراً بثلاثمئة من منتخب رجاله!!.

وقطع مسافة خمسة أيام في يوم ونصف يوم، وهلك بعض رجاله وبمنتصف الليل أناخ ركابه خارج سور الكوت في الهفوف وتسلق برجاله خلال سلالم أعدها الأهالي كآل القصيبي.

وأخذوا من الجنود الأتراك سلاحهم وهم نائمون.

واعتصم موظفو الأتراك بالمسجد فأمنهم عبد العزيز على أن يرحلوا إلى البصرة من طريق العقير.

قال أبو عبد الرحمٰن: لست ها هنا بمعرض التاريخ لتوحيد الأحساء مع أجزاء الجزيرة.

وإنما غرضي مصداقية مثل عربي استشهد به الملك عبد العزيز في خطابه التاريخي في ١٣٤٧/٥/٢٢ هـ في افتتاح الجمعية العمومية في الرياض.

استشهد في هذه الخطبة على صدق نواياه بالمثل: السيرة تبين السريرة.

---

(٢) مجلة لغة العرب ٢٧٣/٣ ـ ٢٨٤.

إنني آخذ ومضات عن مصداقية هذا المثل، فأجد أول ما أجد أن تربية عبد العزيز ليست تربية أعرابي عاش على النهب والسلب لا يهمه على أي شيء كان قاتلاً أو مقتولاً، ولا يعبأ بحسن الخاتمة.

وإنما هو ابن أسرة حاكمة عربية سلفية عاش في حضانة المشايخ وتفقه في دين ربه.

ومعلوم بالتجربة أن من نشأ هذه النشأة لا تساوي عنده الدنيا كلها أن يغامر من أجلها فيموت ميتة جاهلية.

ونجد أن الملك عبد العزيز غامر وباغت في آن واحد.

ومن أمهات المغامرات فتحه للأحساء، وقبل ذلك فتحه للرياض.

فهذا مؤشر ـ يكذبه الواقع أو يصدقه فيما بعد ـ على أن لعبد العزيز مطمحاً في توحيد الأمة، وإعادة الحكم بمنهج السلف.

وهو أمر إن مات دونه فهو شهيد، ولهذا سهلت عليه المغامرة.

لقد حدثني أخي الدكتور محمد عبد الله آل زلفة ـ ولجهلي بلغة أجنبية كثيراً ما كنت أستخبره ـ بأن الملك عبد العزيز محل إعجاب في الكتابات الأجنبية، وأن سيرته لندرتها ترتبط بالأسطورة عند الغرب.

قال أبو عبد الرحمٰن: هذا صحيح بالنسبة للموهبة الجسمية والعقلية للملك عبد العزيز ينظرون إلى جانب القوة والقدرة والكفاءة واللياقة والموهبة.

وهذه أمور يشاركهم في الإعجاب بها ابن الجزيرة العربية المسلم إلا أنه ينفرد بالإعجاب بطيات السريرة الخيرة التي أثمرت بإذن الله دولة مسلمة وتعليماً وتحضراً وأمناً.

وأجد ثاني ما أجد أن لمعالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بحثاً عن منهج الملك عبد العزيز لا يستغني عن الإحاطة بقضاياه كل من أراد ممارسة تاريخ الجزيرة منذ أصبح من الضروري الانتقال من الحدث التاريخي إلى فكر الحدث وفقهه.

ويؤكد هذا البحث وغيره أن مغامرة الملك عبد العزيز لم تكن لاسترداد حق تاريخي بإطلاق، وإنما هو حق تاريخي مقيد بأنه بيعة شرعية يكون فيها الحاكم منفذاً والعالم مبيناً، والشرع حاكماً ومهيمناً فكانت عقيدة التوحيد، وسلفية السيرة وما ينبثق عنها من حماية الأمة من الفوضى بإقامة الأمن والتوحيد على الهدف، ومن تحقيق مصلحة الأمة كتهجير البدو ونشر التعليم... كانت هذه الأمور كلها هي هم عبد العزيز وهي عطاءه البكر بعد ضم أي رقعة إلى المملكة الأم.

إن عبد العزيز لم ينتدب الخبراء ليستشيرهم في صنع منهج أو دستور أو ميثاق.

وإنما كان منهجه معه واقعاً وبيئة، وتنشئة وإرثاً.

لقد جمع أهل العلم وحملهم مسؤولية البيان.

وهو يصدر عن حس أصولي ففي خطبته الآنفة الذكر قال: «ولكل من تكلم بالحق منكم فله عهد الله وميثاقه أنني لا أعاتبه وأكون ممنوناً منه، وأني أنفذ قوله الذي يجمع عليه العلماء، والقول الذي يقع الخلاف بينكم فيه أنتم أيها العلماء فإنني أعمل فيه عمل السلف الصالح إذ أقبل منه ما كان أقرب إلى الدليل من كتاب الله وسنة رسوله أو قول لأحد العلماء الأعلام المعتمد عليهم عند أهل السنة والجماعة.

إياكم أيها العلماء أن تكتموا شيئاً من الحق تبتغون بذلك مرضاة وجهي فمن كتم أمراً يعتقد أنه يخالف الشرع فعليه من الله اللعنة.

أظهروا الحق وبينوه وتكلموا بما عندكم».

قال أبو عبد الرحمن: فالملك عبد العزيز يملك الحس الأصولي إجمالاً ويملك كثيراً من تفاصيله.

وما لم يتفرغ للتخصص فيه يناقش فيه أهل العلم بعد استشارته لهم.

وثالث ما أجد أن حرية الرأي ـ بأي شكل كان شعارها ـ ليست غريبة عن البيئة، فالمجتمع القبلي نفسه يقوم على مشورة شيوخ العشيرة وشعر العرب وحكمتها مليء بذلك.

وديننا أمر بالشورى ونظمها، والملك عبد العزيز رحمه الله يطلب من رعيته حرية الرأي من منطلق التنظيم الشرعي للشورى.

ففي الخطبة الآنفة الذكر نص بأن لا يخاصم أحد أحداً في رأيه.

وفي خطبة له بمكة طالب كل فرد بـأن «يقول ما يعتقد فيه منفعة».

نعم إن السيرة تبين السريرة، ولو كان عبد العزيز ناشد ملك فحسب وطـالب ثأر فحسب: لكـان يلتمس منهجاً وضعيـاً يتنفس كمـا يشتهي من خلاله.

والواقع أنه جمع العلماء وحملهم مسؤوليتهم، وفتح المحاكم الشرعية وأعلنها سلفية.

والشرع يمنع من الظلم والنزوات ويقدم مصالح الأمة.

وإنما غامر عبد العزيز بإقامة دولة يحكمها الشرع، لأنه لا ينوي الظلم وإنما يخالف الشرع من ينوي الظلم كما أشـار إلى ذلك معـالي الدكتـور التركي.

ويلاحظ أن الدولة العثمانيـة في أعقاب خـلافتها الإسـلامية ارتكبت وفرضت ما لا يرضي الله من أمور تخالف سيرة السلف ومعتقدهم.

وهي أمور أشار إلى بعضها الإمام سعود بن عبد العـزيز بن محمـد رحمهم الله.

وجندت عامياً أمياً جلفاً من صنائـع الدونمـة هو محمـد علي ودعيَّه إبراهيم.

وهو الذي جرأ الدولة الصليبية على الخلافة، وفتك ـ بإسم الخلافة ـ بأهل الدعوة في الجزيرة، وعطل معالم الشريعة.

وكان حكمها للأطراف حكم جباية أمـوال فحسب، ومع هـذا فكان موقف عبد العزيز من الدولة ـ رغم كل تلك المظالم ـ موقف من تحكمه العاطفة نحو تاريخ الخلافة قديماً.

وقد تبين علي فؤاد باشا في مذكراته ثمرة موقف عبد العزيز الحيادي

في الحرب العالمية الأولى بأنه كان في صالح الدولة.

وبين أن عبد العزيز قريب من المراكز البريطانية مما يجعله دوماً عرضة لانتقامهم.

قال أبو عبد الرحمٰن: ولو كان عبد العزيز صاحب ثأر فحسب لكانت فرصته أن لا يحايد، ولكنه رحمه الله لا يبيع دينه بدنياه.

قال أبو عبد الرحمٰن: أخطر تاريخ للأمة العربية، وأرهفه حساً تاريخها الحديث وما قبيله من عصور ضعف بني عثمان.

ولكن أخصبه حساسية وخطورة هو ما بين ١٩٥٦ م و ١٩٦٧ م وما بعيده من أعوام!!.

في فترة الأحد عشر عاماً الأولى تجلى عنفوان الطموح العربي وأصبح كل منبر يُلَوِّح عليه خطيب عملاق الذراعين، واحدة تجذب أقصى المحيط، والأخرى تدفع طرف الخليج.

وكاد العربي يبطش بالبلاغة العربية في خيلائه وتحديه للقوى العالمية الضاربة في البحار والأجواء.

وتجسد مجد القبيلة في مجد الدولة، فقد كان الزعيم العربي إذا غضب غضب له مئة ألف سيف، ورأينا الخطيب إذا غضب غضب له ما ينيف على أربع عشرة راية تحتها ملايين السيوف.

وانقسمت المشاعر على ثلاثة أنحاء: مشاعر قسم أصيل المعدن صادق الولاء عظيم الاعتقاد بأن المجد العربي لا يموت.

ولا عيب فيهم إلا حسن النية المطلق وغرة الكريم والتزام زاوية واحدة للرْؤية والإيمان الراسخ بحتمية التجربة الجديدة وأنها المخلص.

اختاروا الإعلام في الوطن العربي الأم راوية واحدة للرؤية والسماع.

لم يدر بخلدهم قط أن الإعلام يمعن في التغرير بهم، ويبالغ في اختلاق المكاسب وتهويلها.

ولم يخطر ببالهم قط أن ما يرونه قشة تطفح على جانب التيار.

ولم يعادلوا قط معادلة حسابية بين الهتاف الإعلامي الكلامي عن نسيج الميثاق وأخوة القومية ومبادىء الإشتراكية وأثر ذلك في التحام الأمة. . . وبين الواقع العملي من تمزق في الصف وتناحر على السلطة وحلم كل رويبضة بالتحرك.

وأحصى الدارسون يومها أن خسائر وفوادح التقلب على الكراسي كلفت ما لم تكلفه مواجهات عسكرية ـ لو وجدت ـ مع عدو مشترك. وأهدر إذلال الزنزانة ومخاوف التغريم والتشريد كفاءات ومواهب علمية قامت وتقوم عليها بعد الله قدرة الأمة.

وفي فورة الحماس الأعمى للأخوة القومية نسي هؤلاء أن هذا أول تجربة عربية على الأرض العربية بعد أمجاد التاريخ الإسلامي، وأنها لا يمكن أن تكون تجربة صحيحة لأنها خلاف سنة التاريخ، ولأن الأخوة القومية افتراض عقيدة وليست ممارسة لعقيدة واقعية، وأن رقعة العالمين الإسلامي والعربي منحة إسلامية وليست إرثاً قومياً، وأن القومية قبل التجربة العربية من تدبير الكواليس، وأن الأمم التي مزقتها القوميات سابقاً لم تغنها قوميتها وبدأت تجتمع إما على مبادىء أيدلوجية وإما على استحياء دين صوري، وإما على منافع تحليلية.

ونسي هؤلاء الخيرون أن القومية التي تحمسوا لها أعظم خطراً سيسمع دويَّه الأمم بعد أحداث عام ١٩٦٧ م، لأن الولاء للأخوة القومية مشروط بفصل الدين عن الدولة والحياة. . أي العلمانية.

ونسي هؤلاء أن منطق القومية العربية لن يكون أقوى من منطق الأقليات.

ونسي هؤلاء أن منطق القوميات المفترض ليس ألصق بالقلوب من منطق الأديان الممتزج باللحم والدم.

ونسي هؤلاء أن دعاية القومية أوجدت الأحقاد والطائفية في الصف العربي، وأن البيوت المتخذة للعبادة ذات النواقيس أصبحت تستعمل ترسانة للأسلحة منذ ذلك الوقت.

والعربي البليد يلمس بيده اليوم الانشقاق الطائفي العابث بقدر الأمة في مختلف أجزاء الرقعة.

ونسي هؤلاء أن قائد الأمة ومعلمها ﷺ وهو أصح الأمة نسباً وأصرحها عروبة - نهى عن دعاية الجاهلية، وأنه لا خير في تجربة حذر منها شرعه.

ونسي هؤلاء أن الرقعة بلد المسلمين، وأن دينهم مثالي علىٰ خلق عظيم يضمن حق المواطنة للأقليات الطائفية والدينية.

ونسي هؤلاء أن الاستسلام للقومية استسلام لمغالطة المنطق للدول المنتصرة التي اقتسمت تركة الخلافة الإسلامية!.

ومنطق هؤلاء - فيما تحكمه مصالحهم إذا كان المتحاورون متكافئين - ترك سياسة الرقعة لأكثريتها وجذرها التاريخي.

والمشاعر الثانية مشاعر قسم يرى بقلبه ما لا يراه الآخرون بعيونهم... إلا أنهم قلة مستضعفون مغلوبون على أمرهم آيسون من جدوى التضحية وإن كان بعضهم آثر أعواد المشنقة لعلمه أن الكلمة لا تضيع كالإمام سيد قطب رحمه الله.

وهؤلاء سمعتهم التاريخية في تصحيح الأوضاع عام ١٩٥٢ وفي محاربة المحتل فيما بعد ذلك.

وتقنع وتلفع بأمجادهم من أعدوا إعداداً معقداً للتلاعب بالأمة وظلوا يتلاعبون بعواطفها إلى أن وصلوا إلى الحضيض الذي هم فيه اليوم فكانوا يوصفون في أحلك الأزمات بغزلان الصحراء.

وفي عقيدة هؤلاء أن العرب لم ولن يفلحوا إلا بإمامة نبي الثقلين ﷺ.

ورأى هؤلاء أن فتنة التقدمية وروح العصر حق أريد به باطل لأن التقدمية التي تلزمهم إنما هي تحقيق الحرفة والمهارة التي تكون مصدراً للرزق وشغلاً للعاطل.

وبتحقيق العلم المادي الذي يحقق لها الاعتبار في كون الله ويحصل

لها حظها الدنيوي الذي نهيت عن نسيانه، ويضمن لها ـ بإذن الله ـ القوة العسكرية عوضاً عن رباط الخيل لتحمي العدل والأمن والكرامة وتنصر المستضعفين في الأرض، وتعز منهج الله الذي اختاره للبشرية جمعاء.

وعلم هؤلاء ـ ذوو الذكاء والزكاء ـ أن الاستسلام للغالب في قوته وفكره وسلوكه ودعايته لن يحقق شرط التقدمية، لأن الدول الغالبة أقوى وأذكى في إقامة الحاجز.

وإنما حصل بالاستسلام عفن التقدمية من إغراق في المتعة والفضول وشهوة الجدل وحياة غير طبيعية لا تترك فرصة للمرء لكي يفكر، وأوشاب من المظهر في الزي والمأكل والمشرب والملبس لا تتحملها فطرة العربي الذي يسد رمقه يوماً ويجوع يوماً، وفي دينه أن حسبه من حياته لقيمات يقمن صلبه.

وفي الرقعة ملايين التقدميين وليس فيهم من يحسن صنع إبرة أو منقاش!!.

ورأى هؤلاء أن شرط وجودنا من التقدمية لا يتحقق إلا بالتجمع بدعاية الإسلام في الإرث التاريخي للمسلمين من الرقعتين، وأن الاستغناء بموارد ومواهب العالمين العربي والإسلامي يحقق كتلة ثالثة تزن المعادلة في أرض الله وتكبح جماح الاستكبار العالمي على منهج الله.

والتقدمية المشروطة تأتي تلقائياً بعد هذا.

ورأى هؤلاء قباحة النفاق في كل مصير متجدد، فعلى سبيل المثال ما نُعِيَ قبل عام ١٩٥٢ م من ترف ومجون ومداهنة للغالب ليس أسوأ من لصوصية ما بعد عام ١٩٥٢ م.

وأحد هؤلاء اللصوص باغتته كارثة الأمة عام ١٩٦٧ م وكانت له القيادة وهو في غاية الانقياد لملذاته مع بقية الرفاق.

وكل المتغيرات بعد عام ١٩٥٢ م لم تثبت لنا ـ ولو مرة واحدة ـ أن هناك شيئاً واقعياً اسمه «اللاانتماء»!!

ما رأينا قط إلا الانتماء المستسلم الأرعن، إلا أنه انتماء يُعمَّى عنه بالمغالطة والسفسطة والتضليل الإعلامي.

وعلمنا قبل المتغيرات قيادات عريقة في تاريخها رزينة في تصرفاتها ثقيلة الوجود على الساحة، وكان انتماؤها وفقاً لمصالح أمتها وظروف ضعفها وانتهاج أحلى الأمرَّين مع شهامة وكبرياء جريحة، ولو ملكوا الحظ السعيد لكانوا أغير على مصالح أمتهم.

وهؤلاء يتفادون كثيراً من المصالح المؤقتة الزائلة، وكثيراً من الشهرة والتطبيل خوفاً من أن يكون انتماؤهم فوق الحاجة.

وأيقن هؤلاء الخيرون بجدوى شرح وجهة النظر الإسلامية رغم الإرهاب الفكري للتضليل الإعلامي وصبروا على قاموس الشتائم ابتداء من الرجعية وانتهاء بأصحاب الفضيلة في صيغة السخرية، ولم يغررهم تقلب الدين كفروا في البلاد لعقيدتهم بأعباء الضياع مستقبلاً، وبأن الكلمة لا تضيع، وبأن الأمة ستحن لدينها على الأنقاض، وبأنها ستمد أعناقها إلى المورد العذب كظِماء الإبل، وأن أكثر من تجربة فاشلة مغتصبة على الرقعة لن يلغي عودة إرادية جماعية إلى طبيعة الوجود العربي، وهو الوجود المشروط بالإسلام.

والمشاعر الثالثة مشاعر قسم تشملهم دائرة القومية العربية المموهة إلا أنهم أقليات يدينون بطائفية عرقية ودينية، وهم يعلمون أن انتصار القومية أنسب لهم من انتصار الإسلام، ولكنهم مع هذا يخافون أن تحقق القومية العربية وجوداً عربياً متلاحماً، ويعلمون أن الحماس للقومية لحظة سكرة سيتبعها لحظة فكرة، ومن ثم لن يجد المنتمون إلى القومية إلا ما هو شرط لوجودها، وهو عودة الإسلام للدولة والحياة.

لهذا انقمعوا وتواروا وتظاهروا بالقومية والوطنية، وهم لا يضيعون انتهاز أي فرصة للإفساد والتفريق.

فلما كانت نكسة عام ١٩٦٧ م ظهرت وجوههم القبيحة على حقيقتها ولم يكن موقفهم من النكسة موقف المتحمسين الأولين الذين فقدوا طعم

المذياع والجريدة، وحطَّمت الهزيمة إرادتهم، وأنفت كبرياء بعضهم من التراجع عن أجواء المناخ المخدر.

وأكثرهم لم يجعل الهموم السياسية قضية، وإنما انصرف إلى ما يشغل وقته وموهبته من تثقف عام، أو تخصص في فرع ثقافي، أو تجارة أو لهو، أو احتراف السخرية والتشاؤم.

ولم يكن موقفهم من النكسة موقف المتنورين الآخرين الذين عمرت الصحوة الإسلامية عقولهم وقلوبهم، ونعوا جيل الهزيمة نعي الأب لعقوق أبنائه، وكان ألمهم عتباً وتحسراً وكانوا يترقبون في كل لحظة المناورات الفكرية والسياسية بقناع آخر، ويثقون بعد الله بقدرة الجيل اللاحق على قلب الموازين بعد صحوة الفكر ويقظة الضمير.

كان موقف هؤلاء الطائفيين من النكسة موقف العدو الشامت المتشفي اتخذوا النكسة جسراً للاستهزاء بدين الأمة وتاريخها وتحطيم ثوابتها.

ومجدنا التاريخي في هذه الجزيرة لا يتخلى عن العروبة وهو دوحتها، ولكنه يؤمن بها بشرطها، وذلك الشرط إنما هو الإسلام تاريخاً وسلوكاً.

في يوم الخميس ١٣ صفر سنة ١٣٦٥ هـ كان الملك عبد العزيز رحمه الله في مصر فقال مخاطباً أعضاء الوفد المكون من مشايخ العرب في مصر الذين قدموا للسلام عليه بقصر الزعفران:

«إن جامعة الدول العربية ليست بنت اليوم، فقد فكرنا فيها منذ زمن بعيد، وقد كان يعرف ذلك أخي المرحوم أحمد الباسل كما يعرفه البشير السعداوي».

وإذا أعلنها عبد العزيز: فإنما يعلنها عن أهلية أولاً، وعن تجربة صادقة ثانياً، وعن رؤية شاملة ثالثاً.

فأما الأهلية فعبد العزيز من أرومة الأمة العربية نسباً وبلداً ومنشأ وتربية.

وهو الذي وصل المنقطع من تاريخ دولة مسلمة صميمة العروبة

والمنشأ ذات سبق في توحيد العرب تحت راية الإسلام.

وهو ذو الإجماع التاريخي على مواهبه العقلية وخصائصه التي تتوزع عناصرها في عدد من المرموقين، وقلما انطوى عليها إهاب واحد.

والندرة في اجتماع الخصائص من أميز ملامح العبقرية.

وأما التجربة فقد فجر الجزيرة العربية ـ وليس فيها غير عربي ـ طيلة نصف قرن بانتصارات لا تزال الأمة تجني مكاسبها.

فقد انتهت آحاد الحكومات وعشرات الإمارات واتحدت في دولة واحدة.

ووجه هذا القائد العظيم فروسية العرب التي تريق الدماء في الرمال للنهب والسلب والنخوات القبلية فجعلها جيشاً منظماً يحمل أعباء وهموم أمة.

وقبل توحيد عبد العزيز للجزيرة وبعد نتائج الحرب الأهلية بين أبناء الإمام فيصل بن تركي رحمهم الله مر بنجد ـ بل بالجزيرة ـ فترة من الإمارة المستتبة، ولكن لم يعايشها تفكير حضاري.

أما عبد العزيز الذي يعايش أبناء شعبه بفكرهم ولهجتهم العامية أحياناً فقد كان ينطلق من عقل حضاري، وكل ما فجر انتصاراً عسكرياً شفعه بتفجير حضاري ابتداء بتهجير البادية وتعليمهم تعليماً ابتدائياً وانتهاء بإيجاد مناخ في رقعتنا العربية القاحلة الأمية إيجاداً تفجر عنه الوعي الثقافي والوعي بالعمل في كل مرفق من مرافق الحياة.

وليس الطريق أمام عبد العزيز مما يظن أنه قابل للتعبيد، فقد كان يعتوره تزمت غير الواعين أمام كل عمل حضاري، ولكن تمكنه في الفقه الإسلامي ومعرفته بالأحكام الشرعية مكن له جلالاً في المنطق وقوة في الحجة.

وكل من في الجزيرة يعرف أنه لا دعاية لعبد العزيز غير دعاية الإسلام يتكيف مع ثوابته ويستثمر موهبته ومشورة ذوي الرأي في التكيف الحضاري

وفق سعة الإسلام ويسره ووفق ما جعله الإسلام لاجتهادنا في شؤون دنيانا.

فمن كل هذا الواقع إضافة إلى تبصر علماء الشريعة الذين حملهم عبد العزيز أكثر الأعباء التي هي من شرط الدولة الإسلامية - استطاع أن يزيل التزمت من النفوس بالحجة والإقناع حتى حولهم إلى خلايا حية.

ولا تقاس الجزيرة بأي دولة عربية عرفت شيئاً من الوعي الثقافي كمصر التي عرفت الحضارة منذ عام ١٧٩٨ م، وفي أقل من نصف قرن بدت جزيرتنا وكأنها تدل بخبرة قرون طويلة، ولهذا لا يعتقد أبناء الجزيرة أن عبد العزيز ملك كالملوك عبر في حياتهم وطويت صفحته مشكورة لحفظه النظام وإقامة العدل فحسب.

إن هذا أقل منَّة يعترفون بها لعبد العزيز، والمنة لله أولاً.

أما الأهم فهو أنهم يعتبرونه أستاذاً لهم فلولا الله ثم عقل عبد العزيز الحضاري لكان من المتوقع أن نظل على حرف آبائنا البدائية وعلى أميتهم وعاميتهم.

وهم يعتبرونه أباً حنوناً لأن إقامته للأمن الذي تلاشى نهائياً ورده للحكومة الإسلامية إيجابيتها، وإتاحته فرص العمل للكادحين كل ذلك جعل لكل أسرة بناء كريماً صحياً شريفاً.

وهم يعتبرونه باعث طمأنينة للأمة على رأس القرن الرابع عشر بعد طول ضياع وعذاب، وهذا من المبشر به في الشرع عمن يجدد للأمة أمر دينها، وعن قيام طائفة على الحق منصورة.

ففي نصاب الشرع فعبد العزيز رجل علم وعمل، وكون الحاكم عليماً بأحكام الشرع ذو أثرعظيم في صلاح الأجهزة ومراقبتها، ولهذا كان الفقه في الدين من أهلية الحاكم في الفقه الإسلامي.

وأما الرؤية فكان عبد العزيز ذا وعي تام بأعباء الأمة الواقعة وراء جغرافية دولته، التي لا يملك لها إلا ما يملكه الشقيق الذكي من بث الوعي والتبصير.

والعروبة والوطنية في تفكير عبد العزيز نتيجة حتمية إذا كانت الدعاية للإسلام حيث لا يفلح عربي إلا خلف نبي.

وأصدق نجاح للعروبة والوطنية ـ منذ أُتخمنا بهذي الشعارين ـ هو هذه النتيجة لما جدده عبد العزيز من عهد الدولة الإسلامية.

فعروبة الجزيرة أخلص عروبة عرفت لصفائها من خليط العرق والمذهب.

ووطنيتها أصدق لأنها دولة واحدة، وجغرافية واحدة، وتاريخ واحد، وبيئة واحدة.

وواقعها هو المعقول لواقع القومية والعربية، لأن الولاء للإسلام وأهله هو المعيار لصحة العروبة، ولأن الصدق في جعل الإسلام واقعاً عملياً هو المحك لصدق الوطنية.

فحرارة الولاء للوطن بقدر ما يكون دار إسلام.

لقد عمل عبد العزيز للوحدة العربية منذ عام ١٩٤٢ م وتبادل الزيارات مع حاكم مصر لهذا الغرض، وعبر عن غبطته باجتماع رضوى في خطاب وجهه إلى شعبه في يناير سنة ١٩٤٦ م.

وعصر عبد العزيز أسوأ ظروف العرب، وهو ربيع حياة عبد العزيز في توحيد الجزيرة والنهوض بها، ومع سوء الظروف خارج خريطة الجزيرة فقد أبقى التاريخ لعبد العزيز الصدق والحصافة في مشاركاته السياسية تجاه مفهوم الجامعة، وقضية فلسطين، وسوريا الكبرى.

ولا يزال يذكر له التاريخ شرف الموقف ونزاهة النية حيال أعباء الأمة وقضاياها.

وقد ذكرت لكم أن اجتماع الخصائص مقياس الندرة في العبقرية، وهذا ملمح جذاب لكل من تناول تاريخ عبد العزيز من عربي وأجنبي فهذه الجاذبية جعلتهم يعبرون بأسلوب أدبي فني بعيد عن جفاف المؤرخ لا سيما الذين شاهدوه من الأجانب.

واحتواء الشخصية الجذابة بمثل تلك الأساليب الفنية يعني صدق الواقع الذي يُنطق الأصم.

اسمعوا ما قاله الرحالة الإنجليزي كنت دليمز:

«ومن النادر أن تجد رجلاً تجمعت فيه المزايا التي تجمعت في عبد العزيز:

فهو جندي موفق ظافر.
ومصلح مبدع مبتكر.
وتقي ورع صالح.
وإنساني لطيف مهذب.
وجواد سخي سمح.
وراسخ وطيد متين.
وذكي حذق لبيب.
وشجاع جريء مقتحم.

وفوق كل هذا نبيل في تواضعه، نبيل في احتشامه[٣].

ورؤية عبد العزيز التي أسلفتها ـ المنبثقة من نشأته وتاريخ أجداده ـ أعلنها في وقت مبكر إعلان الفقيه المجتهد ـ فقال ـ رحمه الله، وجزاه عنا خيراً ـ في تموز سنة ١٩٢٤ م مخاطباً وفداً من علماء الهند: «أعترف أمام الله وأمام كل المسلمين بأني لا أريد إلا العودة إلى دين الإسلام الصحيح البعيد عن العقائد الوثنية التي ليست من الإسلام في شيء.

وإننا نعود في كل شيء لأحكام القرآن الكريم وللسنة، ونحاول أن نعيش كما عاش الخلفاء الراشدون.

وكل ما نطمع فيه أن يتحد العلماء المسلمون اتحاداً قوياً متيناً وأن يخضع العالم الإسلامي خضوعاً تاماً لأحكام القرآن والسنة».

إن عبد العزيز داخل دولته وخارجها جمع بين حسن العمل وحسن

---

(٣) ابن سعود سيد نجد وملك الحجاز ص ١٤ ـ ١٥.

النية والطموح، ولقي رباً كريماً جواداً رحيماً لن يبخسه عمله وندعو الله أن يضاعف أجره، وأن يعامله بإحسانه.

وكان رحمه الله من رواد الجامعة الإسلامية منذ المؤتمر الذي دعا إلى عقده بمكة المكرمة في حزيران سنة ١٩٢٦ م.

ومن المألوف ـ في تفكير العصر فضلاً عن الواقع العلمي ـ: أن عنصر الأخلاق في السياسة ضعيف جداً.

ولكن التاريخ شهد بأن عبد العزيز يأسره شرف الكلمة ووازع الخلق والدين، فقد كان كريماً مع جيرانه وفياً لمعاهديه يصبر صبر من منحه الله القدرة حتى يبلغ العذر.

صبر على ما لا يرضيه التزاماً بما أمضاه على نفسه من عهد ووعد في مصالحات الحرب، وأرجأ حسم بعض المواقف والمعكرات رجاء صلاح الحال.

رحم الله عبد العزيز، وأعظم مثوبته، ونور ضريحه، فقد كان الملك العادل، والمصلح الرائد، والأب الشفيق والمعلم الناصح.

نذكر الملك عبد العزيز فنقول عفر الله له ورحمه الله.

وهكذا نقول حينما نذكر سعوداً، وفيصلاً، وخالداً رحمهم الله وغفر لهم.

وكل من يذكر عبد العزيز في هذه الرقعة يحمل له في قلبه منَّةَ الأستاذ والأب وولي الأمر العادل الحازم.

لأنه حمل هموماً عربية ووطنية بدعاية الإسلام وشعاره، بعقلية الحضاري ـ بلغة العصر ـ وبرهان الصدق على محبة هذا الإمام وأنجاله أن يقال: غفر الله لهم، أو رحمهم الله.

سواء أكانت الكلمة من كاتب أو مذيع من أفراد الرعية أو من أفراد ذوي المسؤولية!.

أما كلمة «المغفور له عبد العزيز» أو «المرحوم» فكلمة تشتد إغاظتها

لي بمقدار ما تشتد محبتي للملك عبد العزيز رحمه الله.

والسر في ذلك أن الملك عبد العزيز وغيره من خيار الأمة وصلحائها في ذمة ملك الناس ومالكهم جل جلاله، ولا نضمن قبول دعائنا لهم إلا إذا دعونا بمظان الإجابة دون أن نتألى على الله.

والتألي على الله قد يؤذي الميت ويؤذينا نحن لعظم حقه علينا، فلولا الله جل جلاله خالق الأسباب ومسببها ثم الملك عبد العزيز لكان من المحتمل أن لا تتحد بلادنا، وأن لا تأمن سبلنا، وأن لا نتعلم، وأن لا يكون عيشنا راغداً. فحقه علينا أن لا نتصنع أمام المخلوق بما يرضيه فنقول متألين: المغفور له، أو المرحوم.

وإنما حقه علينا أن ندعو له بدعاء نرجح أنه سيقبل إن شاء الله منا وذلك بصيغة الدعاء لا الخبر.

إن غفر الله له، ورحمه الله دعاء وابتهال.

أما المغفور له والمرحوم فحقيقتها الخبر وتكون مجازاً للتفاؤل.

ومع أن رسول الله ﷺ - وهو لا ينطق عن الهوى - شهد لأناس بالجنة كأبي بكر وعمر.. وأهل بدر.. وعكاشه.. والحسن والحسين... إلخ فلم يؤثر عن علماء المسلمين طيلة أربعة عشر قرناً أنهم قالوا: قال المغفور له أو المرحوم أبو بكر رغم شهادة المعصوم له.

وإنما كان السلف صادقين في دعائهم فروا عن صيغ التألي إلى مظان الإجابة وهي الدعاء والابتهال.

ووالله أيها الأحباب إن حق عبد العزيز يوشك أن يكون قريباً من حق خيار الأمة لأن الله جعله سبباً لأبناء الجزيرة ينعمون بخير ما أحياه لهم من تطبيق دين ربهم وسيرة سلفهم.

فخيره لنا رضي الله عنه خير مباشر، ومن سن سنة حسنة فله أجرها ومثل أجر فاعلها.

ولسنا نحصي الأجيال التي عملت بما أحياه لها عبدالعزيز من دين ربها.

إننا حينما نقول «غفر الله له» أو «المغفور له»: لا نمجد حياً وإنما ندعو ونبتهل لميت.

فإن قلنا: «المغفور له» أو «المرحوم» فربما ضرب الله بكلماتنا وجوهنا وقال: من ذا الذي يتألى عليّ؟!

ونكون بهذا تملقنا الحي بما لا ينفع الميت.

أما طريق الدعاء الصحيح فهو أن نقول: غفر الله له، ورحمه الله.

وثقوا أيها الأحباب أن دعاء المسلم إذا صدر من قلب صادق بالدعاء المشروع دون تجوز فإنه حري بالإجابة!!

إن غرضنا من الدعاء أن ينتفع به الميت فنتحرىٰ أسباب الإجابة وليس الغرض تملق الحي.

وربما تفلسف متفلسف وقال: إن أهل نجد وهم أهل فطرة يقولون: (هذا ولد المرحوم) وهذا بيت المرحوم.

يريدون رحمة الله.

فأقول: هم لسلامة دينهم معذورون مأجورون أجراً واحداً لا أجرين لأنهم يتفاءلون ويضمرون المشيئة، وربما قالوا: المرحوم إن شاء الله فيعود الخبر دعاء.

وربما قالوا: «المرحوم» الله يرحمه.

وليست الحجة في عمل عوام نجد رحمهم الله، وإنما الحجة في الشرع وسيرة السلف.

وقد نهانا ربنا عن التألي عليه.

لهذا أرجو أن توجه أجهزة الإعلام ورقابة المطبوعات إلى مراعاة هذا، لأن الدعاء من مصلحة الميت وحقه، وليس تملقاً للأحياء.

وأعود إلى تكرار يحلو عن الملك عبد العزيز ألخص به بعضاً مما سبق فأقول: اسمه عبد العزيز بن عبد الرحمٰن بن فيصل بن تركي بن

عبد الله آل سعود رحمهم الله.

وظيفته إمام المسلمين وجامع شملهم، وموحد بلادهم بعد عذاب طويل من التفرق، والتديُّك والفقر والمرض والجهل والخوف وكثرة اليتم والناعية في حروب غير مقدسة ونهب ولصوصية وحيافة.

دوخ الغربيين إعجابهم به فحسبوه أسطورة!!

وهو بدوي في مأكله ومشربه وحديثه، لأن قومه هكذا كانوا.

ولكنه بقامته الفارعة يضيء بعقل حصيف، وتوثبات حضارية، ووعي محنك بالمتغيرات الحضارية والعالمية.

كان إذا ضم إلى الصف رقعة أو قبيلة ربطها توّاً بالتعليم والحرفة والتجنيد، وهيأ لها ـ بإذن الله ـ ما قدر عليه من وسائل العصر المادية وأطاع ربه باعتبار شرع الله قيماً، ولهذا جمع أهل العلم وحملهم الأمانة، وحول بقية أجهزة دولته إلى جهات تنفيذية.

ندعو له كما ندعو لوالدينا، وكما ندعو لمشايخنا ومربينا ومعلمينا وكما ندعو لقادتنا وذوي الإصلاح فينا.

ذلك أن أجيالنا قبل إغاثة الله لنا به تشققت راحاتها وأقدامها بحرفة مكدودة من رعي أو احتطاب أو ضرب بالمرزبة.

وهي حرفة لا تغني من فقر، ولا تكاد تسد رمقاً، ولا خطر لها في تقدم علم، أو محو جهل، أو مكافحة وباء.

وبفضل الله نلنا العلم على غنى، ونلنا الغنى أو الكفاف على أمن وراحة.

كل ذلك بفضل الله، وإنما جعل عبد العزيز سبباً.

وكنيته أبو تركي.

وعزوته: أخو نوره أو أخو الأنور.

ويصفونه بأبو الليول، وأبو المساري لأنه أكثر من نصف قرن يذرع

الجزيرة طولاً وعرضاً ليفجر انتصارات أمته.

وسواء كانت إغارته بياتاً أو شروقاً فهو يمتطي لها سواد الليل.

قال أبو عبد الرحمٰن: ولا أخلي هذه المناسبة من حديث عن عبد العزيز والشعر، فقد تحدث المؤرخون والدارسون عن علاقة عبد العزيز بالشعر فصيحه وعاميه.

فأما فصيحة فلا يستغرب تذوقه له وحفظه أو استشهاده بما يناسب واقع الملك والسلطان، لأن ماضي هذه الأسرة تلاحم بين السيف والقلم.

قبل أن يتولى عبد العزيز الأول كان من أنجب تلاميذ الإمام محمد بن عبد الوهاب.

وهكذا كان سعود الأول من كبار العلماء، وهكذا كان الإمام فيصل بن تركي رحم الله جميعهم.

والشعر الفصيح ربيب العلم.

وهو ابن أسرة ممدَّحة بالشعر، وهو أيضاً ممدوح بنفيس الشعر منذ ابن عثيمين إلى الغزاوي[٤]، وتهدى إليه نفائس النسخ من الشعر ويسمعه العجيري أطايبه.

وبعض الدارسين يفرح إذا وجد للملك عبد العزيز استشهاداً بمثل قول ابن المقرب:

تجاف عن العتبى فما الذنب واحد.

قال أبو عبد الرحمٰن: أكثر من ذلك ليس بمستكثر.

وقد ذكر بعضهم قول الشاعر الفصيح:

لمعت نارهم وقد عسعس الليل (م) ومل الحادي وحار الدليل

---

(٤) للأستاذ عبد القدوس الأنصاري رحمه الله تعالى كتاب الملك عبد العزيز في مرآة الشعر.

وأورده من اهتبل علاقة عبد العزيز بالشعر الفصيح، وهو الأستاذ عبد العزيز الأحيدب في كتابه عن الملك عبد العزيز.

والبيت مطلع قصيدة صوفية لأبي محمد عبد الله بن القاسم الشهرزوري أوردها ابن خلكان في ترجمته.

ومن ها هنا ـ والظن أكذب الحديث ـ أشرف شيخنا عبد الله بن خميس على هذه القصيدة ولاحظ بعض معانيها في قصيدته التي مطلعها:

لو أباحت بما لديها الطلول   أي شيء تبينه لو تقول

إلا أنني قرأتها في ديوان الشيخ بمغايرة ـ تعديلاً وحذفاً ـ لما سمعته في الإذاعة وقرأته في الصحافة.

وكان ذلك بين يدي الملك فيصل بن عبد العزيز رحمهم الله بعد انتهاء طريق الرياض ـ الحجاز.

ومما قاله الشهرزوري:

فرموا نحوها لحاظاً صحيحات (م) فعادت خواسئاً وهي حول

وهي قصيدة عامرة يحبها أهل الذوق والوجد في بعض الأرياف العربية.

قال عن نار أهل التصوف:

وهي تعلو ونحن ندنو إلى أن   حجزت دونها طلول محول

وورد هنا الوصف مصادفة في قصيدة لمصطفى جمال الدين سمعتها بصوته الأغن يصف لبنان قبل الأحداث:

والسماء الزرقاء تدنو وموج (م)   البحر يعلو وبينهن الجنان

وأما عامي الشعر فذلك أقرب تسلياته على ضخامة همومه.

والشعر العامي مذياع الأمة يومها وصحافتها ومبضعها ومقصلتها يخفض الله به قوماً ويرفع به آخرين.

وكما يتحدث عبد العزيز مع وافد صحفي بلغته، وكما يتحدث مع محنك أو مستشار سياسي بلغته يتخاطب أيضاً مع رعيته بلغتها (أدب الشعر العامي)، ومن رعيته جنده وخاصته.

قال أبو عبد الرحمٰن: وللشيخ منديل حديث عن نافع بن فضلية وشعره يكمل الدراسة عن علاقة عبد العزيز بالشعر، وفيه شيء من شعر عبد العزيز لم يطبع قبل ذلك(٥).

وقد درست في كتابي ديوان الشعر العامي وفي شرحي لمجموع محبوب شعر الحداء وبينت سهولته لأنه على حمار الشعر الرجز، وبينت أنه يشارك في جيده من لم يشتهر بالشعر كابن هندي(٦).

والحداء كله ذو مناسبات حربية يتعلل به عبد العزيز رحمه الله وجنده قليل العدد والعدة ما بين راجل ورديف وراكب.

وكثير من الحاضرة عدته نصلة سيف أو فتيل، وجراب تميرات في غير يسر.

وكثيراً ما قابلهم فرسان مدربون أهل جولة ورماية.

فمن تأمل هذا التاريخ المستضعف المنتصر عَلِم عِلْم اليقين أن هناك عناية ربانية دالة على صدق نية القائد ورعيته.

ولهذا فابن المملكة لا يتحدث عن عبد العزيز حديث الصحافي المفتخر بكفاءة وطنية نادرة، ولو فعل لحقَّ له ذلك.

وإنما يتحدث حديث من جعل الله حياته الراغدة الآمنة نتيجة وثمرة لكفاح عبد العزيز، إذ جعله الله لأمننا سبب وحدة وأمن ورخاء وعلم ووعي وأخذ بالأسباب الحضارية، والمتحدث كهذا الحديث يُسقط عبارات الإطراء وألقاب السلطان ويعوِّض بالترحم والترضي والدعاء.

---

(٥) من آدابنا الشعبية/ الطبعة الثانية ١/٥٩ ـ ٦٠.

(٦) انظر ديوان الشعر العامي ٣/٩ ـ ٣٣ ومن أشعار الدواسر ١/٢٢١ ـ ٢٤٦.

وللملك عبد العزيز رحمه الله مساهمات في الشعر العامي وله أحديات، وإنما طبع له نتف فرح بها الدارسون كأبياته في هيت وكمعابثته لشلهوب والقصيبي وابن جبر[٧].

وهناك أحديات عديدة للملك عبد العزيز رويتها عن الأمير محمد الأحمد السديري رحمه الله، ونقلتها من كراساته، وكل ما لم أحل إليه ها هنا فهو من كراساته.

ومن أحديات الملك عبد العزيز التي لم ترد في كراسات السديري قوله سنة ١٣٣٠ هـ وقد هم بمهاجمة الأحساء:

يا هجر يا زين النبات لا تحسبينا هاربين
إن طول اللّه بالحياة لا بدنا لك راجعين[٨]

ومما كان يتمثل به عبد العزيز دائماً قول الحادي:

ما يسلم إلا اللي يعيل والمنسدح كل وطاه

والأحديات شعار الفرسان، والزعماء والقادة تنقاد لهم كلمات الأحدية ووزنها بعفوية كما تنْقاد للخطيب أسجاعه ومزدوجاته.

ومن اللازم استحضار تلك الأحديات لأنها جزء من تاريخه.

فمن ذلك أحديته بعيد معركة جراب بعد انتصاره ورغم خيانة حصلت من بعض العربان في مؤخرة جيشه:

عيوا يطيعون النصايح وانا عن البوق أتدرىٰ
ياللي تريدون المدايح ما خير الاعقب شرا[٩]

---

(٧) ينظر عن بعض شعره وحدائه كتاب عبد العزيز في التاريخ للشيخ حمد الحقيل ص ٨٣ ـ ٨٤ ومن شيم الملك عبد العزيز للمارك ١٠١/٣ ـ ١١٨.

(٨) حداء الخيل ص ١١٩ عن كتاب من شيم العرب ١٠٣/٣ إلا أنه قال: زين البنات... جينا إليك راجعين.
وكل ذلك تطبيع وخلل في الوزن...

(٩) وردت بكراسات السديري رحمه الله، وأوردها الأستاذ أحمد فهد العريفي بكتابه حداء الخيل ص ٢١ رواية عن المارق: عن السديري.

قال أبو عبد الرحمٰن: البوق الخيانة، وهي فصيحة.

ومن ذلك قوله يودع الرياض بعيد معركة الصريف:

يا دارنا لا ترهبين لا بد ما نرجع عليك
أعطيك أنا العلم اليقين لو ننتحي لازم نجيك

وفي ذلك الظرف أيضاً قال:

من نجد ما جانا خبر ينقل لنا علم الحريب
لا بد من يوم حمر والشمس من عجه يغيب

وفي أحداث سنة ١٣٢٥ هـ قال رحمه الله أحدية منها:

يا غرسة حدر النفود والعمر يرخص دونها

ثم قال يخاطب آخرين:

قولوا لسكان الحيود بالهرج لا يطرونها

وقال مشجعاً جيشه:

عيب على اللي يركب المشوال ولا يروي الرمح الطويل
ما كل من ركب الفرس خيال إن نهضن رهم الشليل

قال أبو عبد الرحمٰن: الشليل طراد الخيل، والرهام صوت للفرس أقل من الصهيل.

وله في أحداث سنة ١٣٣٠ هـ أحدية لامية بوصل الهاء، والقافية الأولى على الفاء.

وقال متحفزاً قبيل احتلال الرياض:

يا نجد ما جانا منك رد علوم واليوم أنا شفق على المسناد
قالوا مريح قلت لنا المهموم حتى نقرر للنضا ميعاد
نركب على اللي نيهن مردوم وان روحن مثل القطا الشراد

وقال: يتوجد على أبناء عمه وهم عضده وجبهة اللقاء الأمير سلمان بن

محمد بن سعود بن فيصل بن تركي آل سعود، والأمير سعود الكبير بن عبد العزيز بن سعود بن فيصل بن تركي آل سعود رحم الله جميعهم:

بالعون ما ودي حدر سلمان   وسعود حماي البليد

وقال في أحداث سنة ١٣٢١ هـ أحدية مطلعها:

الديرة اللي لج فيها البوم   عقب القرابة قلت فيها حداة

وله أحدية في مناسبة خاطب فيها أخويه محمداً وسعداً مطلعها:

يا حيف يا خطو الولد   وش عاد لو يلبس زبون

ويقول:

نادوا محمد مع سعد   قولوا يجون ويركبون

وله أحدية يجيز فيها أخاه الأمير سعداً مطلعها:

ردوا له العلم الوكيد   كسب الثنا عاداتنا

وقال في إحدى مناسبات الحرب الطويلة:

مهبول يا قايل قضت   توه عمر دخانها
يطرد بها ورع صغير   وخيل بظهور حصانها(١٠)

وقال في أحداث سنة ١٣٢٥ هـ أيضاً أحدية منها:

أنا معي طب الغشيش   والله لنا عون وسند

قال أبو عبد الرحمٰن: ومن حاشية الملك عبد العزيز وخاصته فهاد الحلاج حادت به جواده في منطقة السر في إحدى المعارك ولم يسيطر على جواده إلا بعد عناء لكبر سنه مع أنه فارس مقدام، فمازحه الملك عبد العزيز بأحدية منها:

---

(١٠) أوردها السديري في كراسانه، وأوردها العريفي في حداء الخيل ص ٢٠: عن المارق: عن السديري، وذكر أنها بعد فتح الرياض، وعنده: يلحق بها.. خيل بقطي.

خلىٰ نياقه عقب شوف العين ما به ردى إلا علة الشيبان

ولقد قارضه فهاد بقوله:

الغوج رديته بتال الخيل يوم ادبحن الخيل بالفرسان
لعيون من ريحه زباد وهيل شامت عن الجاهل تبا الشبان

وفي أحد مساري الملك عبد العزيز طيب الله ثراه ليفجِّر نصراً جديداً قال:

حنا كما نمر إلى منه عدا والنمر ما تومن دغايله
نمشي لصاحبنا قدا واللي يحايلنا نحايله

قال أبو عبد الرحمٰن: هذه تغني عرضة وحداء.

وقبيل الملحمة في روضة مهنا قال عبد العزيز أحدية منها:

عدوكم قدامكم لا بد من علم يصير
أما لهم وإلا لكم عاداتنا نروي الشطير

وبعد العودة أنشد لأهل الهجن قصيدة منها:

اليا ركبنا على الضمر الحرب نحمي مشاهيبه

وله أحدية مطلعها:

قولوا لابن متعب نبيه فوق النضا والمكرمات[11]

وله أيضاً ومطلعها:

يا نايم تحت العريشة يا ناسف فوقه ذرا[12]

وله ثالثة مطلعها:

يا سرية ما تستريح دون الحدود مصالية

---

(١١) هي كاملة في كراسات السديري وحداء الخيل ص ١٩.

(١٢) وردت في الكراسات، وحداء الخيل ص ٢١.

وهي في أحداث سنة ١٣٢٥ هـ، وقال في هذه الأحداث أيضاً أحدية منها:

يومك تتقى بالعريش والشرف ما فكيتها[١٣]

وقال في أحلك الظروف أحدية منها:

كل تتقى ما بغى الناموس قرب الحريب وقلوا الخلان

وقال:

يا سابقي حرم عليك شبو الحصان اللي عريب
بالبر أنا بارهي عليك ما دام أبو متعب حريب[١٤]

وقال:

الغوج رديته بتال الخيل يوم ادبحن الخيل بالفرسان
لعيون من ريحه زباد وهيل شامت عن الجاهل تبى الشيبان[١٥]

وقال:

أحب العافية وأشريها وأسوق عمري والدبش[١٦]
واللي عصوا عذالهم رديت لرقاب النمش[١٧]

وقال:

حنا إلى ركبت عراب الخيل وتقاحص الفرسان قدام وورا
شهب عليها من ذياب الليل فرسان خيل ما تباع وتشترى[١٨]

---

(١٣) وردت في الكراسات، وفي حداء الخيل ص ٢٢.
(١٤) حداء الخيل ص ٢٠.
(١٥) حداء الخيل ص ٢٢.
(١٦) الشطر الأول منكسر، والخلل من الرواية.
(١٧) حداء الخيل ص ٢٣.
(١٨) حداء الخيل ص ٤٢.

٣ ـ من تاريخنا الثقافي

تحدث حافظ وهبة عن سقوط الدولة السعودية الأولى فحدد أسباب سقوطها بقوله:

«١ ـ كانت الدولة مستندة إلى القوة العسكرية أكثر من استنادها على القلوب، والدعوة الدينية لم تتمكن بعد من قلوب الناس، فقد كانت الثورات تشب من وقت لآخر لطرح الحكم السعودي لا سيما في البلاد البعيدة عن نجد كعسير وعمان، ولذا فقد وجد محمد علي باشا ونفوذه المجال واسعاً في جزيرة العرب.

٢ ـ تحرش سعود بالأتراك والمصريين بإشارة غالب ونصائحه، والأتراك أهل الخلافة ويهمهم المحافظة على لقب خادم الحرمين الشريفين.

فهل يصبرون على عربي ينزع منهم الحرمين الشريفين ويحول دون حجهم؟.

إن هذا أكثر من ثورة ضدهم، لذلك لم يكن لهم يد من إلقاء هذا الحمل على محمد علي باشا بعد فشل باشا بغداد وباشا الشام في تأديب هذه الفئة.

ووالي مصر يهمه أيضاً بسط نفوذه في الحجاز، لأن ذلك يتفق مع مطامعه الواسعة ويشهر اسمه في العالم الإسلامي»[1].

ولما ذكر أسباب السقوط هذه ذكر العوامل التي لو أخذ بها لحالت دون السقوط بإذن الله فقال: «إني أعتقد لو أن سعوداً اقتصر في الدعوة على

---

(١) جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

جزيرة العرب وترك الحج حراً للأتراك والمصريين، ولم يمس الناحية الحساسة في الترك (وهي السيادة على الحجاز) ما اهتم الأتراك بأمره، فقد مكثت جزيرة العرب مدة طويلة ونار الفتن تأكل الأخضر واليابس.

بل لقد كان الحجاج الأتراك والمصريون عرضة للنهب وللقتل في كل ناحية حلوا بها في الحجاز، وكانوا يحتملون هذا ويعدونه من الأعمال الطبيعية.

وأي فرق في نظر الأتراك بين آل سعود والأشراف؟.

الفريقان من العرب وأفضلهم من يحتفظ بسيادة الأتراك ولو اسمياً مع نشر الأمن والمحافظة على سلامة الحجاج وتوفير وسائل الراحة لهم»[٢].

ثم عرج حافظ وهبة على موقف علماء نجد من أسباب السقوط وعوامل البقاء فقال: «أما بعض علماء القصيم فيحملون تبعة ما وقع على نجد من تخريب وتدمير على أيدي الحملة المصرية على آل الشيخ، لأنهم كانوا المسيطرين على السياسة الموجهين إلى الأمراء باتباعها، فهم الذين أملوا عليهم خطة الشدة والعداء العام لسائر الناس.

أما آل الشيخ فيدفعون هذه التهمة عنهم طبعاً بالطعن على هذا الصنف من العلماء، وبممالأة أهل القصيم لوالي مصر وترغيبهم إياه لغزو نجد وتمهيدهم السبيل لذلك، وهم ينسبون ما وقع عليهم من المحن إلى الذنوب والتقصير، والله قد يبتلي عباده المؤمنين بشتى المحن»[٣].

قال أبو عبد الرحمٰن: هي ثلاثة مواقف بعد كارثة محمد علي باشا وابنه إبراهيم الظالمة التي سحقت بلدان نجد:

الموقف الأول: موقف من يرون شهر الدعوة في الداخل والخارج، ولا يبالون بأحد، وعندهم الثقة بنصر الله لهم مهما كان خصمهم سواء أكان الدولة العثمانية أم بريطانيا العظمى ـ والعظمة لله ـ.

---

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٤

(٣) المصدر السابق ص ٢٣٤.

وهذا مذهب جمهور طلبة العلم وعامتهم، وبعضهم لا وعي له بالقوى المؤثرة في السياسة العالمية خارج حدود نجد، بل ربما توهَّم أن كل قوة خارج نجد فهي مكافئة للجيش النجدي على أكثر تقدير، ثم تَرْجح عليهم بالإيمان والتوكل.

فالمأخذ على هذا الموقف: إما التغاضي عن الأسباب المادية المنظورة، وإما قصور الوعي السياسي.

والموقف الثاني: موقف من يوازنون بين حركة الدعوة والمناخ السياسي.

وهذا الموقف يبدأ من ولي الأمر الذي يعلم قدرات رعيته وقدرات القوى السياسية التي تسيِّر مجريات التاريخ.

ويشع هذا الوعي لدى خاصة ولي الأمر من العلماء ذوي الفقه في الوقائع، وفي الأحكام الشرعية معاً.

وتولد من أهل الموقفين أناس لا يحسبون على العلماء إلا بالمجالسة، والفقه في العمومات، وهم من يعرفون بالمطاوعة: أي ذوي حالة وسط بين العلماء والعوام.

والموقف الثالث: موقف من ذكرهم الأستاذ حافظ وهبة ممن يرى الحد من سلطة المشايخ خوفاً من كارثة أخرى ككارثة إبراهيم باشا.

ولكنهم انتهوا بآخرة إلى جفاء وتجانف عن الدعوة وحماتها آل سعود، مع الدعاية السافرة للدولة العثمانية حالة سقوطها عسكرياً وعلمياً، والدعوة إلى الانتماء لأشراف مكة عمال تركيا.

وإنما اشتهر من هذا التيار بآخرة ابن عمرو.

وأما من سلف ذكرهم من أنصاف المتعلمين (المطاوعة) فكانوا يحفظون المنظومات الوعظية وفيهم جهل وتزمت وجفاء وليست عندهم سياسة الدعوة إلى الله بالحكمة، ويفتاتون على الدولة في تغيير ما يرونه منكراً بأيديهم من ناحية إسبال الثياب ويشددون في أمر العمامة، ويحيفون على

المشايخ ذوي الحل والعقد ويرونهم مجرد موظفين رسميين مداهنين.

وعندهم تساهل في التكفير يكفرون جماعات وبلداناً بأعيانها.

واستشرى ضرر هذه المواقف منذ الفتنة بين الإمامين الأخوين عبد الله وسعود ابني الإمام فيصل بن تركي رحمهم الله إلى معركة السبلة الفاصلة.

وهذا أمر طبيعي في تاريخ البشر، فكل كارثة يتبعها عادة الشتات في الرأي حتى توجد قيادة حكيمة قوية تحزم الآراء لصالح الوحدة كما فعل الملك عبد العزيز رحمه الله.

وأعتبر آثار ابن سحمان أهم مصدر لما عنيته آنفاً لا سيما أنه أدرك عهد الفتنة، والعهد الرشيدي، وعهد الملك عبد العزيز رحمه الله إلى سنة ١٣٤٩ هـ.

بل هو مصدر للمعركة العلمية بين ورثة علم السلف وأهل البدع.

فلقد رد على العاملي في كتابه الحجج الواضحة، ورد على بابصيل في كتابه المبدي، ورد على الزهاوي في كتابه الضياء الشارق، ورد على أناس من أهل البحرين في كتابه الشبهتين وكتابه كشف الأوهام، ورد على الحداد في كتابه الأسنة الحداد، ورد على عبد الكريم البغدادي في كتابه كشف الشبهات، وله عدة ردود على ابن عمرو، وردود على أناس من أهل الأحساء حول الاجتهاد والتقليد ترتب عليها معارك شعرية بين ابن سحمان وبينهم هم وتلاميذهم[٤].

ورد على أناس من أهل البحرين حول مناسك الحج وحكمتها، ورد على من أنكر الجهر بالذكر عقب الصلاة الجهرية، ورد على العلجي نثراً وشعراً حول زعم العلجي إنكار أهل نجد وصف الرسول ﷺ بالسيد، وله ردان على صاحب جريدة القبلة، وهما تعرية لدعواه بأن أهل نجد ذوو جفاء عن رسول الله ﷺ.

---

(٤) يوجد الرد مخطوطاً بجامعة الملك سعود برقم ٨١٤ مجاميع، وانظر أيضاً المجموع المفيد من رسائل أهل التوحيد. ودارة الملك عبد العزيز وثيقة ٦٥.

وآثار ابن سحمان أهم مصدر لأصحاب الموقف الأول.

وقطب الرحى لأنصاف المتعلمين ابن بطي رحمه الله، وهو أحد أفراد كانوا ذوي تأثير بالغ شديد في الوعظ يبكون القوم بادية وحاضرة، ولم يكونوا متمكنين في العلم، وإنما كانوا ذوي صلاح ومجالسة وحفظ للنظم الوعظي، فجنحوا إلى التشديد عن حسن قصد، وإلى التحريم والتكفير في كثير من الأمور عن جهل، وكانوا سبباً في غلو البادية، يضربون الشخص إن طال ثوبه لأنه مسبل، ويضربونه إن زاد في تقصيره لأنه عُرْيٌ وشهرة، ويهجرون لأدنى سبب، ومن هجروه مسكوا بجيبه حتى يرد عليهم ما سمعه منهم من سلام بجملة: رد علي سلامي!!.

وكانوا يحكمون على بعض المصنوعات بأنها سحر، ويوجبون لبس العمامة، ويحرمون العودة إلى البادية، ويرون الدين سكنى بيوت الطين.

قال شاعرهم العامي:

يا لله يا للي هديت الناس وهمه منول شياطين[٥]
عقب ركب النضا الكناس يبنون في لين الطين

ولا ريب أن غلواء معركة السبلة ترسبت عن تربية هؤلاء، وقد تعب الملك عبد العزيز رحمه الله تعباً شديداً في اختيار المرشدين الذين يواجهون أهل الهجر بالعقيدة الصحيحة والسلوك الصحيح، وقام العلماء بتحرير خطاباتهم المشتركة في توجيه القوم.

وقد كان الشيخ ابن سحمان بارزاً في هذا الميدان، يكاتبهم، ويشارك العلماء، ويستقل بردوده، ويشاركه بعض العلماء بتقريظ ردوده.

ومن ذلك تقريظ مشايخه له في الرد على ابن بطي، ففي جامعة الملك سعود رسالة للشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن

---

(٥) وهمه: وهم.. منول: من أول: أي منذ زمان.

حسن بن محمد بن عبدالوهاب[٦] انتصر فيها للشيخ سليمان بن سحمان رداً على ابن بطي.

---

(٦) ترجم له محمد بن عثمان القاضي في روضة الناظرين ٢/٢٥٥ - ٢٦٠ ومما جاء في ترجمته قوله: «ولد هذا العالم في الرياض سنة ١٢٨٢ هـ ونشأ في بيت علم نشأة حسنة مباركة، وقرأ القرآن وحفظه عن ظهر قلب، وشرع في طلب العلم بهمة عالية ونشاط ومثابرة فقرأ على علماء الرياض.
ومن أبرز مشايخه أخوه عبد الله بن عبد اللطيف ومحمد بن محمود وحمد بن عتيق وسليمان بن سحمان وحسن بن حسين.
لازم هؤلاء في أصول الدين وفروعه وفي الحديث والتفسير وعلوم العربية.
وكان مفرط الذكاء، وهبه الله فهماً ثاقباً، وأكب على أصول الدين وفروعه حتى نبغ في العلم وتأهل للقضاء، فقد تقلب في سلك القضاء سنين: فمنها تعيينه قاضياً لشقراء، فكان مثالاً في العدالة والنزاهة، مسدداً في أقضيته، وأحبه أهل الوشم، وكان الوشم جميعه يرجع إليه.
وفي عام تسع وثلاثين من الهجرة بعثه الملك عبد العزيز داعية خير ورشد إلى عسير وغامد وزهران، وأقام عندهم مدة ونفع الله به، وعاد إلى الرياض، وجلس للطلبة، فالتف إلى حلقته طلبة كثيرون.
وكان حسن التعليم واسع الاطلاع، يحب جلب الكتب ومشتراها والحصول عليها بكل وسيلة.
وتولى قضاء الرياض، وانتهى الإفتاء والتدريس إليه بعد وفاة أخيه عبد الله عام تسع وثلاثين وكان إمام الجامع وخطيبه، ودرس في بيته زمناً.
ترجم له الزركلي في الأعلام وأثنى عليه بسعة الاطلاع ثناء حسناً ولكنها نبذة يسيرة، وفيها أنه رحل إلى قطر وعمان ثم إلى اليمن وجمع مكتبة كبيرة. انتهى.
وفي عام ثمان وخمسين من الهجرة سافر إلى بلاد القاهرة لعلاج عينيه وعاد إلى الرياض معافى.
وكان صاحب مكانة مرموقة عند الناس وعند الملك عبد العزيز، فكان يحترمه الملك ويجله ويكون في طليعة المشايخ يوم الخميس المجتمعين في قصر الملك، وله أعمال خيرية ومآثر خالدة، منها إشارته للملك بطبع المجموعة النجدية فوافق على ذلك، فاتفق مع محمد رشيد رضا على طبعها فطبعت في القاهرة.
وكان متواضعاً محمود السيرة، مستقيم الديانة، ذا غيرة شديدة، صداعاً بكلمة الحق، لا يخاف في الله لومة لائم، كثير الذكر، لا يفتر لسانه منه، كثير التلاوة خصوصاً في آخر عمره، فقد تجرد للعبادة ولازم المسجد.
وكان ورعاً زاهداً يحب أهل الخير، وكان سخياً يوصف في الكرم بحاتم، وصولاً

ويظهر من رسائل العلماء في ذلك الوقت أن ابن بطي ومن على مذهبه في التشديد والغلو اتهموا علماء نجد بالمداهنة.

قال الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف في إحدى رسائله: «وقد بلغني عن بعض من غره الغرور الطعن في العلماء ورميهم بالمداهنة وأشباه هذه الأقاويل التي صدت أكثر الخلق عن دين الله.

وزين لهم الشيطان بسبب ذلك الطعن في الولاية بأمور حقيقتها البهتان والطعن بالباطل.

وقد علمتم ما جاء به ﷺ وفرضه من السمع والطاعة، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ [سورة النساء/ ٥٩]، ولم يستثن سبحانه براً من فاجر، ونهى ﷺ عن إنكار المنكر إذا أفضى إلى الخروج عن طاعة ولي الأمر، ونهى عن قتالهم لما فيه من الفساد.

عن عبادة بن الصامت قال: دعانا رسول الله ﷺ فبايعنا، وكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في مكرهنا ومنشطنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله.

قال: إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان.

أخرجاه في الصحيحين.

واستمر يعظ إلى أن قال: «وأما الطعن على العلماء فالخطأ ما يعصم

للرحم، وكان مرجعاً في الأنساب وحوادث نجد ووفيات أعيانها، ولم يزل في حالته الحسنى حتى وافاه أجله المحتوم مأسوفاً على فقده بعد مرض كان يعتاده، وانتقل إلى رحمة الله في يوم الأحد الموافق الثاني من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٦٧ هـ.

قال أبو عبد الرحمن: وترجم له الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف في مشاهير علماء نجد ص ١٤٦ ـ ١٤٧، وابن عبيد في تذكرة أولى النهي والعرفان ٢٧٢/٤ ـ ٢٧٤.

(٧) مجموعة رسائل وفتاوى ص ٧ ـ ٨.

منه أحد، والحق ضالة المؤمن، فمن كان عنده علم يقتضي الطعن فليبينه جهاراً ولا يخف في الله لومة لائم، حتى يعرفوا حقيقة الطعن وموجبه، واحذروا التمادي في الضلالة، والخروج عن الجماعة، فالحق عيوف، والباطل شنوف، والشيطان متكىء على شماله، يدب بين الأمة بالعداوة والشحناء، عياذاً بالله من فتنة جاهل مغرور، أو خديعة فاجر ذي دهاء وفجور، يميل به الهوى، ويزين له الشيطان طريق الغواية والردى»[٨].

ومن رسائل العلماء في هذه الفتنة رسالة الشيخ سعد بن عتيق يقول فيها: «إلى من يصل إليه هذا الكتاب من إخواننا من أهل الأرطاوية والغطغط وغيرهم من عتيبة ومطير وقحطان وغيرهم من إخواننا المسلمين، نور الله قلوبنا وقلوبهم بنور العلم والإيمان، وجعلنا وإياهم من أتباع السنة والقرآن، وأعاذنا وإياهم من زيغ القلوب ونزغات الشيطان.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته[٩].

ثم قال: «ومن أعظم أسباب التفرق والاختلاف والعدول عن طريق الحق والإنصاف، ما وقع من كثير من الناس من الإفتاء في دين الله بغير علم، والخوض في مسائل العلم بغير دراية ولا فهم، فإن الله تعالى قد حرم القول عليه بغير علم في أسمائه وصفاته وشرعه وأحكامه، وجعل ذلك قريناً للشرك الذي هو أعظم المحرمات كما قال تعالى: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ [سورة الأعراف/٣٣]. وقال تعالى: ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾ [سورة النحل/١١٦]. وقال تعالى: ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [سورة الأنعام/١٤٤]»[١٠].

---

(٨) المصدر السابق ص ١٠ ـ ١١.
(٩) المصدر السابق ص ١٢.
(١٠) المصدر السابق ص ١٥ ـ ١٦.

وقال: «ومما انتحله بعض هؤلاء الجهلة المغرورين الاستخفاف بولاية المسلمين، والتساهل بمخالفة إمام المسلمين والخروج عن طاعته والافتيات عليه بالغزو وغيره.

وهذا من الجهل والسعي في الأرض بالفساد بمكان، يعرف ذلك كل ذي عقل وإيمان، وقد علم بالضرورة الإسلامية أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة، وأن الخروج عن طاعة ولي أمر المسلمين والافتيات عليه من أعظم أسباب الفساد في البلاد والعباد، والعدول عن سبيل الهدى والرشاد»(١١).

وقال: «ومن ذلك ما وقع عن غلاة هؤلاء من اتهام أهل العلم والدين ونسبتهم إلى التقصير وترك القيام بما وجب عليهم من أمر الله سبحانه وكتمان ما يعلمون من الحق».

ولم يدر هؤلاء الجهلة أن اغتياب أهل العلم والدين والتفكه بأعراض المؤمنين سم قاتل وداء دفين، وإثم واضح مبين.

قال الله تعالى: **﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾** [سورة الأحزاب/٥٨].

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكمو من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

ومن ذلك ما التزموه وألزموا به غيرهم من أعراب المسلمين من ترك سكنى البادية والتزام الحضر وإنشاء العمران والبنيان، والتشديد في أمر العمائم، والعدوان على كثير من أهل الإسلام والتوحيد بالضرب الشديد، والهجر والتهديد.

إلى غير ذلك من الأمور التي خرجوا بها عن حكم العقل والعدل والإنصاف، وانتظموا بها في سلك أهل الجهل والظلم والاعتساف، وهم مع ذلك يحسبون أنهم مهتدون، ويزعمون أنهم مصلحون **﴿ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾** [سورة البقرة/١٢].

---

(١١) المصدر السابق ص ١٨.

وهذه الأمور ونحوها يكفي في ردها مجرد الإشارة والتنبيه دون بسط القول فيها واستقصاء الأدلة على ردها»[١٢].

وفي رسالة الشيخين محمد بن عبد اللطيف وعبد الله العنقري: «ومن الأمور التي أوقعها الشيطان أن الإنسان إذا كان قد هاجر وسكن في قرية من قرى المسلمين واتخذ ماشية من إبل أو غنم واعتاش بها هو وعائلته وخرج لرعيها ومن نيته الرجوع إلى ذلك المحل الذي خرج منه هجر عن السلام في زعم هذا الجاهل أن خروجه مع إبله وغنمه معصية.

وهذا جهل وضلال، فإن فعله ذلك مباح فلا يجوز هجره والإنكار عليه والحالة هذه.

وقد كان للنبي ﷺ نعم من إبل وغنم يجعل فيها رعاة يرعونها.

قال الفضل بن العباس: زارنا رسول الله في بادية لنا.

وأما من هاجر ثم رجع إلى البادية منتقلاً عن دار هجرته فإنه عاص ومرتكب كبيرة إذا لم يكن من نيته الرجوع.

فمن كان مقصوده اتباع الحق وطلب الهدى وسعه .ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه، ومن كان مقصوده الهوى والتعمق والتكلف والتضييق على نفسه وعلى غيره من غير دليل شرعي فهو شبيه بمن انحرف عن هدي رسول الله ﷺ من أهل البدع والضلال.

وقد قال النبي ﷺ: إن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات.

وذلك حين سأل نفر من أصحابه عن عبادته ﷺ فكأنهم تقالوها فقال أحدهم: أما أنا فلا آكل اللحم، وقال الآخر أنا لا أتزوج النساء، وقال الآخر أنا أصوم ولا أفطر وأصلي ولا أنام، فقال ﷺ: أما أنا فأصوم وأفطر وأصلي

---

(١٢) مجموعة رسائل وفتاوى ص ١٩ ـ ٢٠ وانظر رسالة الشيخين محمد بن عبد اللطيف وعبد الله العنقري ص ٢٤ ـ ٢٩ وص ٣٢ ـ ٣٣ وص ٣٥ وص ٣٩ و ٤١.

وأنام، وآكل اللحم، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني.

ولما قام أبو إسرائيل في الشمس أمره أن يستظل»[١٣].

قال أبو عبد الرحمٰن: وقد ورد لابن بطي ذكر في كلام الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف فإنه قال في إحدى رسائله: «وبعد موجب كتابي لكم ما يبلغني عنكم من الشر الوخيم والفعل الذميم، وهو أنه إذا أخطأ أحد من المسلمين أو من الإخوان أو زل زلة وأظهر الندم والتوبة ورجع إلى إخوانه أنكم تنفونه وتأمرون بهجره.

وهذه من سنن ابن بطي الخبيثة»[١٤].

وقال عنه الشيخ صالح العمري: «الشيخ عبد الرحمٰن بن سليمان بن بطي الملقب أبو مسدد أدركته كان من الدعاة الذين يتجولون في المدن والقرى وهجر البادية للوعظ والإرشاد.

له شخصية قوية وجرأة على التحدث في المجتمعات الكبيرة والعامة، وقد يتكلم في مجالس الملوك والأمراء في الوعظ والتذكير»[١٥].

قال أبو عبد الرحمٰن: ذكره ضمن تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم.

ورسالة الشيخ محمد بن عبد اللطيف التي قرظ فيها رد ابن سحمان على ابن بطي توجد مخطوطة بجامعة الملك سعود بخط عبد الله بن إبراهيم الربيعي سنة ١٣٤٧ هـ.

---

(١٣) المصدر السابق ص ٢٩ ـ ٣١.
(١٤) الدرر السنية ٧/٢٠٠.
(١٥) علماء آل سليم ١/٤٥.
قال أبو عبد الرحمٰن: مر ابن بطي بشقراء عابراً فاقترن بعمتي هيلة بنت عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عمر العقيل، وأنجبت منه ابناً اسمه إبراهيم، توفي إبنه إبراهيم رحمهما الله عام ١٣٩٠ هـ تقريباً، وله ذرية.
وكان قبل ذلك قد تزوج هيلة عمة والدي وتوفيت معه.

جاء فيها قوله: «أما بعد فإنه لما خاض بعض الجاهلين المتمعلمين والمتعمقين في مسائل التحريم والتحليل والتكفير والتضليل ومجاوزة ما حده الله ورسوله بغير بصيرة ولا معرفة ولا دراية للأحكام الشرعية والأصول الإيمانية بل مجرد الهوى والجهل والعصبية، وروجوا بذلك على خفافيش البصائر وضعفاء العقول من البادي والحاضر حتى اشتبه أمرهم على بعض المنتسبين للطلب وعظم بهم وقوع المحنة والبلية، واشتدت بهم الفتنة والرزية، وخيف من وقوع فتنة وفساد واختلاف قلوب أكثر العباد مع ضعف الإيمان وقوة داعي الهوى: فعند ذلك انتدب للرد عليهم وتفنيد ما قالوه وتزييف ما موهوا به ولفقوه العالم العلامة والمرشد الفهامة صاحبنا الشيخ سليمان بن سحمان لا زال محروساً بعين الملك الديان معافى من شر كل حاسد وشيطان، فتصدى لكشف ما زخرفوا به وبهرجوا به من الكذب والمين بصريح السنة والقرآن وكلام أهل التحقيق والعرفان ممن لهم قدم راسخ وبصر نافذ عند وقوع الاختلاف والافتتان نصحاً لله ورسوله وكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وحماية لجناب الشريعة المطهرة عن التغيير والتبديل وأن ينسب إلى الله ورسوله ويقال على الله ورسوله ما لم يقولا في مسائل الأصول والفروع كما قال تعالى: ﴿**ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب...**﴾ [سورة النحل/١١٦]... الآية.

وقال تعالى: ﴿**قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**﴾ [سورة الأعراف/٣٣].

وكما قال ﷺ: من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.

وقال عليه الصلاة والسلام: من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار.

ورد باطلهم وكشف ما لبسوا به على الطغام الذين هم أشباه الأنعام.

فضاق عطن بعض الحمقاء منهم وشرق بذلك وهو عبد الرحمٰن بن

بطي فجعل يتطلب المعايب والمثالب يريد بذلك تشيين سليمان والحط من قدره، فلما أراد الله فضيحته وإظهار بعض ما انطوى عليه من العداوة والحسد والبهرج والمين رأى منظومة كتبها سليمان وفقه الله لابن رشيد اعتذر عما رماه به أعداء الدين من البهت والفجور وما ألقوه من الكذب والزور.

والمنظومة لها سببان: **أحدهما** ما وقع بين طلبة العلم والمنتسبين من أهل القصيم من الاختلاف والافتراق في مسائل من أصول الملة والدين، فصاروا بذلك حزبين وفريقين: فريق يعتقد أن الدولة العثمانية ومن شابههم من عباد القبور مسلمون ليسوا بمرتدين، ولا يرى وجوب عداوتهم والبراءة منهم، ويبيح السفر إلى ديارهم، ولا يرى وجوب الهجرة من بين ظهرانيهم[١٦].

والفريق الثاني: خالفوهم واعتقدوا خلاف ما كانوا يعتقدون، وحصل بينهم نزاع عظيم وافتراق[١٧]، وكتب بعضهم لعلماء المسلمين يسألونهم ويسترشدون منهم.

فأجابهم شيخنا وقدوتنا ووالدنا وفاضلنا الشيخ الجليل والعلم الفاضل النبيل الشيخ عبد الله ابن الشيخ الإمام عبد اللطيف، والشيخ العلامة والفاضل الفهامة العم الشيخ إسحاق ابن شيخ الإسلام عبد الرحمٰن بن حسن.

وسليمان ممن تصدى للرد عليهم مع إخوانه، وأدحض ما أبدوه من الشبه والضلالات والأقوال الفاسدة والجهالات.

فلما كشف هؤلاء العلماء ما شبهوا به وأبطلوا ما زخرفوه ولفقوه وألقموهم حجراً وأسكتوهم وعجزوا عن المقابلة والمقاومة: سعوا بالشكاية لابن رشيد كما هي عادة أسلافهم وأشياعهم في قديم الزمان وحديثه، فقالوا له: إنما قصد هؤلاء بالرد أنتم، وأنهم يكفرونكم ويطعنون في ولايتكم.

فلما أغروه بالأراجيف الكاذبة والترهات الخاطئة حملته الحمية

---

(١٦) من هؤلاء ابن عمرو والشيخ إبراهيم بن جاسر رحمهما الله.

(١٧) من هؤلاء آل سليم.

الشيطانية مع خبث العقيدة على الانتصار لهم، فقبل أقوالهم، فشرد من شرد من الإخوان، وتوعد سليمان بالقتل، وكتب للشيخ عبد الله يؤنبه ويتوعد سليمان.

وقد شافهني بتوعده له حين قدمت عليه، فلما أزعجه بتوعده في كل مجلس ومحفل ضاقت به الأرض بما رحبت وخاف من فتك الظالم العنيد، فأنشأ منظومة ظاهرها مدح وباطنها بخلاف ذلك عند من له معرفة باللغة العربية.

وأيضاً إنما مدحه بالعفو والصفح عن الظالم والجاني، وبالكرم والترفع الذي هو التعاظم والتكبر، ولم يمدحه بنصر شريعة وإقامة حق أو رد باطل أو قمع منافق، فإن ذلك ليس من أخلاق تلك الملوك الظلمة، مع أن الله قد أباح لعباده عند الخوف والضرورة التقية بالقول والفعل»[١٨].

ثم قال الشيخ محمد بن عبد اللطيف: «من أسباب تحامل ابن رشيد على سليمان بن سحمان منظومة أنشأها عندما تبين[١٩] في عداوة المسلمين وحربهم يحض فيها سليمان[٢٠] على قتالهم وعداوتهم وإعمال الحيل في حربهم ويشجع المسلمين ويقوي عزمهم.

والمنظومة حماسية، وقد بلغت عند آل رشيد كل مبلغ، وامتلأت قلوبهم على سليمان حنقاً وغيظاً.

لكنه لما صالح[٢١] المسلمين لم يمكنه تنفيذ غيظه وكان كامناً في قلبه.

فلما سعى إليه الأعداء بالشكاية المتقدمة ثار عليه لسابقة العداوة، ولكن الله تعالى دفع عنه شره وحماه ضره.

والمنظومة التي يزعم المعترض أن سليمان عظم فيها ابن رشيد وندم

---

(١٨) رسالة الشيخ ابن عبد اللطيف ص ١ ـ ٥.
(١٩) في هامش الأصل أن الذي تبين ابن رشيد.
(٢٠) أي أن ابن سحمان يحض المسلمين.
(٢١) الذي صالح ابن رشيد.

على انتصاره للإخوان ورده على المبطلين زعم كاذب وفرية ظاهرة وبهتان محض.

لم يقل في نظمه إني نادم على ما قلته، بل صرح بعدم ندمه بقوله: (وإني على ما قلته غير نادم) يعني ما قلته من الانتصار والرد.

فأي لفظ أصرح من هذا، ولكن ثور المدار ليس له معرفة بالألفاظ العربية، ولا تبصر في المعاني اللغوية، فلذلك ظن أن ما مدحه به من العفو والصفح وغير ذلك رجوع، ولم ينظر إلى صريح الكلام وهو قوله: (إني على ما قلته غير نادم).

فلو كان على ما ظنه هذا الغبي لقال: وإني على ما قلته [جد][٢٢] نادم.

وهذه الكلمة يعرفها من هو من أبلد الخلق طبعاً وفهماً.

وقوله: (الترفع) وهذه صفة ذم وعيب لا صفة مدح، لأن الترفع تكلف الرفعة وتطلبها.

وقوله: «وإن كنتم من قبله» يعني من قبل مديحي «في ترفع» فلا حاجة لكم إلى مدحي لولا وجود سببه.

وقوله: «ولكن من يبديه للناس جهرة»: يعني يبدي المديح فيكم وينشره، فهو صادق الود لكم سليم فؤاد في المحبة لكم.

وإنما قصد بذلك من ينشر النظم ويبديه ممن هو على شاكلتهم وعلى طريقتهم.

وأما من هو من أعدائهم فلا يرى ذلك ولا يبديه.

ثم قال بعد ذلك: «وإني على ما قلته غير نادم» بل ثابت عليه لأني لم أقل إلا حقاً ولم أنتصر إلا للحق وأهله ومن قام به ودان به.

وقوله: «وإني على العهد الذي تعهدونه»: يعني بالعهد عداوتهم

(٢٢) ما بين القوسين زيادة يقتضيها الوزن.

وبغضهم مقيم على ذلك، ومقيم على حربكم وقتالكم لا أبرح عن ذلك أبداً.

وإلا فأي عهد بينه وبينهم غير ما ذكرنا.

ثم قال بعد ذلك خوفاً من الوشاة وتستراً: (فجد بالمكارم) خوفاً أن يظن به غير ذلك، لأن الأعداء لما تحققوا توعده له جدوا في التهييج عليه والإغراء به حتى قالوا: لا يصلح لك أمر ولا يستقيم لك حال إلا بقتله وقتل أشباهه أو بإجلائهم، فلذلك قال: إن الواشين قد حرفوا، وافتروا، وقالوا: إنما قصد بهذه المنظومة المتقدمة وغيرها أنتم.

إذا تحققت عرفت أن ما ظنه ابن بطي من أنه قصد طلب الدنيا ظن فاسد وقول كاسد حمله عليه سوء القصد، لأن الظنون الفاسدة والتزوير والبهرج سجيته وجبلته، وشواهد حاله تدل على ذلك.

ولكن إذا غلب الهوى واستحكم البلى وضعف داعي الإيمان والهدى لم يبال العبد بما ارتكبه من الظنون الكاذبة والجهالات الخاطئة، فيحمِّل الكلام الصريح ما لا يحتمله، ويصرفه عما دل عليه ظاهره إلى ما لا يدل عليه، وذلك لفساد القصد والعداوة والحسد، لأن الحاسد يرى المحاسن مساوىء والفضائل نقائص والمآثر الحميدة معايب»[٢٣].

وقال الشيخ محمد بن عبد اللطيف أيضاً: «فاعلم أن اعتراضه الذي اعترض به على المنظومة إنما حمله عليه لما رد عليه في العمامة وزيف ما قاله وخطأه في دعوى سنيتها وأن من يدخل في هذا الدين تكون شعاراً له يتميز بها عمن لم يدخل فيه.

وهذا لم يشرعه الله ولا رسوله ولا ذكره المحققون من أهل العلم لا في قديم الزمان ولا في حديثه.

وهؤلاء يلزمون من دخل في هذا الدين أن يلبس عصابة على رأسه يسمونها العمامة، وأن ذلك من سنة رسول الله ﷺ، فمن لبسها كان عندهم

---

(٢٣) رسالة الشيخ محمد بن عبد اللطيف ص ٦ ـ ٨.

من الإخوان الداخلين في هذا الدين، ومن لم يلبسها فليس منهم لأنه لم يلبس السنة بزعمهم[٢٤]، فحمله ذلك على أن اعترض على منظومة قد قالها من مدة عشرين سنة أو أكثر، ونظر فيها العلماء وفهموا مراده وأحسنوا به الظن.

هذا وأشباهه لقصور أفهامهم وضعف عقولهم أساؤوا به الظن وحملوا كلامه ما لا يحتمله وصرفوه عن صريحه.

واعتراضه الذي اعترض به: أنه كتب تحت المنظومة كلاماً يظن أنه يكشف غمه وينفس عنه مع ركاكته.

ولم يدر المغرور أن كلامه هذا صار من أعظم الفضيحة عليه واعتراضه الذي اعترض به هو أنه قال: فانظر إلى هذه الفضايح والتعظيم.

فيقال: أي فضيحة في هذه المنظومة، وأي تعظيم يدل على ذلك لولا غلبة الجهل وقصور الفهم؟!.

فإن كان ما مدحه به مما تقدم من الكرم وغير ذلك من الأوصاف فضيحة فهذه الأوصاف يمدح بها من تخلق بها وإن كان كافراً، لأن الرسول ﷺ مدح حاتماً بالكرم فقال لابنته لما قدمت عليه: أكرموها فإنها ابنة كريم.

وقال صلوات الله وسلامه عليه: إني بعثت في زمن الملك العادل أنو شروان فمدحهما ﷺ بالكرم وهما على كفرهما، ولم يكن ذلك تعظيماً لهما.

فما أشد جناية هذا على الشريعة المطهرة، لأن كلامه هذا مضمونه وفحواه يدل على الطعن على الجناب النبوي، ولكنه لغلبة جهله وفرط حماقته يتكلم بما لا يعقل ولا يعلم ما يخرج من بين شفتيه من الترهات والخزعبلات والخرافات.

---

(٢٤) بعض أهل القرى كسا رأس مقصورة البلد بعمامة إظهاراً لشعار السنة!!

قال أبو عبدالرحمٰن: وربما كانت الرواية تنكيتاً، إلا أنها ذات دلالة وإن كانت نكتة.

ومع هذا الجهل والإفلاس من العلوم وعدم المعرفة لما يتكلم به يعترض على من أقامه الله داعياً لدينه وذاباً عن شريعة رسوله وأمينه.

فالمعترضون عليه لا يقاومونه ولا يبلغون منتهى شأوه وما منحه الله ووفقه له من الرد على المبطلين وكشف زيغ الزائغين ونصرة الحق المبين، ومصادمة من عارض ما جاء به المرسلون من إخلاص للعبادة لله رب العالمين، فمثل هذا لو صدر منه ما صدر فهو في جنب حسناته كتفلة في بحر فيعفى عنه ويغتفر له.

والذين اعترضوا عليه يصدق عليهم قول الشاعر:

أقلوا عليه لا أبا لأبيكمو من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا[٢٥]

وأما قوله في اعتراضه: «ولكنه والله أعلم أنه لفساد في النية» فأقول: الله أكبر ما أعظم هذه الجراءة وما أقسط هذا الحكم.

أين في كلامه ما يدل على فساد قصده ونيته؟.

ولكن هذا المعترض مع جهله يدعي الاطلاع على النيات وفسادها، وأنه يعلم ما انطوت عليه القلوب وما أكنته الضمائر.

وليس ذلك إلا لله الذي يعلم خفيات السرائر.

ولكن إذا عدم الحياء والخوف والمراقبة تكلم الإنسان بما يكون سبباً لفساد عقله ودينه، نسأل الله العافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

وقوله: «أو خبث في العقل» فهذه الكلمة كلمة عوراء، فالعقل لا يوصف بالخبث[٢٦]، إنما يوصف بالضعف أو النقص أو الخبال، وإنما يوصف بالخبث القول والعمل، ولكن من لم يعرف معاني الكلام وتراكيبه

---

(٢٥) البيت للحطيئة بلفظ: أقلوا عليهم.
ويستقيم بإشباع كسرة الهاء من «عليه» ياء هكذا: عليهي.

(٢٦) قال أبو عبد الرحمٰن: بل يوصف بحسب ما فيه من أفكار وظنون، وذلك مجاز عبر بالمحل وأراد الحال.

كيف ينصب نفسه للاعتراض وهو لا يحسن ما يعبر به من فصيح المنطق وصحيح المعنى.

ولكن هذا مما يطلعك على سوء فهمه وعدم تصوره للحقائق، فهو شبيه بالبربر والأعاجم.

وقوله: «أو عظم تطفل لطلب الدنيا وإن فسد السمت والأحوال»: كلام جاهل لا يعلم ما تكلم به، ولا يفهم ما يخاطب به، بل يهذي ولا يدري أين في هذه المنظومة كلمة واحدة تدل على طلب الدنيا وفساد الأحوال أو فساد السمت أو التعرض للدنيا وطلبها.

ولكن هذا والله أعلم حال اعتراضه وقلبه منكوس أو مطموس قد امتلأ من الحسد والحقد والغيظ، وغاب عنه شعوره، أو أنه كما تقدم: أي لا معرفة له بالألفاظ ولا فهم له ولا دراية.

وهذا هو اللائق بحاله.

وقوله: وانظر إلى ندمه على رده على المبطلين: فيقال ويل أمه ما أكذبه وأعمى قلبه!!.

أين في النظم ما يدل على رجوعه وندمه؟!.

بل فيه التصريح كما تقدم بعدم الرجوع، وأنه ثابت على ذلك حتى يلقى الله.

ولكن حماقة هذا من أبين شيء لمن له عقل ومعرفة، وأما الأعمى وصاحب الهوى فلا حيلة فيه.

وأما قوله: وهو يعتقد ضلالتهم: فنعم هو يعتقد ذلك ويدين الله به إلى الآن ولله الحمد والمنة باطناً وظاهراً، وإخوانه المسلمون يعتقدون ذلك، لكن هذا الغبي يسيء الظن ويجعل ظنه يقيناً يوالي عليه ويعادي ويحب ويبغض.

وهذه طريقة أهل الأهواء الذين لا بصيرة لهم بحقائق الإيمان ولا نور يهتدون به عند وقوع الاختلاف والامتحان فيخطئون ويضللون بأهوائهم الضالة وآرائهم الجائرة.

وأما الأثر الذي ذكر عن بعض السلف فهو حق، ولكنه وضعه في غير موضعه وأوقعه على من هو بريء مما دل عليه.

ومعنى الأثر أن من اقتنص الدنيا بالدين أو بعمل صالح من أعمال الآخرة وهو يريد بذلك العمل الحظوظ الدنيوية فهذا هو الذي يورد عليه هذا الأثر وينطبق عليه ويدخل في ضمنه.

وصاحب النظم لم يتعرض في نظمه لشيء من ذلك ولا دل عليه كلامه بوجه من الوجوه، ولكن الهوى يعمي ويصم، فإذا سمع اعتراض هذا بعض الغوغاء والجهلة الطغام الذين هم أقرب شبهاً بسائمة الأنعام ظن أنه قد سقط على الدرة المفقودة والضالة المنشودة، ولم يدر المسكين أنه إنما أتى بحدس وجهل حمله عليه البغي والحسد ورؤية النفس بالمكان الأرفع، وهو عند أهل المعرفة والبصيرة بالمحل الأوضع.

وما أحسن ما قال بعض السلف في أمثال هؤلاءِ: والله ما آسى عليهم ولكن آسى على من أهلكوا.

فما أشد جناية هؤلاء وأشياعهم على الإسلام وأنصاره، وما أعظم المحنة بهم فالله المستعان.

فإذا تحققت ما تقدم وعرفت ما دل عليه كلام الناظم: فاعلم أنا لو تنزلنا مع هذا المعترض وجاريناه على فهمه من أن الناظم حصل منه تعظيم ومجازفة: فاعلم أن الشريعة قد جاءت بإباحة المعاريض والتورية بالقول والفعل، كما ثبت أن رسول الله ﷺ مر بطليعة للمشركين وهو في نفر من أصحابه فقال المشركون: من أنتم؟

فقال عليه السلام: نحن من ماء.

فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا: أحياء اليمن كثير لعلهم منهم وانصرفوا.

وأراد عليه السلام بقوله نحن من ماء يعني من ماء دافق»[٢٧].

---

(٢٧) رسالة الشيخ محمد بن عبد اللطيف ص ٩ ـ ١٤.

وقال الشيخ محمد رحمه الله: «ولكن من عدم المعرفة والبصيرة وخلي من العقل وخلع جلباب الحياء لم يبال بما تكلم به.

وهذا حال الجاهل المركب الذي لا يدري ولا يدري أنه لا يدري يضلل ويجهل ويفسق ويبدع بمجرد الهوى والجهل، فمثل هذا يعامل بالتعنيف والزجر ليرتدع من هو على شاكلته ممن استهواهم الشيطان وزين لهم سوء أعمالهم، فهم يحسبون أنهم على هدى وعلى صراط مستقيم، ولكن من يهدي الله فهو المهتدي، ومَن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وصلّى الله على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.
تم نسخ ذلك في ١٥ محرم ١٣٤٧ هـ».

وقال ابن سحمان: «الحمد لله وحده، وصلى الله على مِن لا نبي بعده.

أما بعد: فإني لما وقفت على ما اعترض به عبد الرحمٰن بن بطي على المنظومة التي كتبت بها إلى محمد بن رشيد لما أراد قتلي أو إجلائي عن بلاد المسلمين اعتذرت إليه بهذه المنظومة، وأتأول في مدحي له، وأعرِّض بما ظاهره المدح وباطنه القدح لأتخلص من شره وظلمه، فاعترضني هذا الغبي بما ليس له به علم ولا معرفة ولا دراية، فأجابه الشيخ محمد بن الشيخ عبد اللطيف على ذلك وفيه الكفاية، لكني أحببت أن أكشف عن بعض ما تضمنته مما لا يدريه كل جاهل بهذه الأبيات التي ذكرها.

وهذا قول المعترض بحروفه على المنظومة قال:

«فانظر إلى هذه الفضائح والتعظيم لمن يعتقد أنهم أعداء، ولكن والله أعلم أن هذا لفساد في النية وخبث في العقل أو عظم تطفل لطلب الدنيا وإن فسد السمت والأحوال.

وانظر إلى ندمه على رده على المبطلين من أهل القصيم وهو يعتقد ضلالهم، فالله أعلم بما انطوى عليه قلبه.

قال بعض السلف: عقوبة العلماء تكون بموت قلوبهم، وموت قلوبهم

يكون بطلب الدنيا، فارغب إلى الله عند تقليب القلوب:

والجواب:

ألا أيهـا الـرامي لنـا بـالعـظائـم ... وبـالمعضلات المفـظعات القـواصم
على غيـر مـا تقـوى الإلـه وبـره ... ولا خشيـة من مـوبقـات المـآثم
فلو كـان حقـاً مـا أتى بـافتـرائـه ... لمـا كان أخفى الحق عنـد التخاصم
ولـو كـان ذا قلب سليم من الهـوى ... لنـاصحني عن مـوجبـات الجـرائم
وبـاحـثـني فيـمـا تـوهـم أنـني ... أتيت بـه من معضـلات اللوائـم
فـهـلا أتى هـذا الـغبي بـحـجـة ... مـبينـة يـدري بـهـا كـل عـالـم
بـنص من الـقـرآن أو عـن نـبـيـنـا ... وعن صحبـه أهـل التقى والمكـارم
فـلو أنـه أدلى بـهـا وأتـى بـهـا ... وجـاء بـبـرهـان يـلوح لـرائـم
لكـنـا قـبلنـا الـحق مـمن أتـى بـه ... وللحق نـور يستـبيـن لشـائم» [٢٨]

قال أبو عبـد الرحمٰن: لم أطلع بعـد على قصيدة ابن سحمان في الاعتذار من ابن رشيد، ولم أتحقق بعد أي القصائد التي استثير بها ابن رشيد.

وله قصيدة ميمية أورد بعض أبياتها وذكر مناسبتها فقال:

«ومن ذلك أيضاً ما قلته ونحن إذ ذاك في ولاية آل رشيد لما منعونا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وألا نتكلم في شيء من أمور الدين:

على الدين فليبكي ذوو العلم والهدى ... فقـد طمست أعـلامـه في العـوالم
وقـد صـار إقبـال الـورى واحتيـالهم ... على هـذه الـدنيـا وجمـع الـدراهم
وإصـلاح دنيـاهم بـإفسـاد دينهم ... وتحصيـل ملذوذاتـهم والـمـطاعم
يعـادون فيهـا بـل يـوالـون أهلهـا ... سـواء لـديهم ذو التقى والجـرائم
إذا انتقص الإنسـان منهـا بمـا عسى ... يكـون لـه ذخـراً أتى بـالعـظائم
وأبـدى أعاجيبـا من الحـزن والأسى ... على قلة الأنـصـار من كـل حـازم
ونـاح عـليهـا آسـفـاً مـتـظلمـاً ... وبـاح بما في صـدره غيـر كـاتم

(٢٨) رسالة الشيخ محمد بن عبد اللطيف ص ١٨ ـ ٢٠.

فأما على الدين الحنيفي والهدى — وملة إبراهيم ذات الدعائم
فليس عليها بعد أن ثل عرشها — من الناس من باك وآس ونادم
وقد درست منها المعالم بل عفت — ولم يبقَ إلا الاسم بين العوالم
فلا آمر بالعرف يُعرف بيننا — ولا زاجر عن معضلات الجرائم
وملة إبراهيم غودر نهجها — عفاء فأضحت طامسات المعالم
وقد عدمت فينا وكيف وقد سفت — عليها السوافي في جميع الأقالم
وما الدين إلا الحب والبغض والولا — كذاك البرا من كل غاوٍ وآثم
وليس لها من سالك متمسك — بدين النبي الأبطحي ابن هاشم
فلسنا نرى ما حل بالدين وامحت — به الملة السمحاء إحدى القواصم
فنأسى على التقصير منا ونلتجي — إلى اللّه في محو الذنوب العظائم
فنشكوا إلى اللّه القلوب التي قست — وران عليها كسب تلك المآثم
ألسنا إذا ما جاءنا متضمخ — بأوضار أهل الشرك من كل ظالم
نهش إليهم بالتحية والثنا — ونهرع في إكرامهم بالولائم
وقد برئ المعصوم من كل مسلم — يقيم بدار الكفر غير مصارم
ولا مظهر للدين بين ذوي الردى — فهل كان منا هجر أهل الجرائم
ولكنما العقل المعيشي عندنا — مسالمة العاصين من كل آثم
فيا محنة الإسلام من كل جاهلٍ — ويا قلة الأنصار من كل عالم
وهذا أوان الصبر إن كنت حازماً — على الدين فاصبر صبر أهل العزائم
فمن يتمسك بالحنيفية التي — أتتنا عن المعصوم صفوة آدم
له أجر خمسين امرىء من ذوي الهدى — من الصحب أصحاب النبي الأكارم
فنح وابك واستنصر بربك راغباً — إليه فإن اللّه أرحم راحم
لينصر هذا الدين من بعد ما عفت — معالمه في الأرض بين العوالم
وصل على المعصوم والآل كلهم — وأصحابه أهل التقى والمكارم
بعدِّ وميض البرق والرمل والحصا — وما انهل ودق من خلال الغمائم»[٢٩]

---

(٢٩) منهاج أهل الحق والأتباع ص ٧٧ ـ ٧٩ وانظر الديوان ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤ ط م المصطفوية.

ويظهر أن ما حدث في حائل فيما بعد سنة ١٣٢٩ هـ إنما هو امتداد لواقعة ابن سحمان مع ابن رشيد.

فلقد كان ابن سحمان حكماً فيما شجر بين الملاحي وآل بنيان.

قال القاضي في ترجمة الشيخ صالح السالم آل بنيان: «وحصل خلاف بينه وبين الشيخ عيسى الملاحي من علماء قفار في ضواحي حائل يتعلق بالعقيدة أورثت بينهما ضغائن وحزازات في الصدور وانقسم العلماء حولهم إلى قسمين: فمنهم الموالي له، والموالي لخصمه.

وطال النزاع والردود نظماً ونثراً، وصار الناس يخوضون في حديثهم، ورفع الأشرار لها رؤوسهم، فبعث الشيخ عيسى بقصيدة إلى خصوم الشيخ صالح السالم تبلغ خمسين بيتاً فيها مسبة للشيخ صالح السالم تركنا ذكرها عمداً»[٣٠].

وقال في ترجمة الملاحي: «وله مؤلفات منها شرحه لكتاب التوحيد مجلد ضخم وفيه فوائد نفيسة، كان قطعة منه عند الشيخ سليمان العمري وجدته مع مخطوطاته في منزل ابنه، وعليه مآخذ فيه لم يسلم من علماء عصره و (من ألف فقد استهدف).

وله منسك ومختصر في علوم النحو وحواش من تقارير مشايخه ومما يمر عليه أثناء مطالعته.

نبهه صالح السالم البنيان على مآخذ في شرحه فلم يقتنع، فجعل كل واحد منهما يتهجم على الآخر نثراً ونظماً، ثم إن كلاً منهما عضده جماعة، وطال النزاع بين مؤيديه من علماء قفار وبين مؤيدي صالح السالم كابن سحمان وحمود الشغدلي وعبد الرحمٰن الملق.

وانتهى هذا التشاجر بهادم اللذات ومفرق الجماعات بعد حزازات أورثت بينهما الضغائن.

وقد أشرنا إلى ما جرى بينهما بترجمة البنيان.

---

(٣٠) روضة الناظرين ١/١٧٤ ـ ١٧٥.

وللشيخ عيسى نكت حسان فكانت مجالسه ممتعة ومحادثاته شيقة.

وكان نزوحه من حايل مخافة على نفسه من ابن رشيد، فقد هدده وكرر ذلك وتوعده، فما كان منه إلا أن ينجو بنفسه، لأنه كان قوياً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم.

وسببت هذه الجرأة عليه مشاكل، وكان عزيز النفس ذا عفة وصيانة مع قلة ذات يده، وآية في الزهد والورع والتقى، رشح مراراً للقضاء قبل الشبيكية وبعدها فرفض تورعاً منه.

توالت عليه الأمراض ووافاه أجله المحتوم في الشبيكية سنة ١٣٥٢ هـ»[٣١].

قال أبو عبد الرحمٰن: ولقد استُفتي ابن سحمان في هذا النزاع فأفتى بقصيدته التي مطلعها:

ألا قل لأهل العلم من ساكن الجبل　　　وصفوة أهل الخير من ذلك المحل

وانتصر ابن سحمان لآل بنيان وأصحابه، وكتب الشيخ حمود بن حسين الشغدلي كتابه تنبيه المنصف الصاحي، ويوجد بعضه مخطوطاً بجامعة الملك سعود.

وفي قصيدة ابن سحمان اللامية الثانية سجل بعض ما عايشه من مظاهر لهو ظاهرة فقال:

وقولك لم نسمع جهاراً بدارهم　　　لدف ومزمار ومن قائل الغزل
مقالة مسلوب الفؤاد وماجن　　　يفوه بما يهوى على غير ما عمل
وذا فرية بل قد سمعناه جهرة　　　وما نزهوها عن ملاعب للسفل
فسل من رآهم في اللقيطة من أخ　　　وفي البلدة الأخرى وقد شاهد العضل
فشاهد ما لا نستجيز حكاية　　　له ثم من لهو ولعب ومن هزل
ينافي المروءات التي هي جنة　　　لأربابها عما يشين من الخلل
ونحن فشاهدنا الروافض عندما　　　يجيئون حجاجاً يقيمون في الجبل

(٣١) روضة الناظرين ١٣٨/٢ ـ ١٣٩.

فيحصـل منهم في سمـاح مـآثم ... يقيمونها في ذلك الوقت والمحل
فما أحد ينهـاهمو عن ضـلالهم ... ولا منكـر يومـاً لما كـان يفتعل
وهم عنـدكم في عـزة وحـمـايـة ... فهل كان هـذا ويل أمك يحتمل
وهل ذاك يخفى من أتى نحو دارهم ... ثكلتك دعنا من خرافاتك العضل
ودعنا من التمويه فالأمـر واضح ... وقد شاع بل قد ذاع ذاك وقد حصل

قال أبو عبد الرحمن: فهذه القصيدة نص عن رأي ابن سحمان بآل رشيد، وفيها تسجيل لما شاهده من منكرات أيام إقامته هناك.

ويظهر من كلام الشيخ محمد بن عبد اللطيف أن حوار ابن سحمان في العمامة مع أناس من ضمنهم ابن بطي.

ولقد تناول ابن سحمان هذه المسألة في كتابه «إرشاد الطالب» ذاكراً أن مذهبهم إنكار لبس العقال لأنه من خصال الزكرت والجند، وأنهم أكدوا سنية العمامة.

وقال ابن سحمان في معرض حكاية نظمهم: «ثم ذكر أبياتاً متكسرة واهية المباني ركيكة المعاني لا تليق إلا بعقل من أنشأها لقصر باعه، وعدم اطلاعه، وقد قال الحطيئة:

الشعـر صعب وطـويـل سلمـه ... إذا رقى فيـه الـذي لا يـعلمـه
زلـت بـه إلى الحضيض قـدمـه ... يـريـد أن يـعـربـه فـيعـجـمـه

فلو أنه اقتصر على النثر لكان أستر له، وهذا نص الأبيات التي ذكرها:

يـا منكراً فضـل العمـامـة إنهـا ... من هـذْي من قد خص بـالقـرآن
وكذاك قد كـان الصحابـة بعده ... والتـابعـون لـهم على الإحسـان
وكذاك كانت للأفـاضـل بعدهم ... وسـمـاً وزيـاً سـائـر الأزمـان
واللّه مـا في لبسهـا من ريبـة ... لـم تبتـدع يـا معشـر الإخـوان
فليست كلبس الجنـد في أزمـاننـا ... حـاشـا وربي كيف يستـويـان
هـذي شعـار ذوي التقى وذاك (م) ... لـلزكـرت وكـل ذي طـغيـان[٣٢]

وعلق محمد رشيد رضا على البيت الأخير بقوله:

قد كان يمكن أن يستقيم البيت وزناً ولغة لو قال:

هــذي شعار أولي التقى أبـداً وتلكم (م) للزكـرِت وكـل ذي طغيــان[٣٢]

وقال ابن سحمان في موضع آخر: وقد بلغني عن بعض الإخوان أنهم ينكرون ما كان يعتاده المسلمون من لبس العقال سواء كان ذلك العقال أسود أو أحمـر أو أبيض ويهجـرون من لبســه، ويعللون ذلـك بـأنـه لم يلبســه رسول الله ﷺ ولا أصحابـه ولم يكن ذلك يلبس في عهـدهم ولا هو من هديهم.

وإذا كانت هذه العلة هي المانعة من لبسه فيكون حراماً ولابســه قد خالف السنة.

فيقال لهم: وكذلك لم يكن الرسول ﷺ ولا أصحابه ولا التابعون لهم بإحسان يلبسون هذه المشالح لا الأحمر ولا الأبيض ولا الأسود ولا العبي على اختلاف ألوانها والكل من هذه الملابس صوف طاهر.

وكذلك لم يكونوا يلبسون الغترِ والشمغ على اختلاف ألوانها، فلأي شيء كانت هذه الملابس حلالاً مباحاً لبسها وهذه العقل محرمة أو مكروهة لا يجوز لبسها؟.

والعلة في الجميع واحدة على زعمهم، مع أن هذا لم ينقل عن أحد من العلماء تحريمه ولا كراهته.

وقد أظهر الله شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب فدعا الناس إلى توحيد الله وعبادته، وقد كانوا قبل ظهوره في أمر دينهم على جهالة جهلاء، وضلالة ظلماء، فدعاهم إلى الله وإلى توحيده، وكانوا قبل دعوته يعبـدون الأولياء والصالحين والأحجار والأشجار والنيران وغير ذلك من المعبودات التي كانوا يعبدونها من دون الله، فدعا الناس إلى توحيد الله وعبادته، وبين لهم الأحكام والشرائع والسنن حتى ظهر دين الله وانتشر في البلاد والعباد.

---

(٣٢) إرشاد الطالب ص ٤٨ ـ ٤٩ ط دار مروان.
وانظر هذه الأبيات وقصيدة ابن سحمان في الرد عليها بديوانه ص ٣٦٨ ـ ٣٧٠ ط م المصطفوية.

ولم يكن في وقته أحد يلبس هذه العصائب ولا أمر الناس بلبسها ولا ذكر أنها من السنن، ولا أنكر على الناس ما كانوا يعتادونه من هذه الملابس كالعقل وغيرها، لأنها من العادات الطبيعية، لا العبادات الدينية الشرعية:

فخير الأمور السالفات على الهدى   وشر الأمور المحدثات البدائع[٣٣]

ولابن سحمان كتاب مطبوع بعنوان: الجواب الفارق بين العمامة والعصائب.

قال أبو عبد الرحمٰن: ألف علوي الفقيه باعلوي كتيباً بعنوان: «تنبيه العامة بفضل العمامة»، وأورد أحاديث عزاها إلى بعض مصادرها ولم يذكر درجتها من الصحة.

فمن ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: عليكم بالعمائم وأرخوها خلف ظهوركم فإنها سيما الملائكة[٣٤].

قال أبو عبد الرحمٰن: ووردت أحاديث في فضل العمامة منها موضوع ومنها ضعيف[٣٥].

قال أبو عبد الرحمٰن: والمحقق عندي أن العمامة ـ على الهيئة التي كان يلبسها رسول الله ﷺ سنة مستحبة وليست من محض العادة، لأنها من

---

(٣٣) إرشاد الطالب ص ٣٤ ـ ٣٥ والبيت الأخير للإمام أبي محمد ابن حزم.
وتعرض لمسألة العمامة في كتابه منهاج أهل الحق والاتباع ص ٩٠ ـ ٩٥.

(٣٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٣٨٣/١٢ وانظر عن تخريجه وتضعيفه سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١١٩/٢ رقم ٦٦٩ وموسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٤٨٤/٥.

(٣٥) انظر عن هذه الأحاديث سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للشيخ الألباني ١٥٨/١ ـ ١٦٢ رقم ١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩ وتلخيص الحبير ١٦٢/٤ رقم ٢٠٢٤ وموسوعة أطراف الحديث ٥٦١/٥ وص ٣٧٠ والمقاصد الحسنة ص ٢٩١ رقم ٧١٧ والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص ١٨٧ ـ ١٨٨ وكشف الخفاء ومزيل الإلباس ٧٢ ـ ٧٣ رقم ١٧٨٣ وموسوعة أطراف الحديث ٨/٢ ـ ٩ وفتح الباري ٢٨٥/١٠ ونيل الأوطار ١١١/٢ ـ ١١٣ والآداب للبيهقي ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

اللباس، واللباس زينة وسترة، والزينة تؤخذ عند كل مسجد وقد استحياها رسول الله ﷺ من زي العرب وداوم عليها، والله إنما يختار لرسوله الأفضل الأحب إليه من جميل العادات.

والأحاديث إذا طرح منها الموضوع والواهي وأُبقي منها الضعيف تقوى بعضها ببعض فكانت حجة، ذلك أن الضعيف ليس كالواهي الذي قامت شواهد بطلانه، بل هو ما لم تقم شواهد صحته.

فإذا تعددت موارده كان ذلك من قيام شواهد صحته فارتفع من الضعف إلى الحسن، وإنما سمي الحديث الضعيف سنده ضعيفاً بالنظر إلى سنده بذاته.

ومعنى حديث ابن عمر رضي الله عنه صحيح فإن الملائكة نزلت بالعمائم، وهم من خلق الله عباد مكرمون.

قال أبو عبد الرحمٰن: تحدث صاحب كتاب «لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب» عن الشيخ حسين بن الإمام محمد بن عبد الوهاب فقال: «وكان يتعمم بالعمامة البيضاء يلقى عذبتها من قفاه بقدر ذراع.

ولم يلبس الكفية، وكان يورِّس ثيابه ويزعفرها كثيراً، ويقول: هذه سنة النبي ﷺ».

قال أبو عبد الرحمٰن: وهي لباس الإخوان من بادية نجد ولا يزال مسنُّوهم يلبسونها إلى هذا اليوم، ويسمونها السنة.

إلا أنهم قصروا من ذؤابتها وجعلوها فوق الغترة أو الشماغ.

وهي علامة سؤدد لدى مشايخ البادية، ويُمتدح بها الحكام.

قال شيخ العجمان راكان بن حثلين يمدح ابن سعود:

ذي ديرة الحاكم كبير العمامة   اللي نحى عنها طوابير الأروام

وقال يمدح شيخ قحطان محمد بن هادي بن قرملة:

تلفي لابن هادي كبير العمامة   شيخ ورمحه مع هل الخيل مرسوم

وهو في ذلك على سنة الفخر العربي في الشعر الفصيح كقول أبي الشغب العبسي:

فجاءت به سبط العظام كأنما عمامته بين الرجال لواء

ومع هذا حصلت مشادة بين بعض مشايخ نجد: هل العمامة سنة أم عادة؟

فربما كان ابن بطي هو القائل:

يا منكراً فضل العمامة إنها من هدي من قد خص بالقرآن

ورد عليه الشيخ سليمان بن سحمان بقصيدة طويلة يقول فيها:

إن العمامة لبسها من هديه في العادة المعلومة التبيان

وقال الشيخ عبد العزيز بن سودا من أهل حريملاء، وكان قاضياً في الأرطامية وقرية:

عمامتكم هذي ليست بسنة ولكنها لبس قديم وجائز

حدثني بهذا البيت فضيلة الشيخ عبد العزيز ابن الشيخ عبد الرحمٰن ابن الشيخ محمد بن ناصر بن مبارك.

وحدثني أن ابن معيلي قال:

تكاثروا يا شيخ لبس العمامة يا اللّه عساي أجلس لطلابة الخير

فقال الشيخ عبدالله بن فيصل بن سلطان قاضي الشعيب والمحمل آنذاك:

يا قايلٍ الدين لبس العمامة ظنك بعيدٍ يا قليل التفاكير
الدين تقوى اللّه وفيه الكرامة ماهوب من يجعل على الراس تكوير

هذا بعض من قصة العمامة في بيئتنا النجدية، وإن ذلك لأصداء جلالها على مدار تاريخنا الجمهوري.

فهذا واحد يرقصه الفخر بمعادلة بين الرمح والعمامة:

تلوث عمامة وتجر رمحاً كأنك من بني عبد المدان

وهذا آخر ـ وهو أبو الطيب المتنبي ـ يجعل العمامة معادلة للهوية العربية في هجائه:

وما كنت أرجو طيئاً أن تسبني وهم نبط لم تعتصب بعمائم

وفي هذه المعركة شخصان آخران غير ابن بطي هما الصقار وابن قهدان، بدليل قول ابن عثيمين في الرد عليهما دفاعاً عن ابن سحمان:

وما قاله الصقار آية جهله وعنوان بطلان العقيدة والقصد
لعمرك ما التقوى بلبس عمامة ولا تركها فاسلك سبيل أولي الرشد
وقل لابن قهدان رويدك إنما تسير على نهج من الجهل ممتد

وقد ذكر ابن سحمان رجلاً اسمه عبد الله بن دامغ يحكم بردة من لبس العمامة ثم تركها[٣٦].

وللشيخ ابن سحمان تعليق على فتوى بعض المشايخ في العمائم، وسأذكر نص المشايخ، ثم تعليق الشيخ ابن سحمان.

سئل الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري عن العمامة هل هي سنة وما الفرق بينهما وبين العقال؟.

فأجاب: العمامة المسؤول عنها من المباحات التي أباحها الله ورسوله، وإنما يستحب منها ما قصد به موافقة رسول الله ﷺ في هيئة لبسه كلبسها مع إرخاء الذؤابة دون لبسها على هيئة العصابة، فإنها حينئذ لا فرق بينها وبين العقال المعروف، ولهذا نص العلماء رحمهم الله من أصحابنا وغيرهم على أنه يشترط لجواز المسح عليها أن تكون محنكة أو ذات ذؤابة.

وأما العصابة فلا يجوز المسح عليها عندهم.

وقصد موافقة رسول الله ﷺ في أفعاله من لبس وأكل وشرب وغير ذلك سنة، ولكن لا يقصر على العمامة فقط.

وهذا كقول العلماء سنة الأكل كذا، سنة الشرب كذا، سنة اللبس كذا، ثم يذكرون ما روي عن النبي ﷺ في ذلك من الأخبار الصحيحة.

وأما جعل هذه العصائب التي تشبه العقال سنة فلا يظهر لي، بل هو

(٣٦) الدرر السنية ٦/٤٦٧.

مباح من جملة اللباس المباح.

ومن قال إنها مسنونة فقد أخطأ وأفتى بجهل، فلا ينبغي الأخذ عنه وتلقي ما يمليه من جهالاته وترهاته.

كذلك جعل لبسها مطلقاً على أي وجه كان دليلاً وعلامة على الدخول في الإسلام، ويوالى على ذلك ويعادى عليه.

أو يجعل ضابطاً يُحب على فعله ويبغض على تركه، فهذا أمر لا يجوز اعتقاده، ولا نسبته إلى الشريعة المطهرة.

هذا ما ظهر لي والله أعلم.

وكتب تحته الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد الله بن سالم رحمه الله ما نصه: ما أجاب به الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري هو الحق والصواب الذي ندين الله به ونعتقده، وهو أن العمامة لا تكون عمامة ويطلق عليها هذا الإسم إلا إذا كانت ذات ذؤابة أو محنكة، وأن تكون على قلنسوة ساترة لجميع الرأس إلا ما جرت العادة بكشفه، لأنها في الأصل لباس معتاد مما اعتاده العرب كالإزار والسراويل والأردية ليست من العبادات المشروعة، ومن نسب هذه العصائب الخالية مما ذكرنا إلى السنة المطهرة فقد أخطأ.

وكتب أيضاً الشيخ محمد ابن الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن ما نصه: ليعلم الواقف على هذا أن ما كتبه صاحبنا الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري في شأن العمامة أنه هو الحق الذي لا مرية فيه ولا التباس، لأن العمائم من قسيم العادات المباحة التي كانت العرب تلبسها، وليست من السنن المشروعة التي شرعت في الإسلام، وكان النبي ﷺ يلبسها هو وأصحابه كما كان العرب يلبسونها.

فمن لبسها على قلنسوة وجعلها محنكة أو جعل لها ذؤابة وأرخاها فقد أصاب السنة، ومن لبسها على هذه الكيفية فلا ينكر عليه، ومن تركها فلا ينكر عليه.

وأما جعل هذه العصائب من السنن المشروعة فهو خطأ وابتداع شرع لم يشرعه الله ولا رسوله.

واعتقاذ أن لبس هذه العصائب سيما وشعار للمتدينين خطأ أيضاً، فالواجب على من أراد طلب الحق واتباع الهدى أن يتحرى العدل في أقواله وأفعاله وأعماله، ويحذر من التعصب للهوى بغير حجة ولا برهان.

وكتب أيضاً الشيخ سليمان بن سحمان: قد تأملت ما كتبه المشايخ وفقهم الله في شأن هذه العصائب التي أحدثها من أحدثها فإذا هو الحق والصواب الذي لا شك فيه ولا ارتياب، لأن هذه العصائب التي زعم من أحدثها أنها سنة سنها رسول الله ﷺ لأمته وشرعها لم تكن هي العمائم التي كان رسول الله ﷺ وسائر العرب يلبسونها في الجاهلية والإسلام، لأن تلك كانت ساترة لجميع الرأس وكانت محنكة، ثم سن رسول الله ﷺ بعد ذلك إرخاء الذؤابة بين الكتفين.

إذا فهمت هذا فاعلم أنه ليس المقصود بلبس هذه العصائب الاقتداء برسول الله ﷺ وأصحابه، ولو كان المقصود الاقتداء برسول الله ﷺ لجعلوها ساترة لجميع الرأس على قلنسوة، وجعلوها محنكة أو ذات ذؤابة، ولبسوا الرداء والإزار وغير ذلك مما كان رسول الله ﷺ يلبسه وأصحابه.

ولكن المقصود الأعظم عند من أحدثها إحداث شعار في الإسلام وزي يتميز به من دخل في هذا الدين عمن لم يدخل فيه على زعمهم.

وإذا كان العلماء تكلموا في كراهية هذه العمائم التي هي [غير][٣٧] ساترة لجميع الرأس لأنها غير محنكة، فكيف بهذه العصائب التي لا مشابهة بينها وبين العمائم إلا بالاسم.

قال شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم: قال الميموني: رأيت أبا عبد الله عمامته تحت ذقنه ويكره غير ذلك.

وقال: العرب أعمتها تحت أذقانها.

وقال أحمد في رواية الحسن بن محمد: يكره ألا تكون العمامة تحت الحنك كراهية شديدة.

---

(٣٧) ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق.

وقال: إنما يتعمم بمثل ذلك اليهود والنصارى والمجوس.

وأما كونها زياً وشعاراً فقال شيخ الإسلام في كتاب الفرقان:

وليس لأولياء الله المتقين شيء يتميزون به في الظاهر من الأمور المباحات فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان كلاهما مباحاً.

ولا يحلق شعراً أو يقصره أو يضغفره إذا كان كلاهما مباحاً كما قيل: كم صديق في قباء، وكم زنديق في عباء... إلخ كلامه رحمه الله.

والمقصود أن هذه العصائب بل العمائم المعروفة المعهودة من الأمور المباحات، والعادات الطبيعية، لا من العبادات الدينية الشرعية.

وقد كتبت في شأن هذه العصائب ما هو معلوم مشهور كما هو مذكور في إرشاد الطالب إلى أهم المطالب، وفي رسالة مفردة أيضاً: فمن أراد الوقوف عليها فليراجعها هناك»(٣٨).

ومن أصحاب المواقف المشار إليهم في صدر هذا البحث الشيخ ابن عمرو، ونجد من معركته لمحة في كتب ابن عمرو نفسه وردود ابن سحمان عليه، وأهمها مسألة السفر إلى بلاد المشركين.

وقد أوجز ابن سحمان ملابسات هذه المعركة العلمية فقال: «ثم إنه قد كان من المعلوم عند جميع المسلمين ما جرى بيننا وبين أعدائنا ممن خالفنا وأباح السفر إلى بلاد المشركين من أهل القصيم كمثل عبد الله بن عمرو وابن جاسر وأتباعهم في حال ولاية آل رشيد من المخاصمات والمحاورات، ورد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف عليهم لما كابروا في ذلك برسالة مشهورة بين فيها ضلالهم، وأدحض حججهم.

فأجابه ابن عمرو عليها بجواب لا يقوله من يؤمن بالله واليوم الآخر ويعلم أنه موقوف بين يديه مسؤول عنه، فأجبته على ذلك بنحو من خمسة عشر كراساً، وجواب آخر قدر تسعة كراريس، وأجابهم الشيخ إسحاق

---

(٣٨) الدرر السنية ١٢٩/٤ ـ ١٣١.

ابن الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن على مسائل أوردوها عليه في هذا المعنى بنحو من ثلاثة كراريس»[٣٩].

قال أبو عبد الرحمٰن: وأحب أن نأخذ لمحة عن الشيخ ابن جاسر أحد أطراف النزاع وأقطابه.

قال الشيخ صالح العمري في ترجمة ابن جاسر: «ولد الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر بمدينة بريدة عام ١٢٤١ هـ، وشب وترعرع فيها وتعلم القراءة والكتابة، ثم التحق بالعلماء وجالسهم، وأكثر الأخذ عن الشيخين محمد بن عبد الله بن سليم ومحمد بن عمر بن سليم.

وكان جيد الفهم حاد الذكاء والحفظ، ثم سافر إلى العراق والشام واتصل بعلمائهما من الحنابلة وأهل الحديث، كما سافر إلى مكة وجالس العلماء فيها.

ولما عاد من تلك البلاد حصلت بينه وبين مشايخه آل سليم جفوة استمرت حتى توفي شيخاه محمد بن عبد الله ومحمد بن عمرو.

وقد كان المترجم له طيب القلب يثق بالناس ويصدقهم فيما يقولون.

كما كان صريحاً في أقواله وأفعاله، وكان مشهوراً بالكرم والعطف على الفقراء والمحتاجين، حتى قيل عنه بأنه يتصدق بقوته أو بثوبه الذي يحتاج إليه.

ومن الخلافات التي حصلت بينه وبين مشايخه موالاته للأتراك ومناصريهم من الولاة، وإفتاؤه بجواز السفر لبلاد المشركين.

أما الأمور الأخرى فنحن نترك أمرها إلى الله لأنه ليست لدينا أدلة عليها.

وقد تعين في قضاء بريدة فترة غير طويلة في إمارة محمد بن عبدالله

---

(٣٩) منهاج أهل الحق والأتباع ص ٨١.
والصواب لغة: ثلاث كراريس.

المهنا، كما تعين في قضاء عنيزة مثلها في وقت ولاية آل رشيد على القصيم.

وتعيينه في قضاء بريدة وعنيزة في حكم آل رشيد وآل مهنا، ولم يتعين في القضاء في زمن آل سعود لميله إلى الأتراك ومناصرتهم»[٤٠].

وبعد أن ذكر تلامذته قال: «وقد عاش سبعا وتسعين سنة قضاها في التعلم والتعليم والعبادة.

وفي عام ١٣٣٧ هـ طُلب لقضاء حائل في إمارة آل رشيد، فاستأذن الملك عبد العزيز فأذن له، ولكنه وصل حائل مريضاً، ثم سافر للكويت للعلاج، وتوفي هناك رحمه الله ودفن في الكويت، فقد بلغ السابعة والتسعين من العمر وسافر وهو مريض فأثر ذلك عليه والله أعلم»[٤١].

وقال الشيخ ابن بسام: «كما أنه أدرك زمن الفقيه قاضي بريدة الشيخ سليمان بن علي بن مقبل إلا أنه لم يقرأ عليه لأنه كان يسيء الظن في معتقده، فلما انكشف له الأمر وتبين له أن الخلاف بين الطائفتين ليس بالكبير والبعيد تأسف على ما فاته من تلقي العلم عنه.

والقصد أن المترجم له أدرك في العلوم لا سيما في التفسير والحديث واللغة العربية فهو فيها بحر لا يجاري وعالم لا يمارىٰ.

واشتهر أمره وذاع صيته حتى عد من كبار علماء نجد.

وكان على وفاق تام في أول أمره مع علماء بلده آل سليم إلا أنه حدث الخلاف بينهم آخر الأمر فصارت مدينة بريدة حزبين: حزباً يؤيده، وحزباً يؤيد آل سليم.

وليس بينهما ما يوجب الخلاف والنزاع والفرقة ولكنه غلبة الهوى ووشاية الأعداء وجهلة أتباع الطرفين.

---

(٤٠) علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم ٢/٢٠٣.

(٤١) علماء آل سليم ٢/٢٠٤.

وكما اشتهر بالعلم وسعة الاطلاع عرف أيضاً بالعطف على الفقراء والمساكين ومواساة المعوزين ولو بثوبه الذي يلبسه، فصار له بهذا محبة ومودة وشاع له ذكر حسن وثناء طيب.

أما ما يقوله بعض الجهال والأعداء عن تساهله في توحيد الألوهية وعدم تحقيقه فهو كذب مفترى.

فإن نجداً بعد ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله صارت عقيدة أهلها واحدة في تحقيق التوحيد بأنواعه الثلاثة وبعدهم عن البدع والخرافات.

وإذا كان هناك خلاف بين هذين الحزبين فهو جسارة حزب في إطلاق الكفر على بعض الطوائف وتورع الحزب الآخر عن ذلك.

وترتب على هذه المسألة السفر والإقامة في بلد هؤلاء المختلف في تكفيرهم، فمن كفرهم حرم السفر والإقامة في بلادهم، ومن سكت عنهم لم يمنع ذلك.

ومع تزايد الخلاف وعدم الحكمة فيه امتد إلى العداوة في الخلاف على المسائل الفرعية كصوم يوم الشك في رمضان.

والدليل الثاني على كذب هذه الفرية على الشيخ المترجم له: هو أنه من أهل القرآن والحديث، وهؤلاء هم أبعد الناس عن الاعتقادات الفاسدة.

والدليل الثالث على صحة معتقده: أنه دخل المسجد الحرام أيام الحكم العثماني فوجد حلق الصوفية تمارس بدعها وخرافاتها، فلم تمنعه غربته ولا إقرار حكومة البلاد لهذه الأعمال من أن يسطو عليهم بعصاه ضرباً حتى فرقهم، فَرُفِع أمره إلى أمير مكة المكرمة الشريف عون، فلما حضر وحقق معه عرف أن الصواب مع الشيخ، فمنع هذه الأعمال البدعية.

والدليل الرابع على صدقه: ما حدثني به الثقات من أقاربي ممن حضروا القصة الآتية.

قال: عرض على المترجم له إمامة وخطابة جامع النقيب في بلد الزبير

براتب مغر وكان في أمس الحاجة إليه، فذهب إلى الجامع المذكور ليراه ومعه بعض أفراد أسرتنا آل بسام، فدخل المسجد وتجول فيه، فرأى حجرة في مؤخر المسجد فسأل عنها فقالوا: إنها قبر بانيه.

فخرج من المسجد مسرعاً وقال: لا أصلي فرضاً واحداً مأموماً فكيف أصير فيه إماماً؟.

والدليل الخامس: أن دروسه في عنيزة غالبها بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وهي كتب لا يأنس بها ويحبها إلا محقق في عقيدته.

حدثني أحد تلاميذه بعنيزة أنه كان يدرس للطلبة في المنهاج لشيخ الإسلام ابن تيمية فقرأ القارىء أمام الدرس كلام المعارض ابن المطهر، وأخذ القارىء يسرد أقواله في الرفض والضلال، فما انتبه الطلبة إلا على بكاء الشيخ ونشيجه وترحمه على شيخ الإسلام، فلما سكن قال: أيها الإخوان لو لم يقيض الله لهذا الطاغية وأمثاله مثل هذا الإمام الكبير، فمن الذي يستطيع الرد والإجابة على هذه الحجج والآراء.

والدليل السادس: ما حدثني به الوجيه الشيخ محمد حسين نصيف رحمه الله قال: جاءني الشيخ إبراهيم بن جاسر وطلب مني أن أذهب معه إلى الشريف الحسين بن علي فقلت له: ما الغرض من ذلك؟ فقال: نريد أن نتكلم معه بأمرين:

الأول: أن يخفف الضغط على أهل نجد المقيمين في مكة وجدة.

والثاني: ليزيل بعض الأعمال الشركية المنافية للشرع.

فقلت: إن الشريف الآن معادٍ لابن سعود وأخشى أن يبدر منه ما لا يحسن.

فقال الشيخ: أنا لست الآن من الذين عينهم ابن سعود.

فقلت له: إن الشريف لا يعرف هذا، فثنيته عن عزمه.

والذي نقوله الآن هو ما قاله الله تعالى: ﴿**تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم، ولا تسألون عما كانوا يعملون**﴾[سورة البقرة/ ١٣٤ و ١٤١].

وإنما سقنا هذا تبرئة له ولأمثاله من علماء نجد الذين مضى زمن طويل عليهم وبعض إخواننا لا يحسنون الظن فيهم.

وننقل هنا كلمات بالثناء على علمه من بعض عارفيه.

قال الشيخ يوسف الهندي: لم أرَ مثله في الاطلاع على الحديث إلا شيخي نذير حسين.

وقال الشيخ محمد بن عبد العزيز آل مانع: إنه أعجوبة في سعة الاطلاع في التفسير والحديث.

ويقول ابن مانع أيضاً: إن الشيخ صالح العثمان آل قاضي يعجب من كثرة حفظه للحديث.

وقال عمي الشيخ محمد بن صالح البسام: إني كنت أحضر دروسه العامة قبل صلاة العشاء، فكان يشرع في تفسير الآية ويورد في معناها من الأحاديث والآثار وكلام العرب الشيء الكثير.

ولي قضاء عنيزة من عام ١٣١٨ هـ إلى عام ١٣٢٣ هـ، وولي قضاء بريدة عام ١٣٢٤ هـ إلى عام ١٣٢٦ هـ.

وبعد عزله طلب لقضاء الخميسية[٤٢] فلم يبادر بالسفر والإجابة، فلما ذهب إليها وجد الشيخ عبد المحسن أبا بطين قد عين فيها قاضياً، فأراد القاضي التخلي عن القضاء ليكون مكانه معللاً ذلك بأنه أقدر منه، فلم يقبل، فجلس في الزبير حتى خرج من الزبير إلى نجد عام ١٣٢٩ هـ برفقة بعض أعيان البسام»[٤٣].

---

(٤٢) الخميسية: قرية في لواء المنتفق بين سوق الشيوخ والهور الكبير شمال نهر الفرات، نسبت إلى منشئها عبد الله بن خميس من أهل القصيعة إحدى قرى بريدة في القصيم (ابن بسام).
قال أبو عبد الرحمٰن: انظر عنها مجلة لغة العرب، وبلاد القصيم للشيخ العبودي.

(٤٣) علماء نجد ١٠٢/١ ـ ١٠٦.

وقال: «بعد عودته من العراق عام ١٣٢٩ هـ أقام في بريدة يدرس فأصيب بمرض فسافر للعلاج، فأدركته منيته في بلد الكويت عام ثمانية وثلاثين وألف رحمه الله تعالى»[٤٤].

قال أبو عبد الرحمٰن: ولم أجد بعد رد الشيخ عبد الله والشيخ إسحاق.

قال أبو عبد الرحمٰن: وما نسب للشيخ ابن جاسر من أخطاء في العقيدة تبرأ الشيخ صالح العمري من الجزم به، وذكر الشيخ ابن عبيد طرفاً منه قال: «جرى بينه وبين آل سليم مخالفات ومناقشات تستغرق بسطاً طويلاً نذكره في غير هذا الموضع لأسباب، لكننا نشير هنا إشارة لطيفة، فإن الشيخ إبراهيم كان في بادىء أمره تلميذاً لآل سليم، ثم بعد ذلك طرأ له التوسع في العقيدة، ورأى جواز الاستغاثة بذوات الأموات مع مسائل أخرى.

فشن عليه المخالفون غارتهم، وأجلبوا عليه، ولسوء الحظ لم توفق المشكلة لحسن حل يرى خطأه ويرجع عن فكرته.

وآل أمر هذا الخلاف والشقاق إلى فتن ومحن يمتد لهيبها إلى عنان السماء تارة، وتارة تهمد رماداً.

وما زال منذ أيام الأمير حسن بن مهنا حتى غاية هذه السنة[٤٥] وهو مصر على رأيه مظهراً للخلاف، وله أتباع يؤيدون مذهبه ويشدون أزره.

غير أنه لما تبدى طالع آل سعود حماة للدين ونصرة للشريعة ضعف شأنه وانقشعت غمامة هذا الخلاف، وجمع الله المسلمين على يدي صاحب الجلالة عبد العزيز بن عبد الرحمٰن بن فيصل: قام الشيخ المذكور يظهر الموافقة، وكان قد تولى قضاء عنيزة في آخر ولاية عبد العزيز بن متعب، وتولى قضاء بريدة في أيام محمد أبا الخيل.

ولا ريب أن أولئك الأمراء يقدمونه وينتصرون لمقالاته.

---

(٤٤) علماء نجد ١٠٦/١.

(٤٥) يعني سنة ١٣٢٩ هـ.

أضف إلى ذلك أنه كان متواضعاً وذا عطف على الفقير والمحتاج، مع سخاء وكرم يتصدق بما يجد ويواسي وإن كان عن قلة، وكان سريع الانفعال كثير التقلب لا يبالي بالنظر في العواقب، وقد أقلع عن مقالته غير مرة ثم رجع إليها.

ومن تقلبه أنه مر في مجلس تدريسه في المسجد الجامع في بريدة ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فبالغ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأغلظ القول في ذلك وأن القائمين به مقصرون، ثم إنه رفع يديه وهو يدرس فقال: اللهم العن فلاناً لكبير هيئة الأمر بالمعروف في بريدة (وجعل يكرر لعنه بين الحاضرين) كما أهمل أمرك يا ربنا ونهيك.

فلما خرج الشيخ بعد التدريس التقى بهذا الرجل كأن لم يكن بدر منه شيء، غير أن ذلك قد امتلأ حقداً من كلامه فيه، وجرى بينهما ما يستحيا من ذكره.

وكان المترجم من الموالي[٤٦] وله عشيرة وأصحاب يأخذون برأيه ويعملون بقوله ويعجبون بتوجيهاته.

ثم إنه دعا به ابن سعود إليه وأشار له بأن أهل حائل يريدون قاضياً، وأنه يجمل به أن يذهب ليسد ذلك الفراغ وألزم عليه أن يسير إلى تلك الجهات، فأجمع أمره وسار على مضض يريد بلاد حائل، ومنها سار إلى بلد الكويت فتوفاه الله بها فالله المستعان»[٤٧].

قال أبو عبد الرحمٰن: حكمه بأن الشيخ من الموالي مجازفة، لأنه لا يحكم بالولاء إلا بعد اليقين بسبق الرق، ولا علم له بذلك، والأصل الخلو من العبودية.

وجمهور من يجازف هذا وأمثاله ـ مع أنه منهم ـ بوصفهم بالموالي: هم في الحقيقة ذوو أصول عربية، وبعضهم من القادمين من بعض البلاد العربية والإسلامية.

---

(٤٦) قال أبو عبد الرحمٰن: ليس كل من جُهل نسب قبيلته يكون مولى.

(٤٧) تذكرة أولي النهي والعرفان ٢/١٢٥ ـ ١٢٦.

قال أبو عبد الرحمٰن: وترجم له القاضي ترجمة نفيسة أقتطف منها التالي: «هو العالم الجليل والمحدث الشهير الورع الزاهد الشيخ إبراهيم بن حمد بن محمد بن جاسر.

ولد هذا العالم الجليل في بريدة بالقصيم سنة ١٢٤١ هـ وقرأ القرآن وجوده ثم حفظه عن ظهر قلب، وشرع في طلب العلم بهمة ونشاط ومثابرة، فقرأ على علماء بريدة وما حولها، ومن أبرز مشايخه محمد بن عمر بن سليم ومحمد بن عبد الله بن سليم.

ثم سمت همته فرحل للتزود وسافر إلى الشام، فقرأ في صالحية دمشق وفي الجامع الأموي، ولازم علماء الحنابلة هناك.

وممن لازمهم الشطية [يعني آل الشطي] دخل بيتهم الذي كان معموراً بالتدريس في مذهب أحمد، وتعرف في مطلع هذا القرن بدار الشطية، ثم انتقل إلى نابلس فقرأ على أعيان الحنابلة فيها، ثم عاد إلى القصيم يحمل مشعلاً من العلم والمعرفة في الفروع والأصول، خصوصاً في علم الحديث ومصطلحه ورجاله.

ويقال: إنه كان يحفظ الصحيحين.

وقال والدي عثمان: من ورعه وزهده لما عزل عن القضاء بعنيزة وعليه ديون كثيرة منها مبلغ أربعمئة ريال فرانسياً: قال لوالدي صالح: والله لم تنشغل ذمتي بها إلا من الإصلاح لذات البين، فقام الوالد بوفائها، فشكره على ذلك ودامت بينهما المراسلة لمناسبات في أقضيته السابقة، ولدينا رسائل بقلم الشيخ إبراهيم للجد.

وبعد عودته للقصيم من غربته حصل بينه وبين آل سليم خلافات تتعلق بالعقائد، أعقبتها مشاجرات أورثت بعض الضغائن والوحشة والتنافر بينهم، وتحزب أهالي بريدة حزبين: فحزب يواليه وحزب يوالي آل سليم، ودرّس في بريدة من عام ١٣١٥ هـ إلى عام ١٣١٧ هـ.

وفي عام ثمانية عشر طلب العم عبد الله العبد الرحمٰن البسام من آل رشيد تعيينه قاضياً في عنيزة، فعينوه قاضياً بدل عبد الله بن عايض،

فكان في قضائه مثال العدالة والنزاهة، وتولى إمامة وخطابة الجامع الكبير فيها، واستمر قاضياً فيها ومدرساً بجامعها عام ١٣٢٤ هـ، فخطب بهم يوم عيد الفطر وودعهم، وحل محله الجد الشيخ صالح بن عثمان القاضي، وهي السنة التي قتل فيها عبد العزيز المتعب آل رشيد بروضة مهنا.

ولما عزله أهالي عنيزة عن القضاء بقي مدة في بريدة، ثم طلبه سعود بن متعب من الملك عبد العزيز ليتولى قضاء حايل، فشاور الملك فأبدى رغبته، فسمح له وسافر إليها بعد أن طعن في السن وأرهقته الشيخوخة، وكان صداعاً بكلمة الحق لا يخاف في الله لومة لائم.

ففي الزبير عرض عليه الإمامة والخطابة في جامع النقيب، فلما زاره ووجد بداخله ضريحاً قال: لا يمكن أن أصلي به مأموماً فكيف أكون إماماً فيه.

وقد تولى قضاء بريدة من عام ١٣٢٤ هـ إلى ست وعشرين، ودرس الطلبة فيها، وظل قاضياً وإماماً وخطيباً بجامع بريدة، ثم في برزان بحايل برهة من الزمن، ثم طلبه أمير الخميسية قرب بغداد وشمالي نهر الفرات ليكون قاضياً فيها، ولكنه تأنى بالسير إليها، ولما سافر وجدهم قد نصبوا الشيخ عبد المحسن بابطين، فظل عندهم مكرماً ما شاء الله أن يمكث، ثم عاد إلى القصيم عام ١٣٢٩ هـ ودرس الطلبة فيها.

وفي ذي الحجة عام ١٣٣٧ هـ سنة الرحمة مرض فيمن مرض ثم سم في قول، فاستدعاه أمير حايل فذهب إليه في القصر محمولاً فقال أمير حايل سعود بن رشيد: سوف نجهزك للمعالجة في بلدة الكويت، فسافر إليه وتمكن منه المرض في الكويت.

وفي ذي الحجة عام ١٣٣٨ هـ توفاه الله ودفن في الكويت وله من العمر سبع وتسعون سنة قضاها في التعلم والتعليم ونفع الخلق.

ومن أشهر تلامذته النابغين شيخنا عبد الرحمٰن بن ناصر بن سعدي، والوالد عثمان بن صالح، ومحمد وعبد الرحمٰن الصالح البسام، والعم إبراهيم المحمد البسام، وعبد العزيز وعبد الرحمٰن العقيل، وإبراهيم

الصالح القاضي، ومحمد العثمان الجمل، وعبد الكريم الصايغ، وعبد الله المحمد الضراب، وعبد الله الرواف، وعبد الله بن حسين أبا الخيل.

وأوصافه: كان طويلاً ثخيناً قمحي اللون، وكان عطوفاً على الفقراء ويؤثرهم فيما يشتهون، وربما خلع ثوبه فأعطاه الفقير مع قلة ذات يده، وكان من قوام الليل.

وكان يهاجم الإخوان الذين شددوا في الدين، عفيفاً متعففاً، عزيز النفس متواضعاً، ولا يلتفت إلى من قال فيه بالعقيدة فإن ذلك من حسد المعاصرة وحاشاه مما رموه به وصدق قول الأول:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها	فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وقد خلف ابنين: عبد الله وجاسر، فالأول توفي وخلف ابنه محمداً كاتب الضبط بمحكمة بريدة، وجاسر في مكة، رحم الله الشيخ الجاسر برحمته الواسعة آمين»[٤٨].

قال أبو عبدالرحمٰن: هذه مرثية للشيخ إبراهيم ابن جاسر رحمه الله تعالى من نظم الشيخ عبد الله الخلف ناولني إياها فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله الجاسر:

قف بالطلول وروها بالأدمع	وقل العفا بعد العفا للأربع
واترك فؤادك يلتظي حيث الأسى	بين الجوانح في حشا متصدع
فالخطب عم وهذه ارزاؤه	غشت البلاد بما بها من موجع
أوما مررت من العلوم وخلتها	لفراق من تهوى بأمر مفضع
أوما رأيت لدن دريت لحالها	حي الفؤاد بهيئة المنفجع
إذ بان من تهوى وأوهى ركنها	بين يقول لطرفها لا تهجع
قد مات حبر العلم إنسان العلا	بحر المعارف خير شيخ أورع
بحر العلوم أخو الديانة والتقى	كهف الأرامل واليتامى الرضع
الشيخ إبراهيم ينبوع الهدى	ذو المكرمات وذو المقام الأرفع

---

(٤٨) روضة الناظرين ١/٤١ ـ ٤٣.

هو ابن جاسر الهمام المرتضى ... طود الشريعة ذو العلوم النفع
العابد الأواه مصباح الدجا ... بدر الدجنة قدوة المتخشع
لم تلقه الأسحار إلا قائماً ... في الساجدين وفي الهداة الركع
ومواسم الأيام تشهد صومه ... كمجامع للعلم ذات تنوع
يملي على الطلاب جم فوائد ... عن غير هذا الحبر ذات تمنع
ولقد سما بالعلم من فوق السهى ... ومضى لحق العلم غير مضيع
إذ الفضائل شققت لجيوبها ... أسفاً عليه بأنة وتوجع
والعلم بات بعبرة مهراقة ... حيث ابن جاسر المحدث قد نعي
هذا كتاب الله يبكي فقده ... والسنة الغراء ذات تفجع
والفقه ذاق لموته مر الأسى ... من ذا سواه لمغني ولمقنع
من ذا يفسر أو يحدث بعده ... في كتبه والأمهات اللمع
من ذا يدرس فقهنا وينيره ... بأدلة تهدي لذاك لمهيع
ووسائل للعلم يجري دمعها ... كمقاصد من غيره لم تسمع
لا غرو أن يبكي ويندبه التقى ... فربوعه من بعده كالبلقع
إن يجهل الأقوام يوماً قدره ... فالكنز يجهله سوى المتطلع
يا عين فابك مثل ما بكت العلى ... كنز الفضائل والهمام الألمعي
خلت المنازل والمدارج بعده ... للسائرين إلى الجناب الأرفع
وخبا بنا العلم الصحيح وأظلمت ... تلك المشاهد بعد ذاك الأنفع
خفيت على النساك أعلام الهدى ... بعد ابن جاسر حبرنا المتضلع
بعد ابن جاسر الذي من هديه ... نفع الورى ونصيحة لم تقطع
في الدين فقد الشيخ أعظم ثلمة ... ما أن تسد وخرقها لم يرقع
لهفي عليه ولهف كل فضيلة ... تبكي عليه ورتبة لم ترقع
لهفي عليه ولهف كل مزية ... غراء بعذ من الجوى لم تهجع
لهفي عليه وفقده أصلى الحشا ... ناراً تذيب وغلة لم تنقع
لهفي عليه وما حوى من مفخر ... في العلم والتقوى وحفظ أوسع
لهفي على ركب العبادة قد وهى ... وكذا الزهادة بعد ذاك الأورع
يا قلب صبراً فالنوائب جمة ... من ذا رأيت من الورى لم يفجع
يا قلب صبراً قد جرى حكم القضاء ... ما أن يرد جزعت أو لم تجزع؟!

هجم المنون ومات أستاذ الورى ... ومضى النصيح بنصحه المتضوع
واستبشرت بالشيخ سكان الثرى ... ومضى حميداً نحو قبر أوسع
فلك الهناء والجود قبراً ضمه ... فلقد ضممت لكل خير أجمع
لله أنت فقد ثوى فيك العلا ... والعلمِ والتقوى وأبهى مودع
دامت عليك على المدى سحب الرضى ... أبدا تجود وصوبها لم يقلع
يسقي ثراك من المراحم وبلها ... كسحائب من عفو ربي همع
يا راحلاً عنا إلى دار البقا ... لله درك من حبيب مزمع
بعد التفرق هل لنا منك التقا ... فلنا الهنا بالملتقى بالطيع
نرجوا لقاك مع اللقاء بصحبنا ... وسط الجنان بمحض جود المبدع
يا معشر الإخوان من أهل الصفا ... طلاب هذا الحبر عذب المشرع
وصحابه الأخيار من أهل الوفا ... ادعوا لشيخكم الجليل الأخشع
وتذاكروا ما قد علمتم تحمدوا ... أمر العواقب يا بدور المجمع
فالشيخ مات وكلنا رهن الفنا ... قضي القضاء فما له من مدفع
يا رب فارحم كل آن شيخنا ... أبداً وآنس شيخنا في المضجع
وبمقعد للصدق حقق أرخه ... يرجى له الحسنى بطيب موضع

تمت في يوم الخميس الموافق خامس ربيع أول سنة ١٣٤١ هـ ٢١٤ ٣٥ ١٥٠ ٢٣ ٩١ سنة ١٣٨٨ صفر ١٧

قال أبو عبد الرحمٰن: أما رد ابن عمرو فمعروف باسم: الرد العنيف على آل عبد اللطيف، ورد عليه ابن سحمان بالقول المنيف.

وأما الجواب الثاني الذي ذكره ابن سحمان فيظهر أنه الجيوش الربانية في كشف الشبه العمرية.

ولما رد ابن سحمان على القول المنيف: تتبع ابن عمرو بعض أعمال ابن سحمان، فتعرض لقصيدة ابن سحمان الرائية ليبرهن بها على أن ابن سحمان يُكَفِّر بإجمال.

ولعله أيضاً أراد بها مسوغاً لوشايته بابن سحمان لدى ابن رشيد، فقد أشار ابن سحمان إلى هذه الوشاية في نفس الكتاب.

كما أن ابن عمرو استغل رسالة لسابق إلى ابن سحمان خطأه فيها

فجعلها مدخلاً في تأليف رد على ابن سحمان فناقض ابن سحمان كتابه بالقول الغائض، وذكر أن الشيخ عبد الله كتب لسابق وخطأه.

ولم أطلع بعد على رسالة سابق والشيخ عبد الله.

وبهذا يتضح أن ابن سحمان ألف القول المنيف، والجيوش الربانية ابتداء وألف الكتابين الأخيرين دفاعاً.

والأمير محمد بن رشيد لا يعتقد مذهب ابن عمرو ورفاقه إذ هدد ابن سحمان، وإنما نقم عليه لما أقنعوه بأن ابن سحمان يكفره.

ويدل على ذلك موقف ابن رشيد من الخلاف الذي حصل في الأحساء وهو صورة للخلاف في القصيم بين آل سليم وابن عمرو ورفاقه، وللخلاف في حائل بين الملاحي والشيخ صالح بن سالم.

فقد ذكر ابن سحمان أنه لم يستجب لشكايات أهل الأحساء ضد الموالين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وذلك سنة ١٣١٤ هـ بل بعث إليهم برسالة بكّتهم فيها.

قال ابن سحمان: ولم نذكر الرسالة هنا لأجل طلب الاختصار والاقتصار(٤٩).

قال أبو عبد الرحمٰن: ويا ليته ذكرها.

ولابن سحمان كتاب ثالث بعنوان: الرد على ابن عمرو.

حصلت على صورة من أصل خطي له لدى آل سحمان غير معروف الناسخ ولا تاريخ النسخ، وليس عليه أثر تصحيح أو مقابلة وخلاله خط مغاير، وفيه إضافات إلى المتن خلال الطرة والحاشية والهامشين، وفيه شطب وتحويق.

وعلى أي حال فالنسخة مسودة تأليف لم ينقح بعد.

والرسالة رد من الشيخ عبد الله بن عمرو على قصيدة ابن سحمان الرائية في الرد على واحد من أهل الأحساء، ورد أيضاً على تعليقات وتقريظات على قصيدة ابن سحمان ظن ابن عمرو أنها للشيخ إبراهيم بن

---

(٤٩) ديوانه ص ١٥٦.

عبد اللطيف، وبين ابن سحمان أن التعليقات له، وإنما لم يصرح باسمه لأسباب ذكرها يأتي بيانها.

والتعليق والتقريظ المنسوب للشيخ إبراهيم رد على رسالة لرجل من أهل القصيم - لعله ابن عمرو - انتقد قصيدة ابن سحمان.

وموضوع القصيدة، والتقريظ، والرد أحد المواضيع الشائكة التي شغلت علماء أهل نجد تلك الفترة، وهو موضوع التكفير ومن يلزم تكفيره.

قال الشيخ ابن سحمان في مقدمة كتابه: «فقد تأملت ما كتبه عبد الله بن عمرو من الرد على ما كتبناه جواباً على ما بهرج وموه به على المنظومة التي كتبتها سنة خمس وثلاث مئة وألف لما سألني بعض الإخوان أن أكتبها جواباً على رسالة وأبيات وردت عليه من رجل من أهل الأحساء يزعم فيها - لما ناصحه عن المقام بين أظهر المشركين - أنه يظهر دينه بالحب في الله والبغض في الله والموالاة فيه والمعاداة فيه.

وهو في ذلك الزعم كاذب، لأنه ممن يركن إلى أعداء الله ويواليهم ويجالسهم.

ثم لما كان في هذا الزمان تبين هؤلاء الذين انقدحت في قلوبهم الشبهات وتلقوها من كتب أهل الجهالة والضلالات بالقدح في الإخوان والتضليل والتجهيل، والرد عليهم من غير برهان ولا دليل، وإباحة الإقامة بين أظهر المشركين ومخالطتهم من غير إنكار عليهم.

وهم أناس من أهل القصيم، وكان زعيمهم فيها عبد الله بن عمرو، وهو المتصدي للرد وإلقاء الشبهات والتحلي بحلية البهت والمكابرة في الحسيات.

وقد نسب هـ.ا المعترض ما كتبته من الجواب على اعتراضه إلى إبراهيم ابن الشيخ عبد اللطيف[٥٠] من غير تثبت في ذلك وعلى غير يقين

---

(٥٠) ولد رحمه الله سنة ١٢٨٠ هـ وتوفي سنة ١٣٢٩ هـ وصفه ابن عمرو بأنه عامي.
قال أبو عبد الرحمٰن: ولهذا أورد ما قاله عنه مترجموه.

= قال الشيخ ابن قاسم في الدرر السنية ١٢/٨٢ ـ ٨٣ و ٨٤:
الشيخ إبراهيم ابن الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمٰن ابن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولد في بلد الرياض سنة ١٢٨٠ هـ ونشأ بها نشأة حسنة وقرأ بعض القرآن على أبيه عن ظهر قلب، وأخذ العلم أيضاً عن أخيه الشيخ عبد الله، والفقه والنحو عن الشيخ حمد بن فارس وغيرهم.
برع في العلوم النقلية والعقلية، وكان آية في الفهم لم ير مثله في الذكاء والفطنة والحفظ، برز في كل فن حتى كاد يستوعب السنن والآثار حفظاً، وفاق أهل عصره.
له المعرفة التامة في الحديث والتفسير والفقه مع ما جمعه الله له من الزهد والعبادة، والورع والديانة ونصرة الحق، والقيام، أخذ من ذلك بالمأخذ الأوفى، غريب المثل في زمانه، شارف مقام الأئمة الكرام، أجمع أهل وقته على فضله، وشهد ذووه بنبله، يضرب به المثل في الذكاء والشهامة والحفظ، أثنى عليه أهل المعرفة.
وكان رحمه الله هيناً ليناً، مهاباً سمحاً، كريماً متحبباً، ومفيداً للطالبين، قوياً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يُهاب ولا يَهاب، ولا يخاف في الله لومة لائم، له قوة وإقدام، وشهامة وهيبة منها العجب، كريماً عن الدنيا لا يذكرها ولا تدور في ذهنه، رؤي من كرم أخلاقه وحسن عشرته ووفور حلمه وغزير فطنته ما لا يدرك».
وقال الشيخ إبراهيم بن عبيد في تذكرة أولي النهي والعرفان ٢/١٠٨ ـ ١٠٩:
«وله قوة إدراك وملكة على استخراج النصوص من مظانها، أضف إلى ذلك تسديداً في القضاء وعدلاً ومقدرة يقنع الخصمين وتطيب النفس بقضائه، ذلك لما من الله به عليه من كمال العقل والبصيرة والغوص على فنون العلم والمسائل والعدل والنية الحسنة.
وكان مع ذلك ذا أصل عظيم ومعرفة بالتوحيد وعلم العقيدة ومبعداً لأهل الضلال والتنديد، فكان عود الشجا في حلوق أعداء الله ورسوله، ومناصراً لأهل الدين والعلم، ولقد كان في أقضيته وتصديراته آية الله، حتى كان تضرب الأمثال بإقناعه للخصمين ورضاهما وقبولهما، فنسأل الله تعالى أن يجبر المسلمين بفقده. ولما مات اندهش الناس لموته، وكان الزاهد الصوفي عبد الكريم الدرويش المشهور لما بلغته وفاته كان في تلك اللحظة إلى جانب أمير من أمراء البادية، فضرب بيده على الأخرى وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون واشتد بكاؤه وجزعه، وقال: مات قاضي الرياض وتعطل الرياض بلا قضاء، يموت العالم فلا يخلف من عقبه من

من أمره بل على التخرص والكذب كما قال تعالى: ﴿إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون﴾ [سورة الأنعام/١١٦]، و [سورة يونس/٦٦].

وهذه هي حاله في غالب اعتراضاته إنما يبني أمره على الظن وعلى ما يفهمه، لا على ما هو مسطور واضح بيِّن ظاهر من كلام خصمه، لأنه لا يخاف الله ولا يتقيه، وليس من العلماء، وإنما يخشى الله من عباده العلماء.

وهذه الرسالة التي ينسبها لإبراهيم أنا الذي كتبتها، ولكني أوهمت من نظر فيها أنها لغيري لأسباب اقتضت ذلك، فظن هذا الغبي أن الذي كتبها إبراهيم، فاعترض عليها بما ستقف عليه إن شاء الله.

وقد تجاوز فيما كتبه الحد وأفرط في ذلك وألحد، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ثم اعلم أن هذا المعترض يذكر أولاً ما قلناه بقوله: قال صاحب الرسالة، ثم يعترض عليه بقوله: أقول.

فنجيب على اعتراضه الأخير بأن نقول: الجواب، أو فنقول.

قال المعترض: «قال صاحب الرسالة: بسم الله الرحمٰن الرحيم.

= يسد مقامه، ويموت هذا - ويشير للأمير - فيكون من عقبه عشرون شيطاناً كل واحد أنبه في الإمارة من الآخر.
يعني أن الأمراء كثيرون بخلاف العلماء، وصدق رحمه الله فإن الإمارة كثيرة أربابها بخلاف القضاء، فقد يموت الأمير ويكون له أنجال كلهم أمراء، وإن العالم بالشريعة لا يكون من عقبه من يسد مقامه، وهذا شيء مشاهد».
قال أبو عبد الرحمٰن: وترجمته مختصرة جداً في روضة الناظرين ١/٤٠ - ٤١ وفي مشاهير علماء نجد ص ١٢٥ - ١٢٦ وأوسع منه وفيه جديد ترجمته في علماء نجد ١/١٢٦ - ١٣٠.
قال أبو عبد الرحمٰن: للشيخ إبراهيم رسائل ضمن رسائل علماء أهل نجد، وله قصيدة نونية في الرد على أمين بن حنش. والذين رثوه بالشعر كالشيخ ابن عيسى أثنوا على فقهه.

الحمد لله الذي أوضح المحجة للسالكين، وأقام الحجة على جميع المكلفين.

أحمده سبحانه على ما أنعم به من عداوة أعداء الدين، وأشكره على ما أولاه من قمع من ذب عن المتضمخين بأوضار المشركينِ الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً، ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين. . . إلى آخر خطبته.

قال المعترض: افتتح هذا رسالته بتعظيم نفسه وأن الله منَّ عليه بعداوة من ذكر، وقمع من ذب عمن ذكر.

وهذه براعة استهلال أشار فيها إلى أن من نبه على خطأ ابن سحمان قد ذب عن المتضمخين بأوضار المشركين، وأنه بذلك من الصادين عن سبيل الله الباغينها عوجا المفسدين في الأرض.

فيقال له: إنك لم تقمع بهذا الهذيان أحداً، وإنما فضحت نفسك، وأبديت جهلك، وكنت به عاراً على من تنتسب إليهم، لكن لا يشعر تائه بمصابه.

ومعلوم أن رسالة افتتحت بالعجب والبهت رسالة مشؤومة ضررها أكثر من نفعها.

والجواب ـ ومن الله أستمد الصواب ـ: أن قول هذا المفتري الظالم «افتتح رسالته بتعظيم نفسه» كذب بحت، وتهور في القول، وحكم بالعول، فليس فيها ولله الحمد وله المنة من تعظيم النفس كلمة واحدة.

وهذا مما يتبين به المنصف قلة معرفته وكثافة جهله، وأنه عن معرفة صناعة العلم ومدارك الأحكام بمراحل تنقطع فيها أعناق الإبل.

ومن المعلوم أني إنما افتتحتها بالبسملة والحمد لله، فإن كان عند هذا الجاهل أن حمد الله عندما يقال على إيضاح الحجة للسالكين وقيام الحجة على جميع المكلفين، وعلى ما من به من عداوة أعداء الدين: تعظيم للنفس فهو اللائق بدينه ومعرفته»[٥١].

---

(٥١) كتاب الرد على ابن عمرو ص ١ ـ ٢.

وقال ابن سحمان: «قال المعترض: قال صاحب الرسالة: أما بعد فقد وقفت على رسالة كتبها بعض الملبسين من أهل القصيم على منظومة ابن سحمان، فلما تأملت ما فيها من الشقاشق والهذيان فإذا هي بمعزل عن معرفة الصواب والعرفان»(٥٢).

وقال ابن سحمان أيضاً: «وأما سؤالي من في بلدنا من أهل العلم: فهم ولله الحمد موافقون لنا على ما ذكرنا، وقد كتبوا على رسالة الشيخ إسحاق(٥٣) بما أكذب الله ظنون هؤلاء النوكى المتهوكين المحتارين المفتونين»(٥٤).

---

(٥٢) كتاب الرد على ابن عمرو ص ٤.

(٥٣) هو الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ولد سنة ١٢٧٦ هـ وتوفي سنة ١٣١٩ هـ.

قال الشيخ ابن قاسم في الدرر السنية ١٢/٨٠: «وارتحل إلى الهند سنة ١٣٠٩ هـ وأخذ عن الشيخ نذير حسين، وحصل له منه ومن غيره السماع والقراءة والإجازة وأخذ عنه الحديث المسلسل عن مشايخه، وأخذ من طريق علماء الهند عن المولوي، وقرأ عليه ثم ارتحل إلى بهوبال فقرأ فيها على الشيخ حسين بن محسن الأنصاري، والشيخ سلامة الله وأجازاه، وأخذ عن الشيخ محمد بشير وغيرهم، وأخذ عن علماء مصر وغيرهم، وحصل له منهم أيضاً السماع والقراءة والإجازة، ونبغ في عصره وبرع في فنون العلم: الأصول والفروع والنحو وغيرها حتى صار إماماً يقتدى به، فاضلاً ورعاً يُهتدىٰ به، حسن السمت دائم البشر، مشتغلاً بإلقاء الدروس، غزير الفوائد، كثير التحري فيما يورده، كثير التواضع، شهد له بالفضل والنيل أهل التحقيق والإنصاف».

وقال الشيخ إبراهيم بن عبيد في تذكرة أولي النهي والعرفان ١/٣٤٠ (- ٣٤٢ وص ٣٤٣ وص ٣٤٤: «كان المترجم أخاً للشيخ عبد اللطيف بن عبدالرحمن بيد أن الشيخ أبرع منه وأشهر، حتى كان الشيخ إسحاق يقر له بالفضل ويدعوه بشيخنا، وقد كان سافر إلى الهند في طلب العلم فكان في بلد دلهي، وكثيراً ما تتعاقب الرسائل بينه وبين الشيخ سليمان بن سحمان كما قد مر بنا بعضه، وقد سافر إلى مصر للدراسة على علماء الأزهر.

ومن ذلك أنه أرسل إلى الشيخ أبياتاً ورسالة يشكو ما حدث من الأغيار بعد ولاية أولئك الأشرار ويعج من فساد الزمان وكثرة المناكر والافتتان، فأجابه بأن ما حدث

لديهم أعظم من ذلك. . من اللهو والإعراض عن الدين والتكالب على الدنيا واستحلال الزكاة وأكل بالباطل وتضييع الصلوات وتعطيل شرائع الله وفعل الفواحش. . إلى غير ذلك.
من أبيات الشيخ إسحاق هذه القصيدة التي أنشأها لما استحكمت الغربة واشتدت الكربة، ثم ذكر القصيدة التي مطلعها:

يا عين فابكي واهمي الدمع كرات من حادث فادح نادىٰ بأشتات

ولد الشيخ إسحاق بن عبدالرحمٰن في سنة ألف ومئتين وست وسبعين، وقيل إن ولادته في سنة خمس وسبعين، وقيل سنة أربع وسبعين.

ولما أن بلغ سن التمييز وترعرع أدخله والده إحدى المدارس الأهلية، فقرأ القرآن وحفظه عن ظهر قلب ثم إنه أخذ يطلب العلم ويدرس في حفظ بعض المختصرات في الحديث، والفقه، والتوحيد ولازم والده وأخذ منه، ثم سافر بعد وفاة والده كما قدمنا، فوصل إلى هندستان لطلب الحديث، وكان ذلك في رجب سنة تسع وثلاثمئة وألف.
ولما أن قدم بلد بمباي حضر مجالس تحتوي على الأدب والغزل وشيء من فنون اللغة، وهو إذ ذاك متوجه إلى لقاء علماء الحديث الأفاضل ومشتاق إلى مجالسة الفحول الأماثل، ثم إنه بلَّغه الله أمنيته ومنَّ عليه برؤيتهم والاجتماع بهم، فأولهم السيد نذير حسين المقيم ببلدة دلهي، قرأ عليه شرح نخبة الفكر بالتأمل والتأني، ثم شرع في قراءة الصحيحين وقرأ أطرافاً من الكتب الستة وموطأ الإمام مالك وبلوغ المرام ومشكاة المصابيح، والجلالين في التفسير، وحصل له منه السماع والإجازة والقراءة، وذلك في شهر رجب سنة تسع وثلاثمئة وألف، وكانت إقامته عند السيد نذير تسعة أشهر.
ثم ارتحل في رمضان إلى بهوبال، فقرأ فيها على الشيخ حسين بن محسن الأنصاري في الأصول والفروع، وأجازه إجازتين: مختصرة، وإجازة عامة في كل ما تجوز له روايته وتنفع روايته من علم التفسير والتأويل والسنة، وذلك في شهر شعبان سنة خمس عشرة وثلاثمئة وألف.
وحضر لدى سلامة الله المدرس في بهوبال وسمع منه سنن ابن ماجه وغيرها وبعض كتب المعقولات، وقرأ على القاضي في حيدر آباد وغيرهم وعاد إلى وطنه فاشتغل بالتدريس والإفادة ونشر العلم.
ولما أن عاد إلى وطنه وجلس للتدريس، رحل إليه الطلاب من أطراف نجد للأخذ =

. . . .

= عنه والتعلم بين يديه، فنفع الله به ونشر علمه وقضى بقية زمانه في التعليم، فأقام على ذلك مدة إلى أن وافاه أجله المحترم في اليوم التاسع والعشرين من شهر رجب من هذه السنة، وكان له مؤلفات حسنة منها الجوابات السمعيات في الرد على الأسئلة الروّافيّات.

وغالب مؤلفاته فيما يتعلق في الإقامة بين أظهر المشركين والسفر إلى بلدان أعداء الملة والدين والهجرة والولاء والبراء.

ومن أحب أن يعرف قدره فليراجعها فإن فيها من الفوائد والبحوث ما يشفي العليل، ويروي الغليل».

وله مؤلف مختصر برأفيه شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب مما رماه به أهل الإفك والضلال من الكذب، وكانت فوق ما قيل فيها أعني تلك الكلمات، وعلى من أحب ذلك مراجعتها.

والمؤلَّف نفيس ينبغي لمن كرمت عليه نفسه أن يتأمله فإنه غزير الفائدة ويدل على عظمة مؤلفه ومكانة الرجل في العلم والمعرفة، وله أجوبة سديدة نفيسة ومكانة في التوحيد والعلوم.

ولما أن كان الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم ذات يوم في تدريسه كان أحد التلامذة يقرأعليه في مسائل الشيخ إسحاق المشهورة، فأوقف الشيخ عبدالله القارىء وأخذ يثني على الشيخ إسحاق ويمتدحه على رؤوس الناس، فقال: هذا كلام الشيخ العارف العالم إسحاق بن عبدالرحمٰن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

وجعل يذكر مناقبه ومناقب آبائه وأجداده، وأطال في تمجيده ونوه بذكره والثناء عليه.

والمترجم فوق ما قيل عنه في العلم والمعرفة، نسأل الله تعالى أن يرفع درجاته في الجنان وأن يسبغ عليه العفو والغفران إنه جواد كريم».

وترجم له في مشاهير علماء نجد ص ١٢٢ ترجمة طفيفة جاء فيها: «ورحل إلى مصر وجاور بمكة وأخذ عنه العلم بها كثير من النجديين وغيرهم.

وله رد على المدعو أمين بن حنش، وله الجوابات السمعية على الأسئلة الروافية أجوبة على أسئلة سأله عنها عبد الله بن أحمد بن عبدالله آل رواف. انظر ترجمة ابن رواف المذكورة في ص ٤١٥ من كتاب نهضة الأعيان تأليف محمد شيبة السالمي من أهل عمان.

فقد حرصت أشد الحرص على أن أقف على آثاره العلمية وهي كثيرة، فلم

= يسعدني الحظ، وهذه الترجمة المقتضية ناقصة عن إيفائه حقه واستيعاب فضله».
وترجم له في علماء نجد ١/٢٠٥ - ٢٠٦.
وقال القاضي في روضة الناظرين ١/٧٣ - ٧٥: «ومن أبرز مشايخه أخوه العلامة عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، وكان وصياً عليه فرعاه حق الرعاية، لأن أباه توفي وله من العمر تسع سنين، فعاش يتيماً عند أخيه وشيخه.
كما قرأ على الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، وكان قاضياً للرياض فلازمه في الأصول والفروع والحديث بجد ونشاط ومثابرة، كما قرأ على العالم الشيخ حسين المخضوب ومحمد بن محمود وحمد بن عتيق، لازم هؤلاء في الأصول والفروع والحديث ومصطلحه والتفسير وعلوم العربية، ونبغ في فنون عديدة خصوصاً في الحديث ومصطلحه، ثم سمت همته فقام برحلات عديدة، فمنها رحلته إلى مصر ودخوله الأزهر، وكان كاظاً بالعلماء العاملين، فلازمهم زمناً وذلك نقلاً عن خط تلميذه جدي صالح.
وممن ذكر رحلته إلى مصر عبدالرحمٰن بن عبداللطيف بمشاهير علماء نجد، كما رحل إلى الهند عام ١٣٠٩ هـ وقرأ على علماء الحديث فيها.
ومن أبرز مشايخه المحدث الشهير نذير حسين الذي أجازه بمروياته، ثم ارتحل إلى مدينة بهوبال بالهند فقرأ فيها على الشيخ حسين بن محسن الأنصاري والشيخ سلامة الله وأجازاه، وقرأ على الشيخ محمد بشير، وارتحل إلى الحجاز، وجاور فيها، وقرأ على علماء المسجد الحرام وجلس للتدريس فيه، فالتف إليه ثلة من الطلبة من بينهم الجد الشيخ صالح بن عثمان القاضي تتلمذ له وزامله على علماء الحرم، ثم غادر مكة إلى الرياض وقد تضلع من العلوم الجمة ما فاق به قرناءه.
فجلس للطلبة، فالتف إلى حلقته طلبة كثيرون ونفع الله به تدريساً وإفتاء.
ومن أبرز تلامذته تقدم ذكر جدي صالح وفالح بن صغير وعبدالله السياري وعبدالعزيز بن عبدالله الشمري وعبدالله العبدالعزيز العنقري ومحمد الفيصل وسالم الحناكي قاضي الرس وإبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ وفوزان السابق وعبدالرحمٰن بن داوود في آخرين. وله مؤلفات: فمنها الجوابات السمعية، وله رد على أمين بن حنش العراقي، وله فتاوى كثيرة، وعنده مخطوطات عند ابنه، وله رسائل ضمت للرسائل والمسائل النجدية المطبوعة.
رشح للقضاء مراراً فامتنع تورعاً منه وخوفاً من غائلته، وكان يؤثر الخمول ولا يحب الشهرة، وعلى جانب كبير من الأخلاق العالية والصفات الحميدة.

وقال: «وقوله ولم يكفه هذا حتى وصف ابن سحمان بحماية حمى الإسلام.

فالجواب: أقول: سبحان الله ما قال ذلك إبراهيم، وإنما قلته أنا لأسباب:

أحدها: أني لم أقل ذلك على سبيل التحقق بهذا العمل والافتخار به، ولكني أخبر عن أمر واقع فعلته لله وفي الله نصرة لدينه ورسوله عن عبث صعافقة لا علم ولا حلم.

السبب الثاني: إيهام من نظر فيها أنها لغيري خشية أن يسعى بي هو وأصحابه كما سعوا بنا أولاً وشكونا حتى لطف الله بنا.

السبب الثالث: أنه قد ذكر أهل العلم أن للإنسان أن يذكر عن نفسه ما يعلمه ويجهله غيره إذا احتاج إلى ذلك كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح على قوله ﷺ ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً.

وكما ذكره ابن القيم رحمه الله على قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: آه إن ها هنا لعلماً لو أصبت له حملة.

وقد ذكر القحطاني في نونيته عن نفسه وما من الله به عليه من إغاظة أعداء الله ورسوله وحمايته حمى الدين وأهله ما لم أبلغ من ذلك عشر معشاره.

= بينه وبين جدي مراسلات وهدايا كتب، وكان مستقيماً في دينه وخلقه يصدع بكلمة الحق ولا يخاف في الله لومة لائم، وله مكانة مرموقة ونفوذ للكلمة عند الولاة، ولم تزل هذه الحالة تتجدد حتى وافاه أجله المحتوم في الرياض في ٢٧ من شهر رجب سنة ١٣١٩ هـ يوم الأحد، فحزن الناس لفقده وبكته العيون ورثاه ثلة من العلماء، ومن بينهم سليمان بن سحمان وفوزان السابق، وخلف ابنيه محمداً ومات بعده بسنوات، وعبدالرحمن لا يزال موجوداً في الثالثة والتسعين من عمره، ولهما أولاد، فرحمة الله على الشيخ إسحاق فلقد كان عالماً عاملاً».

(٥٤) كتاب الرد على ابن عمرو ص ٥.

وقد أغظت بحمد الله ومنته أناساً كثيراً ممن شرق بهذا الدين وأرادوا خرق سياج حصنه الحصين، ومن جملتهم هؤلاء الحمقاء، فللَّه الحمد والمنة.

وحميت حمى الإسلام بتهجين ما لفقوه من الشبهات وإبطالها وردها: من إباحة ما حرم الله ورسوله من الإقامة بين أظهر المشركين من غير إظهار للدين على حسب قدرتي ومبلغ علمي»[٥٥].

ثم قال الشيخ ابن سحمان: «وأما قوله: وما هو إلا شاعر من أكثر بني جنسه شراً رأينا من شعره ما يثير الفتن بين الملوك والعامة.

فالجواب أن نقول: كأن هذا الغبي يعيبني بصناعة الشعر ومعرفته حيث لم يكن له به معرفة.

فقد كان من أفاضل هذه الأمة من يقوله كعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت رضي الله تعالى عنهم، وكالإمام الشافعي، وغيره من الأئمة، وكابن القيم وغيره، ومن شعراء أهل السنة كالصرصري[٥٦]، والقحطاني ولا جرم فإن العلم حديقة أنيقة وريقة، والآداب إنسان عينها والقريض من ثمر الآداب.

ثم ساق كلاماً فنياً عن فضل الأدب، ثم قال: استنشد النبي ﷺ شعر ابن أبي رواحة.. قاله الشيخ عبد اللطيف رحمه الله في المقدمة التي سودها على الكافية الشافية.

ثم ساق شيئاً من كلام شيخه الشيخ عبد اللطيف عن فضائل الشعر ثم قال: وأما قوله: من أكثر بني جنسه شراً: فالجواب أن يقال: هذا قوله في خصمه من غير بينة ولا برهان، ولا يعجز كل خصم عن أكثر من هذا، ولو أعطي الناس بدعواهم لادعى أناس دماء رجال وأموالهم.

---

(٥٥) كتاب الرد على ابن عمرو ص ٦.

(٥٦) تراجع ترجمته رحمه الله فإن عليه مؤاخذات لا سيما في قصيدة له في مدح الرسول ﷺ.

وهذا الرجل لا يتحاشى من قول الزور ولا يتكلم بالعدل والإنصاف.

والواجب أن يكون الكلام بعلم وعدل لا يجهل وظلم، فإن العدل واجب لكل أحد على أحد في كل حال، والظلم محرم مطلقاً لا يباح قطعاً بحال قال تعالى: **﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾** [سورة المائدة/٨].

وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار، وهو بغض مأمور به.

وأما قوله: رأيت من شعره ما يثير الفتن بين الملوك والعامة: فالجواب: أن أقول: لا جرم إن كان وقع ذلك فلأجل سعايتك ووشايتك وكذبك وبهتانك وتحميل كلامي ما لا يحتمله، ودعواك أني إنما عنيتهم بما كتبته، وأني أكفرهم.

فكان في الحقيقة كلامك هو الذي أثار الفتن بين الملوك والعامة.

وقبل اعتراضك وشكايتك وإثارتك الفتنة لا تدري الملوك بشيء مما نحن فيه، حتى إن القصيدة التي اعترضت عليها لم يعلموا بها إلى أن رفعت إليهم الشكاية وسعيت بتلك السعاية، وزعمت أنهم هم المقصودون بها ظلماً وعدواناً وكذباً وبهتاناً.

وهذه القصيدة مقولة قبل أن يكون لهم ولاية على المسلمين»[٥٧].

وقال ابن سحمان: «قال المعترض: وأما قوله: ثم بعد ذلك أتى صاحب القصيدة بطامة كبرى لا يسع السكوت عليها ولا يرضى بها مسلم.

ابتلي بها عقوبة له على تشديده وجسرته على القول على الله بغير علم ليفتضح ويبين جهله عياذاً بالله.

فذكر أن محبة الله ومحبة ما يحب وبغض ما يبغض وعدوان من عادى وموالاة من والى محال أن يتصف بها من أقام في بلدة ولاتها طغاة.. إلى آخر ما قال.

---

(٥٧) كتاب الرد على ابن عمرو ص ٩ ـ ١١.

ثم قال: أقول: نعم هذا تنبيه من نبه على تنبيه ابن سحمان، وهو كلام مطابق لمعناه يعرفه كل منصف، فإن ابن سحمان قال في قصيدته:

والحب والبغض الذي هو ديننا ... وعداوة في الله وهي عيار
وكذا الموالاة التي لجلاله ... إن أمعنت في ذلك الأنظار
أمر محال في ولاية من طغى ... لو كان حقاً ما دهاك قرار[٥٨]

والجواب: أن نقول قد حرف هذا المعترض كلامي، وتصرف فيه، وحمله ما لا يحتمله، وهذا نص النظم ليتبين لكل منصف تجانفه للإثم والعدوان، وكونه غارب البهت والطغيان، والتعسف بالهذيان، وفيه البيان الكاشف لغياهب ما سُجِّي من ليل عدوان المعترض عن حال الطغاة البغاة من أهل الكفر والعصيان، وأنهم أناس مخصوصون من طوائف الكفر لا كما يزعم هذا الظالم: أنه لفظ عام يدخل فيه الأولون والآخرون، وأننا كفرنا به أولي العزم من المرسلين، ولم نرد به خصوصاً.

كأنه قد اطلع على ما في القلوب والضمائر، وانكشفت له الحقائق والسرائر.

وهذا القول إنما صدر منا في رجل معين وبلد معينة وأناس مخصوصين كما تقدم بيانه.

وهذا نص المنظومة التي أجبنا بها ذلك الأحسائي[٥٩] واعترض عليها هذا الرجل:

علماً بأن النقل نقل ثابت ... جاءت به الأخبار والسفار
والزعم ليس بقيل واش كاذب ... بل نقل عدل ليس فيه عوار
هذا وقد أمعنت فيما قلته ... نظراً فلم تخدعني الأعذار

---

(٥٨) هذا النص مطابق لما في ديوان ابن سحمان ص ٧٦ ط م المصطفوية.

(٥٩) القصيدة في ديوانه ص ٧٥ ـ ٧٧ جاء في مقدمتها: «جواب أبيات وردت من الأحساء يزعم صاحبها أنه يظهر دينه بالحب في الله والبغض في الله، والموالاة فيه والمعاداة فيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
وكان كاذباً في ذلك الزعم».

بل قد ثنيت أعنة قد زمها ... أهل التقى الأخيار والأطهار
ولقد أتى ما صح عنهم أنه ... إن لم يهاجر من لديه يسار
قد قارف الذنب الخطير وإنما ... مأواه في يوم الجزاء النار
فارجع لربك تائباً متضرعاً ... واسأله عفواً إنه غفار
واعلم بأن الظُّلْم والظُّلَم التي ... قد شادها الإصرار والأصار
في هذه البلد الذي أنتم بها ... والحكم بالقانون والأوزار
فيها شهير ظاهر لا يختفي ... إلا على من غره الغرار[٦٠]
وبها اللواط لدى العساكر والزنا ... والخمر والتنباك والزمار
والرفض عندكمو رخيص سعره ... إظهاره ما إن له إنكار
والله حرم مكث من هو مسلم ... في كل أرض حلها الكفار
ولهم بها حكم الولاية قاهر ... فاربأ بنفسك فالمقام شنار
وانظر حديثاً لابن ماجه ذِكْرُه ... نقل الثقات رواته الأخيار[٦١]
فيه البراءة بالصراحة قد أتت ... من مسلم وكذلك الآثار
قد صرحت فيمن أقام ببلدة ... مستوطناً وولاتها الكفار
والمرء ليس بمظهر للدين بل ... للمكث في أوطانه يختار
إلا الذي هو عاجز مستضعف ... فالنص جاء بعذره لا العار
والحب والبغض الذي هو ديننا ... وعداوة في الله وهي عيار
وكذا الموالاة التي لجلاله ... إن أمعنت في ذلك الأنظار
أمر محال في ولاية من طغى ... لو كان حقاً ما دهاك قرار

إلى آخر الأبيات.

فمن تأمل المنظومة، وأنها في رجل معين وأناس من أهل الكفر مخصوصين في بلد معينة، وتأمل أيضاً ما يراد بالحب والبغض الذي هو ديننا في هذا الموضع، فإنه لما لم يمكن في النظم لأجل الوزن: أن نقول: الحب في الله والبغض في الله.

---

(٦٠) هذا البيت ليس في الديوان.
(٦١) في الديوان: وانظر حديثاً في البراءة قد أتى.

وكذلك لم أقل في نظمي: حب الله، بل هو الذي قالهـا من تلقاء نفسـه، وزعم أنها الإسلام.

فمن تأمل ذلك عرف بغيه وظلمه وعدوانه، ولكن لغبائه وعدم معرفته لمباني النظم ومعانيه مع ما تلبس به من إرادة الشر حرَّف وتصرف، وقال بمفهومه القاصر ما قال لإلزامنا بغياً وعدواناً أنا نكفر أولي العزم من الرسل.

والثلاثة الأبيات التي انتزعها المعترض وترك ما قبلها وما بعدها: جواب لقول الأحسائي: إنه يحب في الله ويبغض في الله ويعادي في الله ويوالي في الله.

فقلنا له: هذا أمر محال وجوده منكم في ولاية من طغى من هؤلاء القوم المخصوصين.

ولو كان حقاً: (أي دعواك إظهار الدين بهذه الأعمال التي هي أوثق الإيمان والمتصف بها من أهل ولاية الرحمٰن): لما دهاك القرار والتسويف والاغترار، ولما أقروك فيها.

ثم ذكرت الدليل على ذلك، وأن من أظهر دينه وعادى في الله ووالى في الله وأحب في الله وأبغض في الله: فإن الكفار لا يدعونه، وذلك كما قال قوم شعيب لشعيب عليه السلام: **﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا﴾** وكذلك قول أهل الكهف: **﴿إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم...﴾** الآية.

فمن تأمل كلامي كما ينبغي عرف عدوان هذا المعترض وتعنته وأنه حاطب ليل والله المستعان»(٦٢).

وقال ابن سحمان: «ثم لما قلت في جوابه: **الوجه الأول**: أن هذه المنظومة جواب أبيات أرسلها رجل من أهل الأحساء إلى رجل في بلد العارض يعتذر فيها لما ناصحه عن الإقامة بين أظهر المشركين وهو قادر على الهجرة، فزعم في اعتذاره أنه يظهر دينه، وأنه يحب في الله ويبغض

---

(٦٢) كتاب الرد على ابن عمرو ص ١٦ ـ ١٨.

في الله، وأنه على ما كان عليه أهل التقى والعلم من إظهار الدين، وأنه لم يحالف كفاراً ولم يجالسهم.

وهو في ذلك كاذب.

قال المعترض: أقول واعجباً كيف يتصدى مثل هذا للجواب؟

فيقال له: هذا لا يفيدك شيئاً، ولا يتغير به حكم، فإن قول ابن سحمان الحب والبغض وما ذكر معه محال في ولاية من طغى»[٦٣].

وقال ابن سحمان: «وأعجب منه أن بعض من يدعي العلم ويتصدى للتدريس قبلها.. إلى آخر ما ذكر. فتأمل رحمك الله تعجب هذا الأعمى عن طريق الحق لما قبل الشيخ محمد بن سليم[٦٤] ما أوضحناه وبيناه من نفي ما افتراه علينا وتحامله ودعواه أنا ننفي الإسلام عمن في ولاية من طغى من المسلمين، وأنا بذلك كفرنا أولي العزم من المرسلين.

ومعرفته بما أردناه وقصدناه»[٦٥].

وقال ابن سحمان: «قال المعترض: فإن كلامه مع صاحب الأحساء، وهو تحت ولاية الدولة العثمانية... إلى آخره.

فيقال: وإذا كان ذلك أننفي الإسلام عمن في ولاية من طغى؟!.

فأقول: قد تقدم الجواب عن هذا، وأن لفظ الإسلام من تأويله وتحريفه ما لفظ به فمي، ولا جرى به قلمي، ولا عقد عليه قلبي.

وأما دعواه أن الحجة لما دمغتني فلم أدر ما أقول، وأني أردت أن أصرف كلامي عن ظاهره فلم أستطع فاتخذت المماحلة ديدني والبهت ميزاني، فمرة أثبت ومرة أحرف: فهذا كله مما يعلم كل منصف أن هذا

---

(٦٣) كتاب الرد على ابن عمرو ص ٢٨ ـ ٢٩.

(٦٤) الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم انظر عنه علماء آل سليم ١/ ٢٠ ـ ٥٢ وتذكرة أولي النهي والعرفان ١/ ٣٤ ـ ٤٦ ومشاهير علماء نجد ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ وعلماء نجد ٣/ ٨٧٢ ـ ٨٧٥ وروضة الناظرين ١/ ٢١١ ـ ٢١٤.

(٦٥) كتاب الرد على ابن عمرو ص ٣٦ ـ ٣٧.

وصفه وشمائله، وأنه بحاله ألصق وبمقاله أليق، وأنه هو الذي لما دمغته الحجة لم يدر ما يقول.

وأما قوله: ويقال أيضاً: ما الذي حملك على هذه الجسرة وقلة الحياء حتى رميت الدولة العثمانية بالكفر، ولم تقيد كلامك بتعيين شخص أو أشخاص، بل عميت جميعهم.

ومعلوم أن ابتداء الدولة منذ قرون كثيرة؟.. أما استحييت ممن يقف على كلامك إذ لم تستح من الله؟!.

فالجواب أن أقول: حملني على ذلك معرفتي بما كانوا عليه من الكفر بالله من دعاء الأولياء والصالحين والاستغاثة بهم في الملمات والمهمات، ونصرتهم لعباد القبور وحمايتهم، والكون معهم باطناً وظاهراً للحكم بغير ما أنزل الله، واستحلال ما حرمه.

وقد وضعوا قانوناً يخالف ما شرع الله ورسوله يحكمون به وينفذونه في الرعايا وينبذون كتاب الله وسنة رسوله وراء ظهورهم.

وهذا أمر معلوم مشهور لا ينكره إلا مكابر، وقد علمنا وتحققنا مذهبك في هؤلاء الذين تجادل عنهم وتذب عنهم: أنهم عندك ـ بهذه الأفعال المخرجة من الإسلام ـ ليسوا كفاراً، بل هم جند الإسلام عندك وذويك ممن عميت عين بصيرته. نعوذ بالله من الحور بعد الكور.

والجواب: عن التعميم والإطلاق: أن الكلام أخرج مخرج العموم والمراد به الأغلب والأكثر، وهذا معروف في كلام العرب لا ينكره إلا جاهل.

وأما التقييد بتعيين شخص أو أشخاص فهذا مما لا سبيل إليه إلا بعد التحقق والاطلاع على الأمر الصادر منهم.

وأما من ذكرنا فأكثرهم على ما وصف من حالهم، والحكم على الغالب لا على الأفراد.

وقد كان من المعلوم أن هؤلاء الترك كانوا من أبعد الناس عن حقائق

الإيمان والإسلام في القرون الماضية، وأنهم متظاهرون بعداوة المسلمين وبعدم القيام بأركان الإسلام ومبانيه العظام وترك الصلوات وشرب الخمور وإظهار الفحش والفجور.

قال شيخ الإسلام في المنهاج في أثناء كلام له: وهل في مجرد كون الرجل تولى التدريس في مثل دولة الترك الكفار؟.

فأطلق رحمه الله الكفر عليهم، ولم يقيد ذلك بتعيين شخص أو أشخاص.

وهذا في زمانه رحمه الله، والأمر ما زاد بعده إلا شدة وبعداً عن الإسلام وعداوة لأهله واستهزاء بحقائق الإسلام وجحداً ورداً لأحكامه، وهم من أكفر خلق الله، ولا يشك في ذلك إلا من أعمى الله بصيرة قلبه وكان في حيرة وقلبه في غلاف عن معرفة الحق وما كان عليه القوم من الكفر بالله، فنعوذ بالله من رين الذنوب وانتكاس القلوب»[٦٦].

وقال ابن سحمان: «وقد حصل بعض مقصود هذا المعترض فساعده الملوك وأعانوه على الإثم والعدوان ومعصية الرسول حيث تشامت أرواحهم واتحد مقصودهم، وأمره أن يرسل برده هذا إلينا ووعدهم أنا إن أجبناهم على ما لفقوه من الشبهات أنه ينتصر لهم، وقام قياماً تاماً في نصرهم حتى قال في بعض مراسلاته التي ينتصر بها لهم: إنه لم يوجد بعد الرسول ﷺ في نجد وما يليها من الأقطار والأمصار شرك ولا كفر تعريضاً بأن ما دعا إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الدعاء إلى توحيد الله والنهي عن الشرك الذي وجد أهل نجد وأهل الأمصار عليه فجاهدهم على ذلك: أنه ليس من الدين في شيء، بل هو مجرد هوى وطلب للملك بدعوى الجهاد، بل كلهم أهل إسلام، ولكن الله وله الحمد منَّ بلطفه، وعاد بعائدة بره وإحسانه فكف ألق الظالمين.

يريد المرء أن يلقى مناه ويأبى الله إلا ما أرادا»[٦٧]

(٦٦) كتاب الرد على ابن عمرو ص ٦١ ـ ٦٣.
(٦٧) كتاب الرد على ابن عمرو ص ١٣٥.

قال أبو عبد الرحمٰن: وأما كتاب ابن سحمان الجيوش الربانية في كشف الشبه العمرية فلا يزال مخطوطاً.

قال أبو عبد الرحمٰن: الجيوش، والقول المنيف: ألفهما ابن سحمان ابتداء في الرد على ابن عمرو جواباً على رده على الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف كما يظهر لي من كلام ابن سحمان(٦٨).

والقول الغائض: والرد على ابن عمرو ألفهما دفاعاً مناقضة لابن عمرو في ردوده على ابن سحمان كما يظهر من مقدمتيهما.

والكتابان الأولان لم أطلع عليهما بعد.

وأما الجواب الغائض لأرباب القول الرائض(٦٩) فلم يذكره أحد ممن ترجم لابن سحمان وحاول حصر مؤلفاته والتعريف بها وبطبعاتها وأماكن وجودها إن كانت مخطوطة.

وقد حصلت على صورة من نسخته الخطية من جامعة الملك سعود، وهي بخط عبد الله بن إبراهيم الربيعي سنة ١٣٤٦ هـ.

وهو ضمن مجموع يتضمن فتاوى علماء نجد.

وهو أيضاً أحد ردود ابن سحمان على ابن عمرو.

قال في مقدمته: «فاعلم أنه قد نبغ في هذا الزمان أناس من أهل

---

(٦٨) انظر منهاج أهل الحق والاتباع ص ٨١.
والجيوش الربانية، والرد على الرد العنيف ذكرهما الشيخان عبد الرحمٰن بن عبد اللطيف، وابن بسام.
وتفرد ابن بسام بذكر الرد على ابن عمرو إضافة إلى الكتابين السابقين.
ولم يذكر المترجمون في الرد على ابن عمرو غير هذه الكتب الثلاثة.
قال أبو عبد الرحمٰن: لما وجدت كتابين مخطوطين هما الرد على ابن عمرو، والقول الغائض، ولما كان هذان الكتابان غير الرد على الرد العنيف، وغير الجيوش الربانية تيقنا أن ابن سحمان رد على ابن عمرو بأربعة كتب.

(٦٩) لم أعرف مراده بالرائض في هذا العنوان، ولعله أراد ذوي المحاورة والمداورة والمخادعة في التزييف بالباطل.

القصيم قد انقدحت في قلوبهم الشبهات وصادفت قلوباً قد ملئت بحب الشهوات مع ما هم فيه من الجهل المركب العميق والخوض بالدعاوى الكاذبة من غير إدراك ولا تحقيق.

وذلك في العلوم الشرعية والمباحث الدينية بغير دليل ولا برهان ولا بينة من السنة والقرآن ولا كلام صحيح صريح عن أهل التحقيق من أهل المعرفة والإتقان، ولكن بشبهات واهية ومغالطات وعبارات عن الدليل عارية، وأحاديث مجملة محتملة خاصة وقضايا عينية وأدلة جزئية لا يعارض بمثلها النصوص الصريحة القاطعة الجلية والقواعد الكلية.

وكان المتصدي لهذا الاعتراض والاجتراء من له النصيب المتكاثر والحظ الوافر من الافتراء رجل مبتلى يقال له عبد الله بن عمرو، قد ابتلي والعياذ بالله بجمع الشبهات وتتبعها من كتب أهل الضلالة والجهالات، واعترض على أهل الحق بما لا يجدي ولا يفيد من الهمط والتحريفات وَلَيِّ المعاني بالتأويلات الجائرة والأكاذيب المخترعة الخاسرة وتحريف الكلم عن وضعه بجمود ذهنه وكثافة طبعه وتحميله ما لا يحتمله من عندياته ورعونات جهالته وخزعبلاته.

مع أنه ليس من أهل العلم ولا ممن عرف بالرواية والدراية والفهم، وإنما هو فدم وقح ضال، فقال وأمن السيف فاستطال، وقد ضَمَّن اعتراضه من الشتم والسب ما هو اللائق بعقله ودينه، إذ كان ذلك محصول ما لديه وغاية ما يعتمد إذا ألجأته الحجة عليه كما قيل شعراً:

ويشتم أرباب الهداية ضلة ولا سيما أن أولجوه المضائقا[٧٠]

فما كان بهذه المثابة فإنا نرجو من الله على ترك الجواب عنه الإثابة، وسنضرب عنه إن شاء الله صفحاً، ونطوي عليه كشحا اللهم إلا بعض المواضع التي لا يمكن السكون عندها، فقد قال تعالى: ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل إنما السبيل على الذين يظلمون الناس

(٧٠) من قصيدة لأبي حيان النحوي في كتابه البحر المحيط يعنف على الزمخشري وكشافه، ونص البيت: ويشتم أعلام الأئمة... إلخ.

ويبغون في الأرض بغير الحق﴾ [سورة الشورى/٤١ ـ ٤٢].

وهم إنما جعلوا هذا الشتم والتجهيل والتضليل معولهم ظناً منهم أن في ذلك حطاً من قدر من جهلوه وضللوه، وأن لهم به رفعة وشرفاً، وبئسما انتحلوه وفعلوه، فعجوا وضجوا، وما أبقوا ممكناً، وصاحوا وباحوا بالهجر والفجور سراً وعلناً، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

فاستعنت الله على نقض ما تصدى له من الشبهات وإبطال ما اعتمد عليه من التحريفات والتمويهات، وما ألزمنا به من التكفيرات عدواناً وبغياً وحسداً وحنقاً وغيظاً وكمداً، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

قال المعترض: وقفت على رسالة لرجل من أهل العارض يقال له سليمان بن سحمان فيها من المجازفة ما يعرفه كل عاقل فضلاً عن العالم، ورسالة إليه ممن أرسل إليه سليمان الأولى فيها بعض إشارة إلى تخطئة سليمان، وفي آخرها سؤال مقصود صاحبه بيان ما اغتر فيه سليمان من تكفير من أجاز السفر إلى بلاد المشركين.

ومراده بها الحجاز والعراق ونحوها من البلاد»[٧١].

وقال:

«وأما قوله ورسالة إليه ممن أرسل إليه سليمان الأولى... إلى آخره» فأقول: الرسالة التي يشير إليها المعترض هي التي أرسل بها سابق، وأجاب عليها الشيخ عبد الله، وبين خطأه في تخطئته إياي، وأنه إنما أتى بمجونات وسفاسط وتحريفات للمعاني.

فاعترض عليه هذا الغبي الجاهل بهذا الاعتراض العاطل الذي لا يصدر عن ذي لب وعقل، ولا ممن له معرفة بالنقل فضلاً عن أن يكون من أهل الدراية والفضل.

وأما قوله: وفي آخرها سؤال مقصود صاحبه بيان ما اغتر فيه سليمان من تكفير من أجاز السفر إلى بلاد المشركين.. إلى آخره.

---

(٧١) الجواب الغائض ص ٤ ـ ٥.

فالجواب: أن يقال: أما دعوى تكفير من أجاز السفر إلى بلاد المشركين فمحض دعوى كاذبة خاطئة ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم، ولكن قبله من بهت أئمة هذه الدعوة الإسلامية وأنهم يكفرون بالذنوب»(٧٢).

وقال: «ولما ارتحل بعض أصحابك لطلب العلم إلى الشام حيث كان لم يعهد هذه الأصول والواجبات، ولم تكن منه على بال: رجع من سفره وهو يقول بجواز التوسل بالأولياء والصالحين ودعائهم، وأن القرآن لا يحتج به، وأن الرسول لم يبعث إلى جميع الناس.

ثم إنه أظهر التوبة عن القول بهذه الورطات، وبلغنا في هذه الأيام أنه رجع إلى القول بها.

فإن صح ذلك فنعوذ بالله من الحور بعد الكور، فهذا بعض مفاسد السفر إلى بلاد المشركين ومخالطتهم من غير معرفة لهذه المسائل ولا معرفة بأدلتها القاطعة للخصم»(٧٣).

وقال: «إذا حكمت بتحريم السفر إلى الحجاز ونحوها إلا بما ذكرت من الشروط، وحكيت عليه الإجماع القطعي فمعلوم أن مستحله كافر، وإذا ثبت ذلك فأهل نجد وسلطانهم كذلك إلا من وافقك من الحمقاء، فاحكم بذلك الحكم على بلدك واسترح.

وهذا ظاهر اللزوم لك، وقد صرح به ابن سحمان في قصيدته التي تابْ فيها للأمير أعزه الله بطاعته.

ويقال ثانياً: ذكرت أولاً لتحريم السفر إلى بلاد المشركين والإقامة في بلادهم شروطاً، ثم ذكرت هنا التحريم مطلقاً، فلا ندري أي هذه الأقوال مذهبك؟.

والجواب أن يقال: قاتلك الله ما أعظم جراءتك وأقل حياءك وأشد كلبك على أهل هذه الدعوة.

---

(٧٢) الجواب الغائض ص ٧.

(٧٣) الجواب الغائض ص ٧٧.

وبودك يا عدو الله أنه لم يبقَ على وجه الأرض من أهل هذه الدعوة النجدية التي منَّ الله بها في نجد آخر الزمان من يقوم بها وينشرها في الأرض.

ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

وليس هذا منا تجازفاً من القول ولكن قد بذلت الجد والجهد في ذلك وسعيت بالشكاية، وذكرت أن في جميع قرى نجد من هؤلاء الغلاة كيت وكيت.

وأقلّ ما طلبت أن يفعل بهم كما فعل عمر بصبيغ، ويأبى الله إلا ما أراد، فللّه الحمد رب السمٰوات ورب الأرض وهو العزيز الحكيم»[٧٤].

وقال: «وقد نبهت على ما زعموا أني أكفر به من هذه القصيدة.

وأما أني تبت منها فحاشى وكلا، ولكن لما عجزوا عن الجواب ووفدوا إلى الأمير يشكون، وزعموا أنا نكفره ونكفر من سافر إلى بلاد المشركين، وصدقهم في ذلك: جاءنا منه تهديد ووعيد ومنع من الكلام والجواب.

فكتبت له قصيدة أطلب منه العفو عن ظلمي وأعتذر منه بنوع من التأويل»[٧٥].

قال أبو عبد الرحمٰن: وهذا الكتاب عظيم الفائدة للدراسات التاريخية عن الحركة الفكرية في أواخر عهد ابن رشيد وأوائل عهد الملك عبد العزيز رحمهما الله.

وقد أشار في هذه الرسالة إلى دعوة ابن عمرو إلى عقل معيشي.

وأشار إلى جواب الشيخ إسحاق على ما أورده أصحاب ابن عمرو عن حكم الدار والإقامة بين أظهر المشركين.

(٧٤) الجواب الغائض ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣.
(٧٥) الجواب الغائض ص ٢٦٠.

ورأيت ابن سحمان في هذا الكتاب وفي كتاب آخر ينسب الوهبة إلى الرباب[٧٦].

وهذا موافقة لما ذهب إليه ابن منصور، وابن لعبون[٧٧].

ومن نفائس هذا الكتاب تقصيه النقول عن حكم لعمري، وأفلح وأبيه[٧٨].

وأما ابن عمرو فقد ترجم له الأستاذ محمد بن عثمان القاضي فقال: «هو العالم الجليل الشيخ عبد الله بن علي بن عمرو من فخذ الصمدة من قبيلة الظفير.

وآل عمرو منهم آل سلطان بالبكيرية وآل منصور برياض الخبراء وآل مزيد في عنيزة وبريدة.

ولد هذا العالم في الخبراء عام ١٢٨٧ هـ ونشأ نشأة حسنة.

وقرأ القرآن وحفظه تجويداً ثم حفظه عن ظهر قلب، وشرع في طلب العلم، فرحل إلى القصيم، وقرأ على علمائه، وأقام زمناً في بريدة، وتفقه على علمائها.

ويقول الشيخ إبراهيم بن ضويان: إنه رحل إلى الرياض فقرأ على علمائه ولازم الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن وأدرك إدراكاً جيداً، وجلس للطلبة وكان حسن التعليم، وسافر إلى الشام وسكن حلب، وأخذ من علمائها ثم عاد إلى نجد.

وفي سنة ١٣٢٢ هـ جاور في مكة المكرمة، ولازم المسجد الحرام، وتأثر من علمائه الذين يجابهون دعوة آل الشيخ، فوافقهم، وصار من مناوئي آل الشيخ، وألف كتابه: الرد العنيف على آل عبد اللطيف.

---

(٧٦) الجواب الغائض ص ٢١.

(٧٧) انظر تحقيق شيخنا في علم النسب الشيخ حمد الجاسر في كتابه جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ٢/٨٦٧ ـ ٨٧٢ وهو مؤيد لما مشى عليه ابن سحمان.

(٧٨) انظر الجواب الغائض ص ٩٢ ـ ١٩٨.

وقد تصدى للرد عليه الشيخ سليمان بن سحمان ورد عليه أخطاءه.

وقد عاد إلى نجد من الحجاز وصار يؤلب على آل الشيخ وعلى الحكومة التي تؤيدهم مما كان سبباً لقتله في عام ١٣٢٤ هـ عفا الله عنه»[٧٩].

وترجم له ترجمة مظلمة الشيخ إبراهيم بن عبيد وجعل وفاته سنة ١٣٢٦ هـ[٨٠].

وقال الشيخ صالح العمري: «ثم إنه سافر للشام ومصر، وعاد بعد ذلك، وتنكر لمشايخه مع من تنكر من تلامذتهم حتى آل به الأمر إلى المجاهرة في ذلك، وأظهر المخالفة للدعوة وأتباعها.

ويقال بأن له رداً على بعض أئمة الدعوة، وأنه أراد طبعه في مصر فلم تقبل بعض المطابع طبعه.

حدثني بذلك الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع.

ولما جاهر بالعداء للدعوة وأظهر المخالفة لولي الأمر: أفتى بعض العلماء بوجوب قتله فقتل في عام ١٣٢٦ هـ.

ويقال بأنه زور وثيقة على أعيان بريدة، ووضع لهم أختاماً مزورة ختم بها الوثيقة بنقض بيعة أهالي بريدة للإمام عبد العزيز والانضمام إلى حماية الترك، وأن هذا من أسباب الفتيا بقتله والله أعلم»[٨١].

وذكر وفاته في عام ١٣٢٤ هـ القاضي في كتابه الآنف الذكر[٨٢] وابن بسام وقال: «فلما قام الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود بإعادة ملكهم وتوحيد الجزيرة العربية صار المترجم له من المعارضين له، وأخذ يجاهر بذلك ويحذر من اتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب حكومة وأفراداً ويصف دعوته بالشدة والعنف.

---

(٧٩) روضة الناظرين ١/٣٤٦ - ٣٤٧.

(٨٠) تذكرة أولي النهى والعرفان ٢/٩٠.

(٨١) علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم ٢/٣٥٧.

(٨٢) وفي كتابه منهاج الطلب أيضاً ص ٧٢.

حدثني الشيخ محمد نصيف رحمه الله قال: اجتمعت به في مكة المكرمة عام ١٣٢٤ هـ وكان قد سمع عن معتقدي السلفي، فصار يحذرني من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويصفها بالعنف والشدة.

وحدثني الشيخ محمد بن مانع رحمه الله قال: كنت في القاهرة في مطبعة الحلبي فعرض عليها كتاب المترجم له واسمه: (الرد العنيف على آل عبد اللطيف) لطباعته ونشره فلم توافق المطبعة على نشره.

وقد انبرى للرد عليه وتوهين شائعاته وأخطائه الشيخ سليمان بن سحمان.

وحدثني الرجل الصالح المعمر ابن عمه راشد آل عمرو قال: إن الشيخ سافر إلى حلب، وإن الله هدى به خلقاً كثيراً، وإن معاداته للدعوة والقائمين عليها إنما هي من نزعات سياسية وأهواء فردية كان محمولاً عليها من أعداء الحكومة الناشئة، فهو جريء وعقيدته أمرها إلى الله تعالى فهو المطلع على نواياه ومقاصده.

والذي يُنقم على المترجم له ويؤخذ عليه فيه هو هذه الدعاية التي شنها ضد حكومة عادلة ناهضة تريد توحيد الجزيرة العربية ولم شعثها وتلك الشائعات الكاذبة التي بثها ضد دعوة سلفية مصلحة مما دعا إلى قتله عام ١٣٢٤ هـ»[٨٣].

---

(٨٣) علماء نجد ٢/٦٠٣.

٤ - بين معركة الصريف وحصار الرياض الأول سنة ١٣١٨ هـ

كنت في زيارة لسمو الأمير عبدالرحمٰن بن عبدالله بن عبدالرحمٰن بن فيصل آل سعود وكان الحديث عن أداء الواجب في زيارة الأقارب وشبههم وحق الكبير، وورد الحديث عن حق كبيرة من قريبات سموه ولدت منذ وقعة الصريف.

وحدث النزاع هل كانت الوقعة عام ١٣١٨ هـ أم عام ١٣١٩ هـ، وبناء على إلحاح الشيخ عبدالعزيز بن عبدالرحمٰن ابن مبارك على التاريخ الأول دلفت إلى مكتبة سموه وكان أقرب مصادر يواجهني كتاب شبه الجزيرة لخيرالدين الزركلي وإذا به يقول: «يوم ١٣١٨/١١/١٧ هـ فاز ابن رشيد - يعني في وقعة الصريف - وانهزم ابن صباح إلى الكويت بمن بقي حياً من رجاله»[١].

ثم قال: «وجاءه أبوه الإمام عبد الرحمٰن بعد هزيمة الصريف فاستقبله عبد العزيز على أبواب الرياض.

واتفقا على العودة إلى الكويت بمن معهما».

قال أبو عبد الرحمٰن: وأنكر سمو الأمير عبد الرحمٰن بن عبد الله بإصرار وقطع أن يكون الإمام عبد الرحمٰن جاء للرياض بعد وقعة الصريف عام ١٣١٨ هـ أثناء حصار عبد العزيز للرياض.

وسموه أعلم بأحوال جده وتاريخ أسرته.

وقلت في نفسي: إذا كانت معركة الصريف تاريخاً قريباً، وكان

---

(١) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ١/٧٦.

المؤرخ كالزركلي قريباً من المصادر الموثوق بها ومع هذا يحصل الاختلاف: فإن قضايا التاريخ فيما قبل ذلك ستستخلص بالمناقيش إن أسعفت!!.

وهالني أن أجد أكثر من اختلاف في هذه المعركة.

وقد أسفرت مراجعاتي العاجلة عن عدة تساؤلات لحوحة:

ما هو خط سير الإمام عبدالرحمٰن بن فيصل آل سعود منذ هزيمة الصريف؟.
ومتى وقعت هذه المعركة؟.

وما هي القصة الكاملة لحصار الملك عبد العزيز رحم الله جميعهم الرياض للمرة الأولى عام ١٣١٨ هـ؟.

وكم هو عدد جيش الفئتين في معركة الصريف؟.

وكم هم رفاق عبد العزيز في حصار الرياض؟.

وأين هو حضور الرواية الشفهية، والشعر العامي، والوثائق في التاريخ النجدي؟.

ولماذا يحصل الاختلاف في تاريخنا النجدي الحديث وهذه الأحداث تُروىٰ مشافهة عن معاصريها المصطلين بها؟.

وحينما أذكر الرواية الشفهية أذكر أن عدداً من أبناء عبد العزيز ـ وهم من المخضرمين ـ لديهم تاريخ لم يدون بعد، وقد سمعت نصاً من صاحب السمو الملكي الأمير بدر بن عبد العزيز أن لديه نوادر عن الملك عبد العزيز لم يملها بعد.

وحضرت مجلساً حفيلاً لمعالي الشيخ عبد الله العدوان والشيخ علي النفيسي والشيخ الحافظ مجهول القدر سعد الرويشد في منزل الأستاذ عبد الله السويلم فسمعت مشافهة من المعايشين والمخضرمين نوادر تاريخية يطرب لها كل من يفخر بالكثير من تاريخ هذا البلد، وتذكرت أنني قرأت كتاباً عن الملك عبد العزيز للشيخ أحمد علي موصلي رحمه الله أتيح لي الاطلاع على نسخته الخطية فوجدت فيه نوادر من الرواية الشفهية.

وفي جعبة الأستاذ عبد الله السويلم كثير من الأخبار النادرة.

وحينما أشيد بالرواية الشفهية أذكر أن مجالس بعض الوجهاء والأمراء كمجلس سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز وسمو الأمير خالد الفيصل، وسمو الأمير عبد الرحمٰن بن عبد الله، وسمو الأمير سعود بن سلمان بن محمد تضم مشايخ بادية عايشوا الأحداث، وتضم أحفاد مشايخ وفرساناً، وتضم دكاترة وطلبة علم، فتجتمع خبرة طالب العلم المستمع ورواية المعايش والمخضرم، فينتج ذلك تاريخاً محققاً لم ينشر.

فلماذا يضيع التاريخ الشفهي وهو أحفل سمر الوجهاء والعلية وذوي التخصص؟!!.

وأذكر الوثائق لأنني رأيت التاريخ النجدي في حيص بيص عن الحادثتين الآنفتي الذكر، ولم أجد تاريخاً دقيقاً باليوم والساعة عن إحدى الحادثتين ككتاب العلاقة بين نجد والكويت لخالد السعدون.

فقد حدد خروج الحملة من الكويت بشعبان سنة ١٣١٨ هـ، وذلك يوافق ٢٢ ديسمبر ١٩٠٠ م.

قال أبو عبد الرحمٰن: يكون اليوم يوم السبت الموافق ١٣١٨/٨/٣٠ هـ وهو أول يوم من فصل الشتاء.

ثم تحركت الحملة من حفر الباطن مجتازة الدهناء والباطن حتى وصلت إلى القصيم في ١٢ فبراير ١٩٠١ م وذلك يوافق يوم الثلاثاء الموافق ١٣١٨/١٠/٢٢ هـ.

وحدد المعركة بالسابع عشر من مارس عام ١٩٠١ م.

قال أبو عبد الرحمٰن: وذلك يوافق يوم الأحد الموافق ١٣١٨/١١/٢٦ هـ، ويكون فصل الشتاء قد انسلخ وأقبل فصل الربيع[٢].

---

(٢) اعتمدت في استخراج أسماء الأيام والتاريخ بالهجري على كتاب التوفيقات الإلهية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الأفرنجية.

وحدد عودة مبارك الصباح إلى الكـويت بشهر ذي الحجـة من العام الموافق ٣١ مارس ١٩٠١[٣].

قال أبو عبد الرحمٰن: وذلك يوافق يوم الأحد ١٣١٨/١٢/١٠ هـ وما تأتت هذه الدقة إلا بالله ثم بمراجعة الوثائق من خطابات وتقارير زيَّن بها حواشي كتابه.

وعندما أذكر الوثـائق لا أعني أنها مسلم لهـا بإطـلاق بل هي قـابلة للتمحيص ثبوتاً ودلالة لا سيما إن كانت بعيدة عن مكان الحادثة.

فعلى سبيل المثال: «تقرير وكيل الأنباء المقيم في الكويت» من مصادر السعدون، ولكن لا تسلم تفصيلاته المنافية للمشهور من تفاصيل المعـركة لبعده عن مكان الموقعة.

ومن أوهام ذلك التقرير أن المعركة التحمت من شروق الشمس إلى ما قبل الغــروب[٤].

والواقع أنها التحمت من زوال الشمس إلى الغروب، وحددت بخمس ساعات.

ومن أوهام ذلك التقرير دعوى أن مبارك الصباح وجه عبد العزيز في شوال من القصيم لفتح الــريــاض[٥].

والواقع أن عبد العزيز اتجه من غدير الشوكي[٦].

لقد ذكر هذه الوقعة ابن ناصر في ذي القعدة، وذكر أن عبد العزيز

---

(٣) العلاقات بين نجد والكويت ١٣١٩ ـ ١٣٤١ هـ لخالد محمود السعدون ص ٥٣ ـ ٥٦.

(٤) العلاقات بين نجد والكويت ص ٥٦.

(٥) العلاقات بين نجد والكويت ص ٥٥.

(٦) غدران الشوكي كثيرة، ولا أدري أيها يعني، وأشهرها وأكبرها غـدير أبـو الرخم، والشوكي أحد أودية العرمة الشمالية ينحدر من قمتها مشرقاً حتى يصب في روضته التنهات.
انظر عنه معجم اليمامة ٢/ ٦٣.

استأذن والده في الهجوم على الرياض وهم في طريقهم إلى الصريف في غدير الشوكي[٧].

وذكر خالد الفرج أن عبد العزيز طلب من مبارك قوة يسير بها نحو الرياض ليفتحها، وأنه سير معه من الشوكي مقدار ألف رجل[٨].

ويضيف محمد صبيح أن مبارك ابن الصباح أوفد عبد العزيز لكي يطوف بقبائل نجد ويثيرها على ابن رشيد[٩].

قال أبو عبد الرحمٰن: هذا التعليل ادعاه بعضهم تعليلاً لأحداث عام ١٣١٩ هـ عندما استولى الملك عبد العزيز رحمه الله على الرياض نهائياً.

ولا أرى هذا التعليل للحدثين أو أحدهما صحيحاً لأن عبد العزيز ليس رجل شرطة لابن صباح، وإنما طموح عبد العزيز إلى تغيير الواقع نهائياً لتتحد الأمة على راية واحدة كما اتحدت على قبلة واحدة.

وطموح إلى إعادة هذه الوحدة التي كانت تاريخاً لسلفه.

ويظهر من سياق الأحداث في الشوكي أنه لم يكن في برنامج مبارك بن صباح تجنيد ابن سعود لفتح الرياض، وإنما اصطحب آل سعود ليتقوى بقبائلهم والموالين لهم وليفيد من ثقلهم التاريخي.

أما أهل القصيم فكان في خطته احتلالهم للقصيم ليتقوى بهم على ابن رشيد من جهة، وليضعف ابن رشيد من جهة أخرى حيث لن يكونوا من صفه.

وبهذا تصحح التحليلات التي جعلت محاصرة الملك عبد العزيز للرياض في برنامج مبارك مسبقاً.

---

(٧) عنوان السعد والمجد ١/٥١.

(٨) أحسن القصص ص ١٥ وتابعه ابن عبيد في تاريخه، تذكرة أولي النهي والعرفان ١/٣١٨.

(٩) ابن السعود ص ٤١، وذكر فلبي في كتابه الذكرى الذهبية ص ١٤ أن ذهاب عبد العزيز إلى الرياض قطع المؤن، ومنع من وصول المدد إلى جيش ابن رشيد.

قال عبد العزيز الرشيد عن القبائل والزعماء الذين كون منهم مبارك جيشه: «رأى مبارك أن يعاجل ابن الرشيد في عقر داره لئلا تكون له فرصة يستعد بها، فسافر إليه بجيش عرمرم ضم كثيراً من العربان كمطير والعوازم والعجمان وعريب دار والمنتفك والمرة وبني هاجر وثلة من الظفير ونحو ثمانمئة مقاتل من أهل الكويت.

وكان مبارك هو القائد له بنفسه، وفي معيته حمود وخليفة وصباح بن حمود من آل الصباح.

والإمام عبد الرحمٰن الفيصل آل سعود وابنه عبد العزيز سلطان نجد وآل سليم أمراء بريدة.

وبعد خروج الجيش تبعه سعدون السعدون أيضاً[١٠].

ثم قال معللاً مصاحبة آل سعود وأهل القصيم لمبارك: «وكان الغرض من مسير عبد العزيز السعود وآل سليم وآل مهنا هو احتلال الرياض والعنيزة وبريدة لاشتغال ابن الرشيد بخصمه وقد نجحوا في خطتهم بادىء الأمر، فإن آل سليم دخلوا عنيزة، واحتل آل مهنا بريدة وذهب عبد العزيز إلى الرياض وقبض عليها بمخلبه.

غير أن أميرها عبد الرحمٰن بن ضبعان تحصن في قصرها واعتصم بحماه فشرع إذ ذاك ابن السعود في حفر خندق يتصل إلى القصر لينسفه به نسفاً بعد أن يملأه بارودا، ولما لم يكن بينه وبين القصر إلا أذرع قليلة بلغه آنذاك هزيمة مبارك ومن معه في حادثة الصريف، فاستعجل بخروجه من الرياض قبل أن يشعر بالحقيقة أحد، وهكذا كان خروج من دخلوا عنيزة وبريدة فاتحين»[١١].

وعندما أقول ليس تجنيد مبارك لعبد العزيز لاحتلال الرياض في برنامجه مسبقاً فإنما أقول ذلك لأن منطقة الرياض بعيدة عن منطقة المعركة

---

(١٠) تاريخ الكويت ١٦١/٣ ـ ١٦٢.

(١١) تاريخ الكويت ١٦٢/٣ وآل سعود لجبران شامية ص ٩٣.

التي قُدِّر أن تكون حول بلد ابن رشيد أو في القصيم، فمصاحبة الجند الذي سيصحب مباركاً أعظم غناء من ثَلْمِهِ بفرقة تفتح الرياض، وإنما حصلت القناعة أخيراً لمبارك في الشوكي لما رأى جيشه عرمرماً.

كما أن مجرى الأحداث في الشوكي دل على أن محاصرة عبد العزيز للرياض ليست في الخطة مسبقاً.

وأما الإمام عبد الرحمٰن وابنه عبد العزيز فلم يخرجا مع مبارك ويجمعا أعوانهما إلا بهدف استرجاع التاريخ السعودي.

ولهذا كتب الإمام عبد الرحمٰن لنقيب البصرة في شهر ربيع الثاني سنة ١٣١٨ هـ قبل خروج الحملة الخطاب التالي: «ما يخفى شريف عليكم قدم خدماتنا للدولة العلية أدامها رب البرية من وقت الآباء والأجداد، وتعديات ابن الرشيد على بلداننا، وعشائرنا وظلمهم إياهم وهو ليس له حق في ذلك.

وبمقتضى تعدياته وظلمه أكثر علينا أهل نجد الإلحاح أن نتوجه لأجل استنقاذهم من يده وتوجهنا لذلك، فنرجو من تفضلاتكم أن تسترحموا لنا من حضرة والي ولاية البصرة أن يكتب لابن الرشيد أن لا يتعرض لنا ولا يحرك أحداً من عشائره علينا حذراً أن تقع فتنة قتل ومقتول وسفك دماء المسلمين وهو السبب في ذلك ونحن خدام الدولة قديمين وعلى هذا عهد الله وميثاقه أننا لا نزال نؤدي الخدمات اللازمة لحضرة أمير المؤمنين أدام الله مجده وعزه، ونحامي أتم المحاماة على جميع أطراف الدولة العلية الأحساء والقطيف وعشائرهما... إلخ»[١٢].

قال أبو عبد الرحمٰن: واتحاد هدف ابن صباح وابن سعود على حرب ابن رشيد لا يعني تعليل أسباب الحرب وبواعثها بأهداف مشتركة.

فالأسباب لحرب الصريف نتيجة هدف قديم لدى مبارك وهو طموحه للسيطرة على نجد، ونتيجة حدث معروف وهو لجوء يوسف آل إبراهيم إلى حائل.

---

(١٢) تاريخ الكويت ١٦٢/٣ وانظر خطاباً مشابهاً كتبه الإمام عبد الرحمٰن للنقيب في ١٣٢٠/٢/٥ هـ عندما أراد الخروج إلى نجد، وذلك في تاريخ الكويت ١٧٦/٣.

ويوسف هذا خال محمد وجراح أخوي مبارك اللذين قتلهما مبارك نفسه.

ويشرح مقدمات الصريف مؤرخ الكويت عبد العزيز الرشيد فيقول: «يقال: إن يوسف في أثناء ما كان يستنجد بابن ثاني في قطر على غزو مبارك كان أيضاً يستنجد بمحمد آل الرشيد في حائل، وأن محمداً تظاهر بالميل له بإجابة طلبه.

ولا يبعد أن يحصل هذا من محمد، فإنه كان يضمر لمبارك كرهاً شديداً لا لشيء إلا لأن مطامعه كانت تزاحم مطامعه، ونفسه لا تصغر عن نفسه وآماله العظيمة تضيع في فضائها آمال محمد.

فكان مبارك يطمح إلى فوق ما يطمح إليه من نفوذ الكلمة في البادية في نجد.

وقد أحس بذلك منه أيام أخويه عبد الله ومحمد.

بل زاد الطين بلة أن مباركاً قتل جملة من تجار أهل حائل خفية بعد أن خرجوا من الكويت ببضائعهم، وبعد أن بعدوا عنها.

ولم تخف الخافية على محمد وإن أخفاها مبارك.

ويدلنا على ما كان يضمره له من الكراهية استنكاره عليه قتل أخويه بكتاب شديد اللهجة حاد التأنيب.

ومهما يكن فقد قيل: إن محمداً أوشك أن يهم بتجهيز الجيش لغزو الكويت من الشمال في الوقت الذي هم ابن ثاني بذلك من الجنوب.

ولكن بمعاجلة المنية للأول، وبكف الحكومة للثاني وقع عن ظهر الكويت ومبارك حمل ثقيل.

وعندما حضرت محمد آل الرشيد الوفاة سنة ١٣١٥ هـ في رجب أوصى خلفه عبد العزيز بالتيقظ لمبارك وحضه على التنبه له وعلى مقاومته بكل ما في وسعه.

وكان آخر الأدوار التي مثلها مبارك على مسرح المكر الدور الذي قام به في تجهيز ابنه سالم ومن معه من آل الصباح إلى الأحساء نصرة لابن سعود على العجمان، فقد سيره بجيش عرمرم في رمضان سنة ١٣٣٣ هـ وقال له: إني لم أرسلك لقتال العجمان ولا نصرة حقيقية لابن سعود.

وأنا جهزتك صورة أمام الناس ثم حذره أشد التحذير من الاشتباك مع العجمان في قتال.

وقد علم ابن سعود بذلك، بل علم بلوم مبارك الشديد لسالم بعدما سار إلى ساحة الوغى وبعدما اشتبك مع العجمان في بعض الوقائع فقد قال له في عتابه: قد نهيتك فلم تنته وحذرتك فلم تسمع.

أنت لست تابعاً لابن سعود ولا هو بأفضل منك وأكبر، فإياك إياك أن تعود لمثل ما عملت، فمثل هذا التلاعب يضطر ابن سعود إلى التغير على مبارك(١٤).

وذكر أبو حاكمة إضافة إلى ذلك مسألة الحدود وهي جزء من طموحات مبارك. قال؛ «ولكنا ذكرنا أن الشيخ مباركاً كان يطمح أيضاً في أن يصبح سيد الجزيرة، إذن كان طبيعياً أن تصطدم المصالح بين الأميرين على الرغم من وشائج القربى التي تربط آل صباح وآل سعود.

ولعلنا نذكر في هذا المقام أيضاً سبباً آخر قيد تحركات ومن ثم تطلعات مبارك فيما وراء ما صار يعرف بحدود الكويت، وذلك السبب هو أن الإنجليز منذ أن عينوا أول معتمد سياسي لهم بالكويت جعلوا منه رقيباً على تطلعات مبارك وحدُّوا من معاداته لجيرانه في الشمال والغرب، لأنهم كانوا لا يريدون أن يدخلوا في صراع مع بدو الصحراء إلى الغرب من الكويت أو جنوبها، سواء كان الحاكم من آل سعود أو من آل رشيد.

وكانت هذه سياسة تقليدية لحكومة الهند البريطانية منذ أن عقدت معاهدة ١٨٢٠ مع الساحل المهادن والبحرين ومسقط.

---

(١٤) تاريخ الكويت ٣/٢١٠ ـ ٢١١.

إذن كان هم تلك السياسة هو المحافظة على الأمن والسلم في مياه الخليج، وليس على سواحله البرية: أي الاقتصار على البحر دون البر»[١٥].

وقال حسين خلف الشيخ خزعل عن أسباب قيام الشيخ مبارك بأعباء حرب الصريف: «إن الظروف والأسباب التي أحاطت بالشيخ مبارك ودفعته إلى معركة الصريف كثيرة ومتنوعة ولعل من أهم تلك الأسباب ما يأتي:

١ - كان الشيخ مبارك يطمع بأن يكون هو سيد الموقف في نجد وتوابعها ويرى أنه الشخص الوحيد الذي يتمكن من بث الهلع والرعب في نفوس آل الرشيد، فإذا ما اشتبك معهم في معركة وتمكن من كسر شوكتهم قلَّل بذلك من هيبتهم وعندئذ يتوصل إلى مبتغاه.

٢ - ما فتىء الأمير عبد العزيز السعود يبدي حماساً أمام الشيخ مبارك الصباح ويظهر استعداده لاستعادة إمارة نجد بعد أن اغتصبها آل الرشيد من آبائه ويطلب معاونته.

وكان يطلعه على الرسائل التي كانت ترده من أكابر نجد ووجهائها وعلى الأخص رسائل آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي كانوا يحثون بها الأمير عبد العزيز على استرجاع مجد آبائه ويخبرونه بأن أهالي نجد كلهم بما فيهم أهالي القصيم تؤيد آل السعود وتتمنى اليوم الذي ينهضون فيه لاستعادة ملكهم وتخليصهم من الذل والهوان الذي لا قوه من آل الرشيد.

ولم يفت الشيخ مبارك بأن إمارة نجد إذا ما عادت إلى أصحابها آل السعود وهم أصدقاؤه المخلصون فستحتمي الكويت وأطرافها وتنقطع عنها الغارات التي يشنها عليها آل الرشيد.

٣ - وهناك هدف آخر للشيخ مبارك لا يقل أهمية عن سالفيه وهو إحياء وإنعاش طرق تجارة الكويت وتنمية مواردها، لأن الكثير منها يعتمد على بوادي نجد، وكانت طريق التجارة غير متيسرة من جراء الغارات

---

(١٥) تاريخ الكويت الحديث ص ٣٣٣.

التي كانت تشنها قبائل شمر وغيرها التابعون لآل الرشيد على القوافل التي كانت تحمل أموال التجار الخارجة من الكويت.

٤ ـ كان الشيخ مبارك كثيراً ما يحرص على تأمين راحة الحجاج الذين يسافرون عن طريق الكويت ولم يكن طريق أولئك الحجاج خالياً من الخطر فقد كان دائماً عرضة للسلب وفي ذلك ما فيه من الدعاية السيئة والضرر على سمعته، ولم يكن في وسعه يومئذ تأمين طرقهم لوجود آل الرشيد.

فلهذه الأسباب وغيرها اضطر الشيخ مبارك إلى القيام بتلك المعركة»[١٦].

وقال الأستاذ محمد سعيد كمال: «بدأ ابن الرشيد يشن الغارات على الكويت تمهيداً للهجوم والاستيلاء عليها، فاستعان الشيخ مبارك بمحالفه أبو عجيمي السعدون رئيس عشائر المنتفق بالعراق ـ وكان ابن الرشيد قد وصل في إغاراته إلى أطراف العراق حيث ضايق أبو عجيمي الذي أرسل يطلب النجدة من الشيخ مبارك الذي كان إذ ذاك في الجهراء فبادر إلى نجدته، حتى اضطر ابن الرشيد أن ينسحب من السماوة ـ.

ثم استنفر مبارك الصباح القبائل فلبته مطير والعجمان وآل مرة وغيرهم من بوادي الجنوب، ثم جاء السعدون بعشائره من العراق، ثم انضم إليهم كثيرون منهم آل سليم أمراء عنيزة، وآل مهنا أمراء بريدة.

زحف هذا الجيش ومقداره عشرة آلف يقوده الشيخ مبارك فأرسل منه ألفاً إلى الرياض بقيادة عبد العزيز آل سعود، وفعلاً احتل المدينة ما عدا الحصن حيث طوقه بالحصار.

وأما مبارك فقد احتل بلداناً كثيرة في نجد بدون قتال حيث تأخر ابن الرشيد وظل يتقهقر حتى جر خصمه إلى قلب القصيم، فوقف له عند الطرفية التي تبعد خمسة عشر ميلاً من بريدة إلى الشمال.

---

(١٦) تاريخ الكويت السياسي ٢/٤٠ ـ ٤١.

في جوار هذه القرية مكان يدعى الصريف اشتبك فيه الجيشان وتلاحما طيلة ذاك النهار، فكانت الوقعة من أعظم وقائع العرب الحديثة، انهزم فيها الشيخ مبارك، وخسر عدداً كبيراً من قومه، وكثيراً من عتاد الحرب، فعاد ومن تبقى معه إلى الكويت.

ثم زحف ابن الرشيد إلى البلدان النجدية لضمها تحت لوائه.

أما عبد العزيز فقد أخلى الرياض لما علم بوقعة الصريف وعاد إلى الكويت، وبذلك استولى محمد ابن الرشيد على جميع نجد، وذلك في ٢٦ ذي القعدة سنة ١٣١٨ هـ.

وقد كانت وقعة الصريف هذه مثار قرائح الشعراء، فقد تنافسوا في وصفها ما بين مادح لابن الرشيد وقادح في الشيخ مبارك وبالعكس، فكأنها جزء من سوق عكاظ، سجل فيه شعراء النبط أحاسيسهم»[١٧].

قال أبو عبد الرحمٰن: معركة الصريف بعد وفاة محمد ابن رشيد.

وقال بولس سلامة في ملحمته:

جاز عبد العزيز نصح نصوح ... قل من بذ فهمه في الأعارب
قال في يوم موته ومقال المرء ... في النزع فضليات الرغائب:
لا تحارب شيخ الكويت إذا ما ... رمت عيشاً خفضاً عزيز الجانب
ذلك الثغر إن تنله بشر ... تنفجر عليك منه المصائب
هو لابن الصباح بحر جمان ... ولبيت الرشيد بحر نوائب
غر عبد العزيز قوة زنديه ... (م) وصدر كالطود صلب الترائب
ومرود على الشعور ولو دبت ... (م) على وجنتيه شقر العقارب
وحسام مثل المنية خطاف ... (م) رهيف الغرار صدق المضارب
استجار الشيخ المبارك بالسعدون ... (م) من ذلك العدو الراعب[١٨]

---

(١٧) الأزهار النادية ٣/٢٧ ـ ٢٨.

(١٨) استنجد مبارك بتركيا فرفضته، إذ كان يوسف آل إبراهيم قد سبقه إليها فحالفت ابن الرشيد عليه.
ولباه أبو عجيمي السعدون الزعيم العراقي رئيس قبائل المنتفق [بولس]. =

ويعبـد الـرحمـان آن أوان الضيف (م) أن يصـطفى لـدرء المـراهب

وبـذاك الـشبـل الـذي يـتلظى للمـواضي شـوق الفتيِّ لكـاعـب

وأغـار الأمـيـر يـطلب قـحـطانـاً (م) وقـد أسعرت شبـاهـا القـواضب

عـاد من غـزوة العشـائـر منصـوراً (م) رفيـع الجبين جـذلان كـاسب

صـده عـن زيـارة الأهـل شيـخ يـطلب الصلح خلسـة ويـوارب(١٩)

= ونقل بولس في ملحمته ص ١٨٨ عن حافظ وهبة ما يلي: «يوسف آل إبراهيم خال أبناء القتيلين شقيقي مبارك كان أكبر تجار اللؤلؤ في أيامه وأغناهم وقد بذل ثروته كلها ووقته وجهده مجازفاً بحياته طالباً الانتقام.

سافر إلى قطر والبصرة وحائل والحجاز يحرض الأمراء والحكام على الشيخ مبارك.

واستنجد محمد الرشيد وهو يومئذ كبير العرب عقلاً وحنكة واقتداراً فما استغوته أموال ابن إبراهيم.

وقيل إنه أوصى وهو على فراش الموت ابن أخيه عبد العزيز الذي تولى الإمارة بعده، ألا يطمع بأنظاره إلى الكويت، وألا يباشر صاحبها العداء.

ولكن الأمير عبد العزيز لم يحفظ وصية عمه.

وعندما جاءه يوسف آل إبراهيم وأحد الموتورين خالد بن محمد يحرضـانه على مبارك نهض للأمر يشن الغارات على الكويت تمهيداً للهجوم والاستيلاء.

(١٩) خرج الأمير عبد الرحمٰن بجيش من الكويت وأغار على عشائر قحطان الموالية لابن رشيد.

أما الشيخ مبارك فكان قد رمى بشبكتين يستنهض النجديين ويفاوض ابن الرشيد بالصلح.

وعندما عاد عبد الرحمٰن من غزواته أمره مبارك ألا يرجع للكويت ولم يأذن له أن يدخلها ليشاهد عائلته.

ولما رفض ابن الرشيد الصلح عاد مبارك يجهزّ الجيوش ولباه العجمان وآل مرة وغيرهم من بوادي الجنوب والسعدون من الشمال وآل سليم أمراء عنيزة وآل مهنا أمراء بريدة.

فزحف الجيش وعدده عشرة آلاف يقوده مبارك فقطع الدهناء ونزل على ماء دونها يعرف بالشوكي وهناك أذن لعبد العزيز إجابة لطلبه أن يسير بفرقة قدرها ألف محارب من البدو لأخذ الرياض.

فزحف إليها عبد العزيز ووصلها بعد يومين وكان في باكورة غزواته موفقاً فاحتلها عدا الحصن الذي تحصنت فيه حامية ابن الرشيد فعزم على حفر نفق إليه وباشر برجاله العمل [بولس عن الريحاني].

يستثير الدنيا على ابن رشيد ويماريه وهو في السلم راغب
فعلى سطحه شتاء وصيف ولد الشيخ بالمواثيق لاعب
مجهل خلف مجهل بين جنبيه (م) فأكرم به خضم غرائب
واكبته العجمان ثم مطير وبنو مرة الحداد المخالب
ورجال السعدون فاختلج (م) الصمان من وطأة الخميس الجالب
وأجاز الدهناء حتى أتى الماء (م) على الشوكة الكماة الكتائب
وأساغ الولي لابن سعود أن يخوض الوغى بألف محارب
قادهم ذلك الفتيُّ المرجى مثلما النسر أم غلب العصائب
يهتدي للرياض بالشوق لهابا (م) وبالطيب من عرار سارب
ودَّ لو كانت الرياح المطايا أو متون البروق كانت ركائب
وكأن النياق حست فخفت مرسلات الأرسان فوق الغوارب
أجفلت من عجيجها أسبع الوحش (م) وكفت عن الصرير الجنادب
وتحامى إسراءهم كل ذي روح (م) فما لاح في الظلام حباحب
شاق عبد العزيز موطن أجداد (م) وأرض حبيبة وملاعب
في ثراها من خط رجليه بالرمل (م) ومن ردنه الطويل مساحب
جاءها وامقاً فهل تتناساه (م) وتغدو المنى نسيج عناكب
جاء فاحتلها فضربته البكر (م) كضرب القرم العميق التجارب
صمد الحصن شامخاً يتحداه (م) ولا درب من خلال السحائب
صده الجو فليشق أديم (م) الأرض وليفتح الصعيد مسارب
نفقاً موصلاً فإن أسلموه فسلام أو فالبروج خرائب
بدأ الحفر فاستحرت زنود واشرأبت من الكفوف الرواجب
واستشاط الأبطال فالنصر (م) مرهون بما تفتق العراض المناكب
أو ليس الجند المظفر في نجد (م) يخوض البلاد نزهة جائب
لاسم عبد الرحمٰن تفتح أبواب (م) وتفتر أنجد وسباسب
فكأن الآكام تبعث رياها (م) وتستقبل الأمير مواكب
طال عنها غيابه فعيون (م) الزهر تمشي إلى الأمام الغائب
في غياب الربيع يفتقد الورد (م) وقد تجهل الربيع المصاحب
ظن شيخ الكويت وهو الذي ما عرف الحرب غير صيد مكاسب

إنه الظافر الذي يتقصى ... إثر خصم مروع القلب هارب
جره للقصيم ليث رهيب ... له بالكر والفرار مذاهب[20]
قد ينام السرحان غير جريح ... فإذا أطمع الخصيم يواثب
إنما الحرب خدعة وبعيد ... (م) الرأي لا يسلك الطريق اللاحب
بل يقاوي خصومه ويماريهم ... (م) ويبدي نيوبه ويوارب
عند طرفية تحصن مهزوم ... (م) وعاد الطلب المخاتل طالب[21]
باليوم الصريف كم من حديد ... ذاب في ذلك الغطمّ اللاهب؟!
البواريد بالحتوف حبالى ... ومواليدها اللهيب الحاصب
مرعدات حمر القذائف والأنواء ... (م) في غمرة الصدى المتجاوب
مسبلات على العجاج قتاماً ... ناشرات من الدخان غياهب
الرصاصات في خضم المنايا ... عائمات وفي القلوب رواسب
كم جواد مغبَّر العرف مخضوب ... (م) الأطاريف شارد الوعي سائب
مار سهل الصريف من صعقة الموت ... (م) ومَن كرة الخيول الشوازب
طائرات لغير حلبة سبق ... ليس فوق السرج المضرج راكب
فالرعيل اليتيم يتلو رعيلاً ... خلفه تنشد الفرار مقانب
وأغش العجمان وانقلب السعدون ... فالجيش كالغمام الذائب
ليس في الناكصين غير أجير ... أو مداج أو مكره أو ناهب
أتراهم يستبسلون لماذا ... يرتضون الأذى وخوض الكرائب؟
أذياداً عن الكويت ومن فيها ... (م) وهم رحَّل عراب أجانب
أم غراماً بقائد لم يروه ... بسوى الناس والجمان يضارب؟
لم يصف الرجال إلا لنفع ... حول رقص معربد ومآدب
وصراع الأبطال أبعد شيء ... في الأفانين من صراع الكواعب

---

(٢٠) الشطر الأخير مختل الوزن.

(٢١) احتل الشيخ مبارك بلداناً عديدة في نجد بدون قتال، بل كان أهلها يرحبون به لعلمهم أنه حليف ابن سعود، أما ابن الرشيد فكان قد تقهقر، وهو لا يريد أن ينازل جيشاً أكبر من جيشه.
ظلّ يتقهقر حتى جر العدو إلى قلب القصيم فوقف له عند الطرفية على مقربة من بريدة [بولس عن الريحاني].

بلغ الفاجع الرياض فأنت | واكفهرت بعد الشروق الحواجب
وتراخى العربان من حول مولاهم | (م) وعادت حمس النمور أرانب
كاد عبد العزيز ينشق غماً | أيعود المنصور لهفان خائب؟
ليته ظل في الكويت قعيداً | لم تلوح له الرؤى والأطايب
آلم الظلم أن يقطر سلسال | (م) وينفي عن مائه العذب لائب
عاد شبل السعود للثغر مدحوراً | خسوف الهلال غطاه حاجب
سكر ابن الرشيد بالنصر حتى | نصره بات مطلعاً للمثالب
نكل الظافر الوحيش بأسراه | (م) فبئس النمر الغدور الغالب
أسلموه السلاح يرجون أمناً | فإذا قلبه من النبل ناضب
إنما العفو شيمة الأسد الرئبال | (م) والبغي في طباع الثعالب
كنت ليثاً يا ابن الرشيد ولكن | كنت جلف الجنان غث المواهب
بين جنبيك قلب فرعون ذي الأوتاد | (م) والرافع الجذوع الصالب
قد أذل الأتراك نجداً فهلا | صنت نجداً من الحليف المعاقب
دخلاء يروعون الحبالى | والعذارىٰ فالظفر بالعرض ناشب
أضرموا النار في البيوت فما لم | يحترق فهو للخيول زرائب
وأبادوا النخيل فالغيضة الشجراء | (م) والجنيُّ كالمنام الذاهب
ثم طموا الآبار وهي بنجد | رحمة الله والحنان الساكب
ليس إلا الأوحال والحمأة الغضراء | والآسن المسيط الراسب
عل فيها طراوة أو عصيراً | يخمد النار في لهاة الشارب
أحسام لمن يحب سعوداً | وحريق وجزية وضرائب؟
فقت جنكيز في المشارق ظلماً | وأتيلاً ضراوة في المغارب[٢٢]
ناكب الشيب والأرامل والزمنى | (م) ومجري على الضلوع السلاهب
لم تخلف بين الكويت ونجد | منزلاً لم تضج فيه النوادب
كل بيت ينوح من حكمك الضاري | (م) ومن سيفك الأثيم الخاضب
رب نصر أجل منه انكسار | إن يك النصر مدرجاً للمعايب

---

(٢٢) جنكيز: هو جنكيز خان المعروف بقسوته وميله إلى التهديم.
وأتيلا: هو الفاتح الفرنجي القائل: حيث يمر حصاني لا ينبت العشب [بولس].

سيفك المستبد أرهب منه ... قلم الحق في بنان الكاتب

ليس يمحو الزمان فعل أثيم ... في فم الناس جرمه متعاقب

يصحب المرء فعله أبد الدهر ... (م) فنعم الخلق الرفيع الصاحب

ليس إلا الأخلاق تفتتح الخلد ... (م) فمنها العلى ومنها العجائب

بطل الحرب عارياً من خلاق ... جدول الماء رنقته الطحالب

يكسف العار مجده ويواريه ... (م) ظلام لذلك الصبح شائب

فاسمه رغم بطشه ومزاياه ... (م) بغيض محلولك اللون شاحب

إن عمر الأخلاق غراً حساناً ... (م) هو عمر المخلدات الكواكب

تعلق النفس بالشجاع صفوحاً ... وافر النيل والحجى والمناقب

وتعاف الجزار والأهوج الغطريس ... (م) والجاحد الهدى والواجب

إن للحرب منهجاً كوضوح الصبح ... (م) لاغيهبا وليلة حاطب

المناجيد قدسوا مقبض السيف ... (م) كما قدس الديورة راهب

يشرف العضب أو يذل ... (م) فما البتار إلا مرآة خلق الضارب

ويكاد الغرار يمقت ربا ... ليس من ربه الإله بهائب

فيأتيه مكرهاً كفتاة ... جرها الأهل للعجوز الخاطب

وأتى يطلب الكويت ليغنيها ... (م) وطارت بابن الرشيد النجائب

يجلب البؤس مثله وكذاك (م) ... الفوز للفوز والمغانم جالب

روق الذعر في الكويت فقلب (م) ... اللؤلؤ الرطب مستطار هارب

سالب الماء من شفاه الصوادي ... كيف يعفو عن الجمان الخالب

أو تثنيه حرمة لحريم ... أو حفاظ يمليه قلب حادب

أم يولي أحلافه الترك صون (م) ... الطهر في ذلك السعير الحازب

وهم الطامعون بالثغر فالألمان ... (م) والترك في الخليج أقارب

يلدز تبعث الجيوش لإفناء ... (م) وغليوم في الخفاء المحارب[٢٣]

ألف الدولتين شهوة نفط ... وعهود قديمة ومشارب

لم يروع شيخ الكويت ولم (م) ... يبدل سني الرؤى بهم ناصب

---

(٢٣) يلدز: قصر السلطان عبد الحميد والمقصود هنا السلطان نفسه.
وغليوم: هو أمبراطور ألمانيا [بولس].

مــلء عـيـنـيـه نــام غـيــر حـفـي ... بـخــطـوب أو خـــائف مـن عـــواقب
يـقــطـع الـلـيــل هــانئــاً ولـتـلـقــاه ... (م) قــريــراً في صـبـحــه متـثــائب
قيــل هـــذا نــظيــر عنتــرة العبسي ... (م) فـوق الأهـوال فـوق المصـاعب
لا تصـدق مـا يــأفكـون فعــزم (م) ... الشيـخ أوهى من واهيـات العنــاكب
كــان حلفـاً لــلإنكليــز فكــان (م) ... الثغــر كــالأبلق المنيــع الجــوانب
هم غـزاة البحـار منــذ استجـد (م) ... البحـر واستعبد البخـار المـراكب[٢٤]
كــل مــاء عـلى الـبسـيــطة غـمـــر ... فــلهـــم فـــيـــه مـــركـــب ومـــآرب
وعـيــون على الـمضــايـق أرصــاد ... (م) وفي الأرض والسمــاء جــوائب
أتــراك ابن متعب تـدفــع الأسـطول ... (م) أو ألـسن الـجحـيم الـســواكب
وسفين الأتــراك والـروس والألمـــان ... (م) فـي جنبــه صغــار الـقــوارب
فارجع ابن الرشيد عن حلمك الزاهي ... (م) فنصـر الصـريف بـدء المتـاعب
رب نجم يضلل الـهــائم الـســاري ... (م) فـذاك الضيـاء صبح كـاذب[٢٥]

ونعود إلى أوهام الوثائق فمن أوهامها ما نقله فاسيلييف من أن الجيش الكويتي حقق نصراً وتمكن من الاستيلاء على الرياض نفسها.

ومن هناك تحرك مبارك ظافراً نحو حائل[٢٦].

قال أبو عبد الرحمٰن: وعمدته تقريرُ بعيدٍ عن الحوادث وهو «آداموف» قنصل روسيا في البصرة.

وما مر مبارك بالرياض ولا حائل.

وقال ج. ج سلدانها عن مبارك: «غادر الكويت أخيراً في بداية شهر فبراير تاركاً وراءه ابنه جابراً ليشرف على إدارة البلاد.

وقـد اصـطحب معـه عبـد الـرحمٰن بن فيصـل وعبـد العزيــز بن

---

(٢٤) استجد: صار جديداً والمقصود سيادة الإنكليز على البحار في العصور الحديثة [بولس].
(٢٥) ملحمة عيد الرياض ص ١٨٩ ـ ١٩٧.
(٢٦) تاريخ العربية السعودية ص ٢٤٦.

عبد الرحمٰن وعدداً كبيراً من رجال القبائل الذين وقفوا إلى جانب عبد الرحمٰن.

وفي ١٢ فبراير وردت التقارير بأنهم وصلوا على مسيرة يوم واحد من الرياض.

وقد تم الاستيلاء على هذه المدينة في حوالي منتصف شهر فبراير وعرضت جميع قبائل نجد الاستسلام.

وتم تعيين الشيخ عبد العزيز بن فيصل حاكماً على الرياض.

وكذلك طلب السلام أبناء الشيخ حمود أقارب ابن الرشيد.

ومن الرياض زحف الشيخ مبارك إلى حائل والتقى بابن الرشيد في معركة، ولكنه هزم هزيمة نكراء.

ووردت التقارير تفيد في بادىء الأمر بأنه قتل.

وعندما سمع وزير الخارجية بذلك أمر بضرورة توجه الكولونيل كمبول على الفور إلى الكويت للتأكد من الحقائق، وإذا صدقت هذه الأنباء فعليه أن يرسل تقريراً عنها، واقترحت البرقية المرسلة من قنصل بريطانيا في البصرة إلى السير (ن. أكنور) إبرام إتفاقية مع جابر الذي كان يرجح أنه سيخلف مباركاً إذا كان قد قتل بالفعل.

وقبل أن يتوجه الكولونيل كمبول إلى الكويت وصلته أنباء تفيد بأن مباركاً عاد إلى الكويت في ٣١ مارس.

وتوجه الكولونيل كمبول إلى الكويت يوم ٣١ مارس على ظهر السفينة (لوارنس) وأجرى حديثاً مع مبارك.

وقد قدم له الشيخ تقريراً يشوبه الارتباك عن القتال، وكان يريد منه أن يصدق أنه هزم ابن الرشيد ولكن الكولونيل كمبول يلاحظ:

أما بالنسبة لتقرير الشيخ مبارك عن القتال فلا يمكن تصديقه، وليس هناك أدنى شك في أنه تلقى ضربة قاسية، وتقطع كل الاحتمالات بأن قواته دحرت وتفرقت.

وإليكم هذا التقرير عن القتال الذي حصلت عليه أثناء وجودي في الكويت عن طريق مصدر أثق تماماً في صدقه وأمانته:

وبعد أن توغل مبارك حتى بلغ الرياض والعارض يبدو أنه حصل على وعود بالمساعدة من بعض القبائل البدوية التابعة لأمير نجد، وأنه تفاهم مع ربيعة رئيس عنيزة الذي وعده هو وأهالي بريدة بمساندته في حالة الضرورة.

وهكذا تشجع واتجه نحو حائل ومعه ٥٠٠٠ رجل ليس من بينهم البدو والتابعون لابن الرشيد الذين انضموا إليه.

وعندما وصل إلى موقع غير بعيد عن حائل، هاجمه أمير نجد في ٢٥ من ذي القعدة الموافق ١٧ مارس.

ويقال إن القتال استمر لمدة ساعة ونصف فقط وحاقت الهزيمة بالشيخ، وهنا سارع بدو نجد الذين كانوا مع الشيخ مبارك إلى الانقضاض على معسكراته ونهبها.

وتبعه الأمير ليواصل مطاردته ولكنه كف عن ذلك عندما رأى ربيعة على رأس ٤٠٠ فارس قادمين لمساندة الشيخ مبارك.

ثم توجه ابن الرشيد إلى بريدة، حيث يقال إنه ألقى القبض على ربيعة وقتله هو وابنه، وفرض على المنطقة غرامة مقدارها ٣٠,٠٠٠ دولار.

ويقال إن عدد القتلى من جانب مبارك كان مرتفعاً للغاية حيث قتل حوالي ٢,٠٠٠ أثناء القتال وهلك الباقون في الصحراء.

بينما يقال إن عدد القتلى في جانب الأمير لم يزد عن ٤٠٠ قتيل من بينهم شقيقه طلال، وإثنان من أبناء عمومته وبعض رجاله البارزين.

وكان من بين القتلى أيضاً شقيقه حمود وابن عمه خليفة بن عبد الله ابن صباح.

ومن الصعب الاطمئنان إلى صحة هذه البيانات ولكنني أعتقد أنها أكثر صدقاً من التقرير الذي قدمه الشيخ مبارك بهدف أن يخفي في طي الكتمان حقيقة الكارثة التي حلت به وهو ما سنعرض له فيما بعد.

ووصل مبارك إلى الكويت في ٣١ مارس ولم يرجع معه في وقت زيارتي إلى الكويت إلا ١٠٣ من مجموع الرجال الذين خرجوا معه في البداية ويقال: إن عددهم بلغ ١٢٠٠.

ويقال إن عبد الرحمٰن بن فيصل موجود في الكويت رغم أن مبارك أخبرني أنه خارج المدينة.

بينما يقيم الشيخ سعدون مع حوالي ٧٠٠ رجل في مخيم على بعد حوالي ١٠ أميال من الكويت[٢٧].

قال أبو عبد الرحمٰن: أول أوهام هذا السياق دعوى احتلال الرياض، والواقع أنه لم يحصل للرياض احتلال بالكامل، ولم يصل مبارك إلى الرياض قط، وإنما حاصر الرياض عبد العزيز كما مر وكما سيأتي بناء على كتب التاريخ المحلي والرواية الشفوية.

وبرقية وكيل بريطانيا السياسي في البحرين إلى المقيم البريطاني في الخليج، وتقرير وكيل الأنباء المقيم في الكويت هما اللذان بنى عليهما خالد محمود السعدون تاريخه لمراحل الحملة فيما أسلفته من كلامه، وهما الموافقان في جزئياتهما للتاريخ المحلي والرواية الشفوية.

وأما أن الحملة وصلت على مسيرة يوم واحد فذلك تقدير مقارب لأنهم وصلوا إلى الشوكي في طريقهم إلى القصيم ولم يكن ذلك في ١٢ فبراير بل ذلك تاريخ وصول الحملة إلى القصيم.

ولم يصل مبارك إلى حائل بل كان منتهاه الطرفية وفيها استقر كما استقر ابن رشيد في الصريف وكان الحرب بين هذين المكانين.

وفي كلام ج. ج سلدانها ما لم يفهم بعد وهو قوله: وكذلك طلب السلام أبناء الشيخ حمود أقارب ابن الرشيد.

ومما لا يفهم ولا يعلم كلامه عن ربيعة شيخ عنيزة؟!.

(٢٧) التاريخ السياسي للكويت ص ١١٧ ـ ١٢١.

ومن الأوهام جعله المعركة قرب حائل.

ومصدر ج. ج سلدانها يثق به تماماً مع أنه في موضع آخر شكك في صدق بياناته.

ولم يذكر هوية ذلك المصدر وإنما ذكر أنه حصل عليه أثناء وجوده في الكويت.

والأرجح أن هذا مصدر شفوي من فلول الهزيمة فالأخبار تروى عن شاهد عيان تارة، وعن راوٍ غير واعٍ لما روى تارة، وعن ثالث عنده شهوة السمر بالإضافة والنقص.

ولهذا جاء التقرير منافياً للواقع في جزئياته كما أسلفت تفصيله، وجاء في هذا التقرير أن جيش مبارك خمسة آلاف، وأن القتال استمر ساعة ونصف فحسب.

ويظهر من تقارب الصياغة للأحداث الموهومة أن مصدر آداموف قنصل روسيا في البصرة ومصدر ج. ج سلدانها إشاعات شفوية واحدة.

وقال يوسف حمد البسام: «في أوائل سنة ١٣١٨ هـ قام الأمير عبد العزيز المتعب الرشيد بحشد قواته مستعداً للحرب وقد أدرك الشيخ مبارك الصباح أنه أصبح بين أمرين: إما الحياة، وإما الموت، فأخذ يعمل للاستفادة من العشائر النجدية المناوئة لآل رشيد كما وجد أن الحاجة تدعوه للاستعانة بآل سعود فقرر شد أزرهم في استعادة إمارتهم على الرياض.

ثم عزم الشيخ مبارك الصباح على مهاجمة الأمير عبد العزيز الرشيد فكتب إلى سعدون باشا آل سعدون يخبره بما عزم عليه ويطلب منه الحضور إليه بمن معه بأسرع ما يمكن.

وكان الأمير عبد العزيز الرشيد قد أرسل سالم الحمود الرشيد إلى سعدون باشا يطلب منه البقاء على الحياد إذا ما أعلن الشيخ مبارك الحرب عليه، ولكن سعدون باشا أبى ذلك وفضل الحرب إلى جانب الشيخ مبارك والإمام عبد الرحمٰن الفيصل السعود لاتفاق سابق بينهم.

هذا بالإضافة لما يكنه سعدون باشا من الحقد على الأمير ابن رشيد بأسباب المعارك السابقة بينهم في الخميسية وتل جبارة وغيرها سنة ١٣١٧ هـ.

لقد لبى سعدون باشا طلب الشيخ مبارك الصباح وسار مع أتباعه قاصداً الجهراء للالتحاق بجيوش الشيخ مبارك وقد أرسل الشيخ مبارك إلى القبائل الموالية له يستنهضها للاشتراك معه في الحرب.

وبعد أن اجتمعت لدى الشيخ مبارك تلك الجيوش سار يقودها هو بنفسه لمنازلة ابن رشيد ثم وصل العارض فحاصرها أياماً ثم فتحها بدون قتال.

وأسند إدارة أمورها إلى الأمير عبد العزيز آل سعود واتجه قاصداً مدينة عنيزة فحاصرها ثلاثة أيام فصالحه أهلها فأمر باعتقال عامل ابن رشيد وأسند الأمر فيها إلى عبد العزيز العبد الله آل سليم (سليم لقب يطلق على سليمان بن يحيى بن علي بن عبد الله بن زامل، فأولاد سليمان هم المعروفون بآل سليم).

وبعد أن احتل الشيخ مبارك الصباح بلدة عنيزة توجه نحو بريدة فضيق عليها الحصار لمدة سبعة أيام فسلمت إليه صلحاً فأسند الرئاسة فيها إلى ناصر بن حسن أبا الخيل بعد أن سجن عاملها المعين من قبل ابن رشيد.

ثم اتجه الشيخ مبارك من بريدة يطلب ابن رشيد فوصل إلى الطرفية وهي قرية تبعد عن بريدة خمسة عشر ميلاً.

جرى ذلك كله والأمير عبد العزيز الرشيد لا علم له به حيث كان يومئذ مقيماً في محل يدعى الحسكي[٢٨]، ولما وقف على الأمر أمر في الحال بجمع الجيوش وتحشيد القبائل، وضرب لهم موعداً للاجتماع في

---

(٢٨) في الأصل: الحسجي.

وفي المعجم الجغرافي المختصر ٤٣٨/١: «ألحسكي واد في بلاد الوهوب من حرب بقرب الزبيرة بمنطقة حائل».

محل يدعى عين ابن فهيد وقد أنب وزيره سبهان العلي لعدم أخذه الحذر.

اجتمعت في عين ابن فهيد قبائل شمر أفواجاً بين فرسان وركبان وتحشد إليه الأعراب من كل حدب وصوب.

وبعد ثلاثة أيام اقتاد الأمير عبد العزيز الرشيد تلك الجيوش ونزل شرق الطرفية، ثم ارتحل ونزل في محل يدعى فيلة الأسياع[٢٩] بالقرب من معسكر الشيخ مبارك، وكان يفصل بين المعسكرين تل من الرمل، ثم أخذ الأمير عبد العزيز الرشيد يحرض جيشه فاندفعت الفرسان والمشاة وتسلقت ذلك التل وحينما أبصرتهم جيوش الشيخ مبارك بادرتهم بإطلاق الرصاص ثم أصدر الشيخ مبارك أمره بالهجوم مرة واحدة فهجموا فاشتبكت الحرب وثار القتال بين الطرفين وكانت بوادر النصر في أول الأمر للشيخ مبارك.

وبعد أن تلاحم الجيشان ودنا بعضهم من بعض أوقف إطلاق الرصاص واستعملت السيوف والخناجر، وكان الأمير عبد العزيز الرشيد يحرض جيشه ويخوض المعركة بنفسه فتراه تارة في الميمنة وطوراً في الميسرة وحيناً في القلب.

وبقيت الحرب دائرة الرحى لمدة خمس ساعات قاتل الفريقان خلالها قتال المستميت كل فريق يأمل كسب المعركة بينما كانت السماء تمطر مدراراً وتحول ماء المطر إلى دم أحمر.

وقد انجلت تلك المعركة عن هزيمة الشيباني رئيس عشيرة عتيبة فتابعه بقية القوم في الانهزام فحدثت البلبلة في جيش الشيخ مبارك فانقضت عليهم جيوش الأمير عبد العزيز الرشيد فانهزم جيش الشيخ مبارك تاركين أموالهم وخيامهم وأسلحتهم.

---

(٢٩) هكذا في الأصل، وقد قلبت الكلمتين على مختلف الاحتمالات فلم أهتد إلى موضع بهذا الاسم.

قال أبو عبد الرحمن: فإن صح أن الطرفية وما حولها يسمى فيضة الأسياح فالعبارة مصحفة عن فيضة الأسياج. وانظر التعليقة رقم (٤٧).

وبقي الأمير عبد العزيز الرشيد مخيماً في الطرفية لمدة سبعة أيام ثم رحل من الطرفية ونزل بريدة.

أما الشيخ مبارك فقد فر طالباً النجاة ثم لحق به سعدون باشا آل سعدون ومن معهم من الرؤساء وقصدوا بلدة الزلفي، وفي صباح اليوم الآخر قصدوا الصمان، ومن هنا توجه الشيخ مبارك إلى الكويت وتوجه سعدون باشا إلى مقره في الخميسية.

أما الإمام عبد الرحمٰن الفيصل السعود وولده عبد العزيز كانا قد وصلا الرياض وضربوا عليها الحصار ثم استولوا عليها ولم يستعص عليهم شيء غير عامل الأمير عبد العزيز الرشيد المدعو عبد الرحمٰن بن ضبعان حيث تحصن في القصر وامتنع عن التسليم.

فعزم الأمير عبد العزيز السعود على نسف القصر وفي أثناء ذلك وردت عليه الأخبار باندحار الشيخ مبارك في معركة الطرفية وتمزيق جيشه فاستعجلوا الخروج من الرياض خشية مداهمة الأمير عبد العزيز الرشيد لهم.

وكذلك كان الأمر في بلدتي عنيزة وبريدة فقد تركها أميراها المعينان من قبل الشيخ مبارك لنفس السبب.

وقد وقعت هذه المعركة في ١٦ شباط سنة ١٩٠١ م الموافق ٢٦ ذي القعدة سنة ١٣١٨ هـ وتعرف هذه المعركة بمعركة الطرفية نسبة إلى قرية الطرفية التي نزل فيها الشيخ مبارك الصباح كما تسمى معركة الصريف نسبة إلى آباد ماء في القصيم نزل عليها الأمير عبد العزيز الرشيد وبينهما كانت تلك المعركة الهائلة[٣٠].

قال أبو عبد الرحمٰن: هذا النص فيه زيادة معلومات بيد أنه أفاد من مصادر الشائعات الشفوية التي ذكرت احتلال مبارك للرياض.

وأضاف وهماً آخر وهو مصاحبة الإمام عبد الرحمٰن لابنه عبد العزيز في حصار الرياض.

---

(٣٠) كتاب الزبير ص ١٨٤ - ١٨٧، وتابعه خزعل في تاريخ الكويت السياسي إذ زعم أن عبد الرحمٰن حاصر الرياض مع ابنه عبد العزيز.

وقال خزعل: «بعد فرار مبارك بقي الأمير عبد العزيز الرشيد مخيماً في الطرفية لمدة سبعة أيام يرسل سراياه إلى البادية، وكل من ظفروا به من جيوش الشيخ مبارك قتلوه.

وبعد ذلك رحل عن الطرفية ونزل بلدة بريدة وأمر بهدمها وقطع نخيلها فتوجه إليه بعض من أهالي بريدة الذين كانوا بمعيته في أثناء الحرب وحضر لمساعدتهم العلماء الشيخ صالح بن عمر والشيخ جاسر والشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن البسام وكلهم من شيوخ عنيزة وبصحبتهم أخوه فهد وابن عمه ومن يلوذ بهم من المتقدمين عند الأمير عبد العزيز الرشيد وأحضروا المصاحف ووضعوها بين يديه طالبين منه أن يكف عن قطع النخيل وهدم البلد فقبل منهم الرجاء وكف عما عزم عليه»[٣١].

ومن النصوص النادرة عن الصريف ما أورده سيف مرزوق الشملان قال: «رأى الشيخ مبارك أن يغزو الأمير عبد العزيز المتعب الرشيد الفارس المغوار (قتل في حربه مع ابن سعود في شهر صفر سنة ١٣٢٦ هـ ـ سنة ١٩٠٦ م وكان جباراً عنيداً سفاكاً للدماء وقد قال فيه الجنرال صدقي باشا القائد التركي حينما رأى بطولته: هذا فارس كعلي، ويعني به الإمام علي بن أبي طالب). قصد الشيخ مبارك ابن رشيد بجيش كبير مكون من أهل الكويت والبادية وأهل نجد وعدد الكويتين نحو ٨٠٠ وهذه أسماء القبائل التي اشتركت في الحرب مع الشيخ مبارك وأسماء رؤسائها.

١ ـ الإمام عبد الرحمٰن الفيصل السعود وابنه الملك عبد العزيز ومن معهما من أهالي نجد.

٢ ـ آل سليم أمراء بلدة عنيزة في نجد.

٣ ـ آل مهنا أمراء بلدة بريدة في نجد.

٤ ـ المنتفق ورئيسهم سعدون باشا المنصور.

٥ ـ الظفير ورئيسهم جعيلان بن سويط.

---

(٣١) تاريخ الكويت السياسي ٤٨/٢ وانظر تاريخ الكويت ١٧٣/٣.

٦ ـ مطير ورئيسهم سلطان الدويش.

٧ ـ العجمان ورئيسهم أبو الكلاب محمد بن حثلين.

٨ ـ بنو هاجر ورئيسهم ابن شافي.

٩ ـ آل مرة ورئيسهم ابن فنيخير.

١٠ ـ العوازم ورئيسهم مبارك بن دريع.

١١ ـ الرشايدة ورئيسهم محمد بن قرينيس.

١٢ ـ سبيع ورئيسهم طرمان بن ثنين (؟؟) [إنما هو أبو اثنين].

١٣ ـ السهول ورئيسهم ابن جعلود.

١٤ ـ عتيبة.

١٥ ـ قحطان.

١٦ ـ الرولة.

وكان المرحوم دهام بن مثقال الظفيري قد اشترك في معركة الصريف وقد نقل عنه صفة المعركة، وإليكم ذلك على لسانه: لما جاءنا حمود الصباح عرضوا[٣٢] عند المنتفق والظفير واجتمع خلق كثير.

وكان ابن سويط له علاقة مع ابن الرشيد فأرسل ينذره حيث أنه شد إلى نجد وتالي رجع حمود إلى الكويت، ثم خرج مبارك في جيشه ولحقه سعدون باشارة المنصور ومعه مئة خيال من الضفير والمنتفك وكان مع مبارك عدة قبائل.

كنت أنا مع خالد وقيلان بن شهيل بن منديل بن سويط الضفيري وكان فارساً وأنا على ناقة ومعنا خيال من كبار سويط هو هزاع بن سويط، ومعنا حمدان بن ضويحي من الظفير ومناور بن هضيبان العازمي وعجيمي باشا السعدون وأخوانه ثامر وحمد ومعهم خالهم ابن سبت ومعنا عطب الشريقي وهزاع بن عقاب وحيطان بن سيدان، ووصلنا عند مبارك في بلدة بريدة ولما أصبحنا شدينا ونزلنا.

---

(٣٢) عرضوا: غنوا غناء العرضة.

ولما جاء العصر وصلتنا سبورنا التي تبحث عن ابن رشيد حيث وجدوه نـازلاً على عين ابن فهيد، ولمـا أصبحنا نـزلنا الـطرفية وابن رشيـد نـزل الصريف، وصار طراد الخيل بيننا وبينهم وانهزمت خيل ابن الرشيد ووقفت خيلنا عند خيامه في ذلك الوقت ساق علينا ابن الرشيد المسيوق(٣٣) وقوته قبل الظهر.

وكان ابن الرشيد يريد أن يؤخر الحرب إلى اليوم الثاني، ولكن مبارك العذبي الصباح نصحـه بالإسـراع في مقاتلتهم، وحـذره من أنه إذا أمسى المساء فإن العجمان تهجم عليهم في الليل.

وقال له مبارك الصباح: مبارك اليوم ما له عز، لأن البارحة تاريخ قتله لإخوانه(٣٤).

ودارت المعركة بيننـا وبينهم، وبعدمـا انكسرنـا وصارت قـومنا تنهب بعضها بعضاً ولولا نزول المطر كان ابن الرشيد أخذنا كلنا.

وأخذ ابن الرشيد المخيم وكل شيء حتى غداءنا وذبائحنا أكلتهما شمر قوم الرشيد.

وكان مبارك الصباح قبل المعركة يشرب القهوة مع سلطان الدويش وما عنده علم بأن الرشيد سيقاتلهم اليوم.

فما شعروا إلا بـالمسيوق يسـوقه عليهم، وهـرب مبارك مـع سلطان الدويش وأنا كنت مع ذلولي ركبتها وهربت.

وقبل المغـرب في نصف ساعة أخذ العجمان ذلولي وما شعـرت إلا بخالي قيلان وسعدون باشا المنصور وهزاع بن عقاب لاحقين حيث فكينا الذلـول من العجمان وأمرحنا تلك الليلة وكان برد ومطر في الخلا، والصبح شدينا ولفينا على بلدة الزلفى وطردنا أهلها خوفاً من ابن الرشيد.

---

(٣٣) المسيوق: إبل مربوطة تساق على العدو ويتقي بها المحارب.

(٣٤) إنما كان الحادث سنة ١٣١٣ هـ في شهر ذي القعدة. فالمراد أن هذه الليلة من عام ١٣١٨ هـ توافق ليلة قتله لأخويه عام ١٣١٣ هـ.

وتركنا في حوطة فيها زرع وقصيل للخيل تأكل العشب ومعنا مبارك الصباح، والفجر هجينا ومبارك ترك حصانه نسيناه من الخوف، ولما فقدوه قال مبارك: لا أحد يرجع له حيث أخذه رجال ابن الرشيد والذي يروح يقتل.

وبتنا تلك الليلة في البرد معنا مبارك وذبحنا ناقة وأكلناها.

وفي الصبح صبحنا مطير على الصمان ونزلنا عندهم فعملوا لنا وجبة.

والصبح مبارك انحدر إلى الكويت ونحن أشملنا إلى أهلنا ما نأكل إلا العشب وكان أهلنا نازلين على أم رضمة شمال الحفر فوصلناهم بعد أيام منهزمين.

هذا ما ذكر لي دهام عن معركة الصريف حرفياً، وقد استفدنا منه معلومات كثيرة عن هذه المعركة منها: أنها وقعت يوم ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣١٨ هـ.

وأخبرني محمد بن حمادة العجمي وكان قد اشترك في الصريف ولا يزال على قيد الحياة وكان عمره آنذاك حوالي سبعة عشر عاماً.

يقول: إن المعركة بدأت بمناوشة الخيل، وكانت خيل ابن الرشيد عدتها الرماح فقط، فانكسرت وعاد الفرسان إلى ابن الرشيد وقال: لهم أنا أخو نوره كسروكم.

قالوا له: ما لقينا خيالة رماح... لقينا بواردية أصحاب بنادق.

قال: يا لله زملوا وحطوا ردايف.

ولما أقبلوا على جيش مبارك ظنوا أنهم على حسب العادة فسرعان ما نزلوا الردايف، وبعد ذلك ساق ابن الرشيد المسيوق وخلفه الخيالة والمشاة.

يقول ابن حمادة: إن المسيوق يتكون من حوالي ٤٠ ناقة بيضاء صخرية ولم يعد منها سوى ٧ نياق مجروحات وقد شاهدها.

ويقول إنه لم يثبت للقتال سوى الحضر من أهل الكويت فقط أما البدو فقد هربوا وقتل من الحضر كثيرون والباقي أسر.

ويقول: إنه شاهد ابن الرشيد وهو يندب أهل لبدة من حائل لأنهم أبلوا بلاء حسناً في القتال فيقول من قصيدة:

يا حر قلبي هل اللبدة اللي على الموت دلاقة

وبمناسبة كلامنا عن ابن الرشيد والصريف أحب أن أورد هذه الحادثة العجيبة وأتحدث عن ذلك الرجل الشهم الهمام الذي لم يضع فيه المعروف بل كافأ صاحبه مكافأة حسنة.

وكان العوفي مشتركاً في الصريف مع الشيخ مبارك، وقد جرح جرحاً بليغاً في ظهره، فأخذ أسيراً وألقي في الحجرة.

وكانت طويلة مملوءة بالأسرى الكويتيين، وكل يوم يخرجون منهم جماعة ويذهبون بهم إلى ابن الرشيد ويقول: إنه يجلس تحت المسجد ويضعون الأسرى أمامه يقتلهم أحد العبيد بالسيف بعدما يقول لكل واحد منهم عَلِّب[٣٥].

ويقول: إن بعضهم لا يخرج منه إلا دم قليل جداً نظراً للخوف الشديد والجوع.

المهم أنه ألقي معهم في الحجرة وبعد ذلك أخرج جماعة على نية قتلهم وكان معهم العوفي فلم يقتل ذلك اليوم بل أرجع مع عدد من الأسرى الجدد على نية قتلهم غداً أمام ابن الرشيد.

ويقول: إنه إذا فتح العبيد باب الحجرة يركض من فيها إلى الداخل خوفاً من أخذهم للقتل فبينما هم كذلك إذ فتح الباب وأخذ العبد يصوت للعوفي.

فخرج إليه وهناك تعلق به رجل يعرفه وقال أخرج معك.

قال: سأقتل.

قال له: أريد أن أقتل معك.

---

(٣٥) ارخ علباءك للسيف.

فخرج الرجل معه وهو لا يعرف ماذا سيجري عليه.

كان واقفاً على الباب مع العبد رجل من أقوياء ابن الرشيد فاستلم العوفي وقال: أنا فلان الفلاني، وإذا به ذلك الرجل الذي جاء الكويت قبل الصريف بمدة وقد أكرمه العوفي فعمل له وليمة في بيته.

فلما أبصر العوفي أسيراً عرفه وطلب من قريبه ابن الرشيد أن يعطيه إياه فوافق ابن الرشيد على ذلك.

فذهب به إلى بيته وأطعمه، ولما جن الليل أخذ يئن من ألم الجرح فسمعت والدة الرجل أنين العوفي فسألته عن ذلك، فأخبرها الخبر.

وهناك أخذت تعالجه بنفسها حتى برىء من جرحه.

وبعد ذلك أرسله الرجل إلى الكويت.

ازرع جميلاً ولو في غير موضعه فلا يضيع جميل أينما زرعا[٣٦]

ومن الأوهام قول الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمه خلال وصفه للجيش والمعركة:

في شهر ديسمبر عام ١٩٠٠ م توجه مبارك وعبد الرحمٰن بن فيصل على رأس جيش قوامه عربان العوازم والرشايدة ومطير والعجمان وبني هاجر وبني خالد ونحو ألف من أبناء مدينة الكويت قاصدين غزو عبد العزيز الرشيد في عقر داره بنجد وشمر.

ولقد فتحت القوات الغازية نجداً دون مقاومة تذكر، ونصب مبارك عبد العزيز بن عبد الرحمٰن بن فيصل حاكماً على الرياض، وبعد ذلك تقدم الجيش الغازي نحو حايل يقصد فتح منطقة جبل شمر غير أن عبد العزيز آل رشيد قد هزم جيش مبارك في الصريف على بعد عشرين ميلاً شمال شرقي بريدة بالقصيم، واضطر مبارك للانسحاب من المعركة بفلول الجيش الكويتي يوم ١٧ مارس ١٩٠١ م، بعد أن خسر معظم مقاتليه من أهل مدينة الكويت، إذ قدر عدد قتلاهم بسبعمئة رجل.

---

(٣٦) من تاريخ الكويت ص ١٤٣ ـ ١٤٨.

ولقد أشار بعض المؤرخين إلى نتيجة هذه المعركة قائلاً بأنها شهدت انهيار آمال مبارك آل صباح في بناء دولة كبرى في جزيرة العرب[37]

قال أبو عبد الرحمٰن: أما الحلم ببناء دولة كبرى فمر الحديث عنه.

وأما أنه نصب عبد العزيز حاكماً على الرياض فلم يفتحها بعد حتى ينصبه وإنما حاصرها عبد العزيز.

وأما مسألة بداية الحرب وأنها بدأت منذ زوال الشمس وليس من غروبها فقد نص على ذلك عبد العزيز الرشيد وهو يصف الحرب وينقد تصرف ابن الرشيد بعد المعركة.

قال: «التحم الجيشان وتقابل الفريقان واستمر القتال من قبل الظهر إلى قبيل العصر وقد تقهقر ابن الرشيد مرتين من مركزه، ولكنه في كل منهما كان يتمكن من التقدم إلى الأمام وقد قدم أمام جيشه صفوفاً من الإبل جنة لتقيه النبال فكانت كهشيم المحتضر.

وأخيراً بعد قتال عنيف وعراك شديد ذهبت فيه أرواح لا تحصى وزهقت نفوس غير قليلة تم الانتصار لابن الرشيد على خصمه، وشرب كأس العز قبله.

ولكن مما يسطر له بمداد الخزي والعار على صفحات الانتقاد المر تعقبه المنهزمين من الكويتيين بعد المعركة، وإجهازه على الجرحى منهم بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وإعماله السيوف في رقابهم بدون رحمة ولا شفقة، ووصيته لقومه أن لا يعتقوا أحداً من الكويتيين لا أبيض اللون ولا أسود.

فكان من جراء ذلك لم يفلت منهم إلا النفر القليل، ولقد كانوا يخرجونهم من المساجد والكهوف والمدن والقرى ويذبحونهم أمام إخوانهم ذبح الشياه الواحد تلو الآخر.

نحن نعذر ابن الرشيد في بعض ما أتى لاعتداء مبارك عليه، ولكن لا

---

(٣٧) تاريخ الكويت الحديث ص ٣١٢.

نعذره ولا يعذره الله والتاريخ في تلك الأعمال الوحشية التي مثل بها أدوار الحيوانات المفترسة، وهو يعلم أن أهل الكويت مكرهون.

على أن ما سود به صحيفة تاريخه مخالف لجميع الشرائع والقوانين فلا المسلمون يبيحونه حتى مع مخالفيهم في الدين، ولا المخالفون يستعملونه حتى مع المسلمين ولكن الجهل له سلطة على من حرموا من العلم وحجبوا [عن] نوره[٣٨].

ومن الأوهام عن حصار الرياض أن خالد السعدون ظن أن أمير الرياض عجلان وإنما هو ابن ضبعان[٣٩].

وذكر ابن ناصر أنهما أميرا الرياض معاً[٤٠].

قال أبو عبد الرحمٰن: وهو خارق عادة.

وقال حسين خلف الشيخ خزعل عن أحداث المعركة: «لما رجع الشيخ مبارك من البصرة إلى الكويت اجتمع بجيوشه المرابطة في الجهراء وعزم على مهاجمة الأمير عبد العزيز الرشيد في دياره قبل أن يأخذ العدة الكاملة والتهيؤ للقتال فكتب إلى سعدون باشا السعدون يخبره بعزمه على قتال ابن الرشيد ويطلب منه الحضور إليه بمن معه بأسرع ما يمكن.

وكان الأمير عبد العزيز الرشيد عند عودته إلى حائل أرسل أحد أقاربه المسمى سالم بن حمود الرشيد يطلب من سعدون باشا البقاء على الحياد إذا ما أعلن الشيخ مبارك عليه الحرب.

ولكن سعدون باشا أبى ذلك الطلب وفضل القتال إلى جانب الشيخ مبارك والإمام عبد الرحمٰن الفيصل السعود لاتفاق سابق بينهم وعهود معقودة.

هذا بالإضافة إلى ما كان يكنه سعدون باشا من الحقد على الأمير

---

(٣٨) تاريخ الكويت ١٦٣/٣.

(٣٩) العلاقات بين نجد والكويت ص ٢٥٠.

(٤٠) عنوان السعد ٥١/١.

عبد العزيز الرشيد بأسباب المعارك السابقة بينهم في الخميسية وتل جبارة وغيرها في عام ١٣١٧ هـ - ١٩٠٠ م.

فسار سعدون باشا مع أتباعه والتحق بجيوش الشيخ مبارك في الجهراء.

ولما سمع الشيخ خزعل بما عزم عليه الشيخ مبارك في دخول الحرب مع ابن الرشيد أرسل إليه مدفعين رشاشين وكتب إليه كتاباً يحذره فيه من خصمه وينصحه بأخذ الاحتياطات اللازمة وأن يستعد لمقابلة العدو الاستعداد الكافي وأن يتوثق من إخلاص عشائره ويحمل معه الأسلحة الكافية والمدافع الخفيفة»[٤١].

قال أبو عبد الرحمٰن: وقال حسين خلف يفصِّل جيش مبارك على هذا النحو:

١ - قبائل المنتفق ورئيسهم سعدون باشا ومعه السعدون وأولاده عجمي وثامر وحمد ومعهم خالهم ابن سبت وعبد الله بن منصور باشا السعدون وولده حمود وعطب الشريفي وهزاع بن عقاب وحيطان بن سيدان.

٢ - الإمام عبد الرحمٰن الفيصل السعود ومعه ولده الأمير عبد العزيز السعود أمراء نجد.

٣ - آل سليم[٤٢] أمراء عنيزة.

٤ - آل مهنا أمراء بريدة.

٥ - قبائل الظفير ورؤسائهم جعلان بن سويط، وهزاع بن سويط، وخالد غيلان بن شهيل ابن سويط، وحمدان بن ضويحي، ومناور بن هضبان.

٦ - مطير، ورئيسهم سلطان بن فيصل بن وطبان الدويش ونايف بن بصيص.

---

(٤١) تاريخ الكويت السياسي ٢/٤١ - ٤٢.

(٤٢) سليم لقب يطلق على سليمان بن يحيى بن علي بن عبد الله ابن زامل فأولاد سليمان هم المعروفون بآل سليم رؤساء بلدة عنيزة [خزعل].

٧ ـ العجمان ورئيسهم أبو كلاب محمد بن حثلين.

٨ ـ بنو هاجر رئيسهم ابن شافي.

٩ ـ آل مرة رئيسهم ابن منيخر.

١٠ ـ سبيع رئيسهم ظرمان بن ثني (؟؟)

١١ ـ السهول رئيسهم جلعود.

١٢ ـ قحطان رئيسهم حشر بن وريك.

١٣ ـ الجبلان رئيسهم صاهود بن لامي.

١٤ ـ العوازم رئيسهم مبارك بن دريع.

١٥ ـ الرشايدة رئيسهم محمد بن قرينس.

١٦ ـ عريبدار.

١٧ ـ عتيبة رئيسهم الشيباني.

١٨ ـ الرولة.

١٩ ـ ٧٠٠ مقاتل من نفس مدينة الكويت»(٤٣).

وقال ابن هذلول خلال عده لجيش ابن صباح: «ونحو ألف ومئتين من أهل الكويت وعبد الرحمٰن الفيصل وآل مهنا أمراء بريدة وآل سليم أمراء عنيزة وكانوا حينذاك جالية في الكويت.

وقبل زحف هذا الجيش العرمرم اتفق زعماؤه على أن يسير عبد العزيز بن عبد الرحمٰن بثلة من الجنود نحو الرياض، وصالح بن حسن آل مهنا نحو بريدة بثلة من الجنود أيضاً، وكذلك ابن سليم أمير عنيزة فإذا اشتبك ابن صباح مع ابن رشيد في القتال تمكنوا من استرجاع أوطانهم.

فسار هؤلاء الأمراء كل منهم على قوة كافية لهذا الغرض فدخل عبد العزيز الرياض واحتلها فتحصنت حامية ابن رشيد في القصر ورئيسها عبد الرحمٰن بن ضيعان فحاصرها أربعين يوماً وكادت تستسلم.

---

(٤٣) تاريخ الكويت السياسي ٤٣/٢ ـ ٤٤.

ودخل آل مهنا بريدة والسليم دخلوا عنيزة واشتبكوا في قتال مع حاميات ابن رشيد»[٤٤].

وقال الأمير ابن هذلول أيضاً: «عندما علم عبد العزيز بن عبد الرحمٰن بوقعة الصريف وهزيمة مبارك ووالده عبد الرحمٰن فك الحصار عن قصر الرياض وغادرها إلى الكويت، وقد دخل آل مهنا بريدة، وآل سليم عنيزة وتمكنوا من الاستيلاء على بلدانهم غير أن خبر حادث وقعة الصريف اضطرهم إلى الانسحاب منها فعادوا إلى الكويت كما عاد إليه ابن سعود»[٤٥].

قال أبو عبد الرحمٰن: إذا صح أن حصار الملك عبد العزيز للرياض أربعون يوماً فيكون دخوله للرياض في ١٦/١٠/١٣١٨ هـ.

وقال سليمان بن صالح الدخيل: «والخلاصة اجتمعت أمراء نجد ومن تبعهم وأمراء المنتفق ومن تبعهم، والشيخ ابن صباح ومن تبعه من القبائل والعربان وساروا جميعاً حملة واحدة عددها أكثر من ثلاثين ألف مقاتل وتوجهوا لاحتلال نجد، ومناجزة الأمير عبد العزيز بن رشيد إن أتاهم هناك، واحتلوا الطرفية إحدى قرى القصيم وجعلوها محل عسكرهم العام، وكلما مال إليهم أهل بلد استنفروا أهله للقتال معهم.

وقد سقط بأيديهم في ذلك الأثناء أكثر بلاد نجد والرياض كالقصيم وعنيزة وبريدة وملحقاته وبلد الرياض وأكثر ملحقاتها واجتمع لديهم في معسكرهم في بلد الطرفية خلق كثير وجند كثير العدة والعدد.

أما عبد العزيز ابن رشيد فكانت جواسيسه تأتيه كل يوم بجميع الأخبار وكان يخابر الدولة في ذلك والدولة تجهز له حملة كبيرة من جندها لنصرته، فلما رأى أن الأمر يبطىء عليه إذا أراد أن ينتظر ما تجهزه له الدولة جمع نفسه وسار إلى مناجزتهم قبل أن يتسع عليه الخرق ويكبر عليه الأمر، وكانت

---

(٤٤) تاريخ ملوك آل سعود ص ٥١.

(٤٥) تاريخ ملوك آل سعود ص ٥٢

جنده نحو اثنىٰ عشر ألفاً على الأكثر أكثرها فرسان، فبنى قاعدة مناجزته لهم على ثلاثة أمور:

١ ـ أن يفاجئهم على غرة وتكون مفاجأته لهم آخر نهار حتى إذا غلبهم يبددهم ويتفرق رأيهم في قبالة الليل، وإذا هم غلبوه يمكنه أن يهرب بجنده تحت ظلام الليل.

٢ ـ أنه قسم فرسانه إلى قسمين قسم أمره بالهجوم من مؤخرة العدو.

والقسم الثاني قسم إلى قسمين: قسم يشغل فرسان العدو بالمبارزة، والقسم الثاني يحمل جنداً إلى مشاغلة ميمنة العدو وميسرته.

٣ ـ أنه جمع نحو ألف من صعاب الإبل وعلمها على الهجوم على العدو، وذلك بأنه يصف جنده ثم يأمر الفرسان بأن تأخذ الإبل وتأتي بها من مكان بعيد تحددها على الجند المصفوف فإذا اقتربت من الجند مقبلة عليهم رموها بدون رصاص، وهكذا حتى تعلمت بأن تطأ الإبل الجند بدون أن تفزع أو تهرب من البارود وصوته، فلما تم له تلك التعاليم كلها في مدة نحو شهر حمل على ابن صباح ومن معه من الجنود سائراً على القاعدة التي اتخذها رسماً في حربه، ففي غرة أتاهم بعيد الظهر في شدة القيلولة وهاجمهم ونفذ ما أراده من قاعدته الحربية فتم له النصر وانخذل عدوه، واكتسب بذلك شهرة عظيمة ورجع ابن الصباح خائباً واسترجع جميع ما استردوه من البلاد.

لكنه أساء في عقاب أهل البلاد وشملهم بالعقوبة الصارمة وشدة الضرائب التي لا يطيقونها فأضمروا له سوء المنقلب.

وكانت هذه الواقعة في محرم سنة ١٣١٨ هـ»[٤٦].

قال أبو عبد الرحمٰن: لو صح أن المسيوق درب شهراً لكان ابن رشيد عالماً بحملة مبارك قبل الوقعة بشهر!!.

والحاصل أن تفصيلات ابن دخيل في جملتها خلاف نصوص المؤرخين، وفيها مبالغات.

(٤٦) القول السديد ص ١٥٢ ـ ١٥٤.

وقال حسين خلف يفصل مقدمات المعركة، وفي تفصيله زيادة فائدة: «فسار الشيخ مبارك يقود هذا الجيش اللهام إلى أن وصل العارض فحاصرها أياماً ثم فتحها بدون قتال وأسند إدارة أمورها إلى الأمير عبد العزيز السعود واتجه قاصداً مدينة عنيزة فحاصرها ثلاثة أيام فصالحه أهلها فأمر باعتقال عامل الأمير عبد العزيز الرشيد وأسند الأمر فيها إلى ابن زامل آل سليم.

ثم توجه إلى مدينة بريدة فضيق عليها الحصار لمدة سبعة أيام فسلمت إليه صلحاً فأسند الرئاسة فيها إلى الشيخ ناصر ابن الشيخ حسن أبا الخيل بعد أن سجن عاملها المعين من قبل الأمير عبد العزيز الرشيد.

فكتب محمد بن عبد الله البسام إلى الأمير عبد العزيز الرشيد من بريدة يخبره بما جرى لأن الأمير عبد العزيز الرشيد كان قد ترك حائل ذاهباً إلى الصيد وقد جرت كل هذه الأمور دون أن يعلم بذلك، ومما جاء بكتاب محمد البسام ما يأتي: «إن البلاد قد أخذت دون محاربة، والذي استولى عليها الشيخ مبارك الصباح مع جيوشه الجرارة وتحصى بيارق الشيخ مبارك سبعون بيرق فإنا قد أخبرناكم وأنذرناكم على ذلك فلا تلومون إلا أنفسكم أنقذوا بلادكم من هؤلاء القوم».

أما الشيخ مبارك فترك مدينة بريدة واتجه يطلب الأمير عبد العزيز الرشيد فوصل إلى محلٍ قرب القرية المسماة الطرفية وهي تبعد عن بريدة بمسافة خمسة عشر ميلاً، وكتب إلى ولده الشيخ جابر الذي كان قد استخلفه لإدارة شؤون الكويت يبشره بالنصر الذي أحرزه ويطلب منه إمداده بالمعدات والأسلحة وهذه صورة ما كتب.

«إلى ولدنا جابر سلمه الله تعالى:

بعده: قد فتحنا نجداً دون قتال ورتبنا فيها من قبلنا على بلدة عنيزة. عينا ابن زامل، وعلى بلدة بريدة ناصر ابن الشيخ حسن أبا الخيل، وبعد ذلك قصدنا التوجه إلى بلدة حائل وجبل آل رشيد ولا فيها سوى حمود العبيد وهو رجل عاجز وقد أخذه الكبر وليس عنده قوة لمقاومتنا، وبقوة الباري إن الله ينصرنا عليه، ونرميه في بير عمية.

وهذا ما جرى، وقد بينا لكم وأرسلوا لنا أربعين بعير أسلحة مع جبخانة ولا تكونوا بأدنى فكر حيث أننا إن شاء الله المستقبل خير من الماضي».

تاريخ ٢٠ شعبان ١٣١٨ هـ

مبارك الصباح

ودفع الكتاب إلى أحد خدمه وأمره بإيصاله إلى ولده جابر في الكويت وأوصاه بالتحفظ والتكتم لكي لا ينكشف أمره لأحد.

وبعد مسير ذلك الرجل بيومين صادفه الشيخ سالم الجتباب (؟؟) ابن طوالة شيخ عشيرة السلالي من شمر في الطريق، وكان الشيخ المذكور خارجاً في البادية يطلب الصيد فاشتبه في أمره فأمر بتفتيشه فعثر على كتاب الشيخ مبارك فاندهش لذلك وأمر بإرساله مع الكتاب حالاً إلى الأمير عبد العزيز الرشيد الذي كان يومئذ في محل يدعى الحسجي [يعني الحسكي].

فلما وقف الأمير عبد العزيز الرشيد على هذا الخبر أمر في الحال بجمع الجيوش وتحشيد القبائل وضرب لهم موعداً للاجتماع في محل يدعى عين ابن فهيد بعد أن أنب وزيره سبهان العلي وأغلظ له القول لعدم أخذه الحذر، لأن سبهاناً كان قبل هذا يأمر القبائل التي تأتي إليه بالرجوع إلى ربوعها ظناً منه أن الأمير عبد العزيز الرشيد لا يريد الحرب مع أحد في ذلك العام.

فاجتمعت في عين ابن فهيد قبائل شمر أفواجاً أفواجاً بين فرسان وركبان ورجالة وتحشدت إليه الأعراب من كل صوب، وبعد ثلاثة أيام اقتاد الأمير عبد العزيز الرشيد تلك الجيوش ونزل بها في محل يقع شرقي الطرفية.

وفي أثناء ذلك ورد إليه كتاب محمد البسام فصمم على القتال، فارتحل من ذلك الموقع ونزل بمحل يدعى فيلة الأسياح (؟؟) بحد الصريف بالقرب من معسكر الشيخ مبارك، وكان يفصل بين المعسكرين تل من الرمل

وذلك مساء يوم الاثنين الموافق ٢٩ شعبان ١٣١٨ هـ ٨ تشرين ثاني ١٩٠٠ م ونصبت خيامه هناك.

وكان فهد بن شعلان ومعه أربعون فارساً من مشايخ الرولة ضيوفاً لدى الأمير عبد العزيز الرشيد»[٤٧].

قال أبو عبد الرحمٰن: نجد أعم من بريدة وعنيزة، وإنما رحبت عنيزة وبريدة بأهلها وأمرائها الذين جاؤوا مع مبارك.

وإذن فلم يحتل مبارك نجداً ويرتب عليها أمراء.

وخطاب مبارك لابنه جابر مما يشك في صحته، وعلى فرض صحته فتاريخه خطأ بيقين، لأن إخباره باحتلال القصيم كان في شهر شعبان، وهو لم يصل إلى القصيم إلا في ١٣١٨/١٠/٢٢ هـ.

ودعوى أن المعركة في شهر شعبان خطأ بيقين.

وهذا النص دليل على أن عمال ابن رشيد في نجد لم يخلصوا له الأمر وكتموه مجيء جيش مبارك، وأن ابن رشيد لم يعلم بمجيء الجيش،

وفي هذا النص رد للزعم بأن ابن رشيد كان عالماً بالجيش وأنه لا يرغب اللقاء به، وأنه استدرجه إلى القصيم.

وقال حسين خلف يصف المعركة: «وفي الصباح المبكر هجمت بعض الفرسان من جيوش الأمير عبد العزيز الرشيد على مقدمة جيوش الشيخ مبارك فغنمت منهم أربعين فرساً.

وبعد شروق الشمس أقبل مئة وخمسون فارساً من قبيلة شمر جرياً والتحقت بجيش الأمير عبد العزيز الرشيد وطلبوا الإذن لهم بالقتال فقال لهم بعض من رؤساء جيوشه اصبروا علينا حتى نشرب القهوة ونهجم جميعاً فإما لنا وإما علينا.

---

(٤٧) تاريخ الكويت السياسي ٢/٤٤ ـ ٤٦.

وفيلة الأسياح تحريف لم أعرف وجهه، وتحديده لا ينطبق على عين الأسياح، وإنما يصدق على الطرفية، إلا أنها لا تسمى طرفية الأسياح.

فلما سمع الأمير عبد العزيز الرشيد هذا القول وعلم أن المسبب لتأخير القوم عن الهجوم هو شرب القهوة أمر أن تقلب أواني القهوة ويراق ما فيها على الأرض، وقال لهم: من يريد أن يشرب القهوة فهذه قهوة عدوه قريبة منه.

عندئذ هبت القبائل وعزمت على القتال فمنعهم الأمير عبد العزيز الرشيد وأمرهم ألا يكون ذلك إلا بعد تقديم المسيوقة فأحضرت المسيوقة.

هناك طلب الأمير عبد العزيز الرشيد أن يتقدمها بعض الفرسان فتطوع سالم ومهنا ولدا حمود العبيد الرشيد وعبد الله السبهان العلي ورئيس عشيرة قحطان.

فأبى الأمير عبد العزيز الرشيد أن يتقدم عليه أحد وقال: لا يتقدم إلا أنا فإما أن أقتل أو أنتصر، فإن قتلت فإني فداء لملكنا، فاستل سيفه ووضعه على كتفه ثم لبس رداء أحمر واعتم بعمامة حمراء حتى يتميز في القتال، ونشر ذوابتيه على كتفه، ثم اتجه إلى فهد الشعلان ومن معه من مشايخ الرولة وقال لهم: أرجوكم عدم خوض المعركة لأنكم ضيوف لدينا، ونحن نكفيكم ذلك، فإن دارت الدائرة علينا فإنكم أولى بمالنا وحلالنا.

فعند سماعهم هذا الكلام أخذتهم النخوة العربية فقام الشيخ فهد الشعلان وحث جماعته على الاشتراك في القتال مساعدة للأمير عبد العزيز الرشيد.

ثم أخذ الأمير عبد العزيز الرشيد يحرض جيشه ويحيط به علم العبيد الذي يتكون من أربعمئة فارس، وهؤلاء العبيد يرافقونه في كل حين.

فاندفعت الفرسان والمشاة وتسلقت ذلك التل وظهروا على رأسه تتقدمهم المسيوقة، ومن أمامها سالم وجماعته، وحينما أبصرتهم جيوش الشيخ مبارك بادرتهم بإطلاق الرصاص، ثم أصدر الشيخ مبارك أمره بالهجوم مرة واحدة فهجموا فاشتبكت الحرب وثار القتال بين الطرفين، فقتل سالم وجماعته وكانت بوادر النصر في بادىء الأمر في جانب جيوش الشيخ مبارك.

ثم تلاحم الجيشان وتدانى بعضهم من بعض، فأوقف إطلاق الرصاص

واستعملت السيوف والخناجر وكان الأمير عبد العزيز الرشيد يخوض المعركة بنفسه في ذلك اليوم، فتراه تارة في الميمنة وطوراً بالميسرة وحيناً في القلب، وقد قتل تحته سبعة أفراس ولكنه لم يصب بسوء وبقيت الحرب دائرة الرحى لمدة خمس ساعات، وقد اشتركت الطبيعة فيها بزوابعها وأمطارها حتى انجلت عن هزيمة الشيباني رئيس عشيرة عتيبة.

وفي هزيمته نهب أتباعه مخيم الشيخ مبارك فتابعه بقية القوم بالانهزام فحدثت البلبلة في جيش الشيخ مبارك فصار يقتل بعضهم بعضاً فانقضت جيوش الأمير عبد العزيز الرشيد وصارت تنهب أموالهم وأسلحتهم وخيامهم وذخيرتهم ثم تتبعتهم السرايا يقتلون ويأسرون إلى آخر النهار.

ثم نزل الأمير عبد العزيز الرشيد إلى ميدان المعركة وصاروا يأتونه بالأسرى وهو يأمر بضرب أعناقهم ولم يعف لا عن جريح ولا عن مريض، وقد أسر في ذلك اليوم سبع من بنات البدو اللواتي كن مرافقات لجيش الشيخ مبارك وهن العماريات[٤٨] وقد أحصي من قتل في ذلك اليوم من جيوش الشيخ مبارك فكان يربو على ستة آلاف بين بدوي وحضري عدا الجرحى والقتلى.

وبقي الأمير عبد العزيز الرشيد مخيماً في الطرفية لمدة سبعة أيام يرسل سراياه إلى البادية وكل من ظفروا به من جيوش الشيخ مبارك قتلوه.

وبعد ذلك رحل عن الطرفية ونزل بلدة بريدة وأمر بهدمها وقطع نخيلها فتوجه إليه بعض من أهالي بريدة الذين كانوا بمعيته في أثناء الحرب وحضر لمساعدتهم العلماء الشيخ صالح بن عمر والشيخ جاسر والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام وكلهم من شيوخ عنيزة وبصحبتهم أخوه فهد وابن عمه حمد ومن يلوذ بهم من المتقدمين عند الأمير عبد العزيز الرشيد، وأحضروا المصاحف ووضعوها بين يديه طالبين منه أن يكف عن قطع النخيل وهدم البلد فقبل منهم الرجاء وكف عما عزم عليه»[٤٩].

---

(٤٨) العمارية هي البنت التي ترافق الرجال حين المعركة لتحرضهم وتشجعهم على القتال [خزعل].

(٤٩) تاريخ الكويت السياسي ٢/٤٦ - ٤٨.

قال أبو عبد الرحمٰن: هذا النص طبق نص ابن بسام في كتاب الزبير، وهما يشتركان في صيغة غير فصيحة وهي قولهما عن ابن رشيد: «يخوض المعركة في نفسه» وقد عدلتها في الموضعين إلى صيغة بنفسه.

وأما سياقه لقصة هزيمة مبارك فكان طبقاً للرواية الشفوية التي ساقها مرزوق الشملان.

وقال يعدد بعض القتلى: «حمود بن عبد الله بن منصور باشا السعدون، وحمود الصباح، وخليفة العبد الله الصباح، وخميس بن عزام، وعثمان بن إبراهيم المضف، وعطية الهندي (أحد خدم الشيخ مبارك)، وعيسى بن محمد المتروك، وفهد السائر، ودرويش الوقيان، وروضان بن حمود الروضان، وسعد الربيعان، وسعد بن حبيب، وسعيد بن مرهوص، وصباح بن حمود الصباح، وصقر الرشود، وعبد الله منصور باشا السعدون، وعبد الوهاب العبد الرزاق، ومحمد سالم الشامري (من قبيلة العجمان)، ومحمد بن عيدي، ومحمد بن عويش، ومحمد بن نويصر (من العوازم)، ومحمود بن أحمد العبد الجليل الطباطبائي، ومضف بن إبراهيم المضف، ويوسف النهام»[٥٠].

والزركلي لما اختصر كتابه عن الملك عبد العزيز لم يذكر مجيء الإمام عبد الرحمٰن للرياض، بل قال: «ودعاه أبوه للعودة إلى الكويت»[٥١].

وكلمة دعاه تحتمل التوصية بواسطة رجل، أو بالمكاتبة.

وقد حدثني الأستاذ ناصر العليوي: عمن حدثه: أن الإمام عبد الرحمٰن بعد الهزيمة كتب كتاباً لابنه عبد العزيز بقاع بريدة أو الشماسية وأرسله إلى الرياض مع عتيبي بأجرة مضاعفة.

---

(٥٠) تاريخ الكويت السياسي ٢/٤٩ - ٥٠.
وقال في حاشية ص ٤٩: إن قتلى معركة الصريف كثيرون ومتعددون ولكنهم مجهولون وأكثرهم من البدو والقبائل الرحل وقد حرصت على تسجيل أسمائهم وقضيت زمنا طويلاً في البحث والاستقصاء فلم يتيسر لي معرفة أسماء أكثر مما ذكرت.

(٥١) الوجيز ص ٢٣.

وقال عبد العزيز بن محمد القاضي عن أسباب الهزيمة خلال كلامه عن عبد العزيز الرشيد:

حتى أثار خصومه من حوله	متخبطاً كتخبط العشواء
ثارت عليه من الصباح خصومه	لما قسا ودعا إلى الهيجاء
خرجا لبعضهما وفي طرفية	قد كان بينهما أشد لقاء
ابن الرشيد أتاهم في غرة	في حين ظنوا أنه متنائي
وإذا هم متفرقون وجيشهم	متشتت بمفاوز البيداء
فعدا عليهم غير منتذرين في	معداه فانهزموا على الأثناء
نجم تلألأ ذاك بريقه	في الشرق من نجد ببعض سناء(٥٢)

قال أبو عبد الرحمٰن: ويعتبر أمين الريحاني كابن عبد الظاهر في كتابه سيرة بيبرس، لأن الملك عبد العزيز أملى عليه جل كتابه.

والريحاني ذكر حدوث المعركة في ١٣١٨/١١/٢٦ هـ، وتابعه ابن عبيد والمحققون.

وذكر أن عبد العزيز بن سعود لما علم بوقعة الصريف أخلى الرياض التي احتلها أربعة أشهر فقط، وعاد برجاله إلى الكويت.

ولم يذكر الريحاني كيف علم عبد العزيز(٥٣)؟

وما أرى الأربعة أشهر صحيحة إلا إذا حسبنا مدة المسير والمقاتلة قبل تسلق الأسوار، وتقصر المدة مع ذلك، لأن عبد العزيز غادر الشوكي خلال شهر رمضان أو شوال عام ١٣١٨ هـ وغادر الرياض آخر ذي القعدة.

وحدثني أحد مواليد عام ١٣١٤ هـ الشيخ محمد بن عبد الله المرشد أن المدة ثلاثة أشهر.

قال أبو عبد الرحمٰن: ويظهر لي أن الصحيح قول من قال: إن عبد العزيز حاصر الرياض أربعين يوماً، وعلى هذا يكون وصوله إلى الرياض

---

(٥٢) العنيزية ص ٢٣.

(٥٣) تاريخ نجد ص ١١٩.

في حدود ١٣١٨/١٠/٢٠ هـ، وهو التاريخ المقارب لتاريخ توجه ابن صباح إلى القصيم حيث توجهت حملته في ١٣١٨/١٠/٢٢ هـ.

ويظهر أن الزركلي نقل نقلاً سريعاً مخلاً عن ابن عيسى عندما ذكر أن عبد الرحمٰن مر بالرياض، فقد ذكر أن المعركة سنة ١٣١٨ هـ في ١٧ ذي القعدة، وذكر سقوط الرياض في يد عبد العزيز وحصاره لحامية ابن رشيد في القصر.

قال ابن عيسى بالحرف الواحد: «وانهزم عبد الرحمٰن بن فيصل إلى الرياض فلما قرب منها أرسل إلى ابنه عبد العزيز وأعلمه بالخبر، فخرج عبد العزيز هو ومن معه من الرياض، فسار هو وأبوه ومن معهم إلى الكويت»[٥٤].

فما قاله سمو الأمير عبد الرحمٰن صحيح، وهو أن الإمام عبد الرحمن لم يدخل الرياض.

وما قاله الزركلي نقل سريع عن ابن عيسى إذ توهم أن انهزامه جهة الرياض يعني دخوله فيها.

وفاته تنصيص ابن عيسى على أن عبد الرحمٰن لما قرب من الرياض أرسل لابنه.

قال أبو عبد الرحمٰن: ومن انهزم إلى الكويت من القصيم فحلوله بجهات العرمة يعتبر قريباً من الرياض.

ولعله يوجد في الرواية الشفهية الموثوقة تحديد للمكان الذي راسل منه الإمام عبد الرحمٰن ابنه، ولعل شيخنا العلامة حمد الجاسر يحقق ذلك.

أما ما سلف من رواية شفهية تقول: إن الإمام عبد الرحمٰن كاتب ابنه من قاع الشماسية، فذلك يخالف نص ابن عيسى المذكور آنفاً، حيث بين أن المكاتبة كانت لما كان الإمام عبد الرحمٰن قرب الرياض.

---

(٥٤) تاريخ بعض الحوادث ص ٢٠٠ ـ ٢٠١.

ومن العجائب أن الدكتورة مديحة أحمد درويش عزت إلى الحيدري في كتابه عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد أن عبد العزيز بن رشيد تطلع إلى ضم الكويت، وأن ابن صباح طلب من عبد العزيز بن سعود أن يشن هجوماً عسكرياً على ابن رشيد في الرياض(٥٥).

قال أبو عبد الرحمٰن: لا يوجد هذا الكلام عند الحيدري، ولا يمكن أن يوجد، لأن حصار عبد العزيز للرياض عام ١٣١٨ هـ، وولاية عبد العزيز ابن رشيد عام ١٣١٥ هـ، وتأليف الحيدري لكتابه كان في عام ١٢٨٦ هـ؟؟

أما نتائج الفتح عام ١٣١٩ هـ فقد كانت بالله ثم بجيش سعودي خالص كما هو معلوم للقاصي والداني.

وذكر يوسف البسام أن عبد العزيز في صحبة الجيش الذي جهزه مبارك عندما ذهب مبارك إلى الزبير في ١٣١٨/٢/١٨ هـ(٥٦).

وذكر أن عبد العزيز حضر معركة الصريف(٥٧) وذلك وهم.

ويذكر يوسف إبراهيم يزبك أن عبد العزيز حاصر الرياض ستين يوماً، ثم بدأ يحفر خندقاً تحت السور ليصل إلى قصر الحاكم وهو يومئذ عبد الرحمٰن بن ضبعان عامل الرشيد(٥٨).

قال أبو عبد الرحمٰن: سمعت من فضيلة الشيخ عبد العزيز ابن الشيخ عبد الرحمٰن المبارك ومن غيره أن أبرز من كان يحفر الخندق ابن هدهود وأن أمير الرياض من قبل ابن رشيد آنذاك قطع إحدى يديه عندما فك ابن سعود الحصار(٥٩).

---

(٥٥) تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين ص ٧١.

(٥٦) الزبير ص ٢٦٨.

(٥٧) الزبير ص ٢٦٩، وتابعه الشيخ حمد الحقيل في كتابه عبد العزيز في التاريخ ص ٥.

(٥٨) ليلة المصمك ص ١٢.

(٥٩) ثم وجدت هذا الخبر في السعوديون والحل الإسلامي ص ٢٧٥.

واسمه سليمان بن هدهود من أهل قرية المصانع جنوب منفوحة.

وهـذا سيـاق مهم للشيخ إبراهيم بن عبيد قال: «لما كان في ٢٦ من ذي القعدة التقى الجمعان في ذلك الموضع واشتبكا في القتال، وكـان الحاكم عبدالعـزيز بن متعب معه من الجنود ما يكافىء بـه خصمه فمعـه عشرة آلاف مقاتل أو يزيدون فجرت الملحمة طيلة ذلك اليوم واستعرت نار الوغى واصطلى بها الفريقان، ثم إنها انفصلت الواقعة بهزيمة ابن صبـاح وجنوده فولوا الأدبار بعدما قتل منهم مقتلة كبرى.

وكانت الواقعة من أعظم وقعات العرب الحديثة ودارت فيها الدوائـر على ابن صباح ومن معه وأخذ منهم شيء كثير من عتاد الحرب والأموال وعاد منهزماً بمن سلم معه من الجيش إلى الكويت لا يلوي أحد على أحد وقتل أخوه وابنه وقتل من الأعيان خلق كثير.

ولما ظفر ابن رشيد ذلك الظفر كان قاسياً عتياً فتتبع الفلول المنهزمين وأوقع بهم إيقاعاً شديداً وقتلهم صبراً واستعمـل شراسـة نفرت القلوب من حكمه لأمر يريده الله تبارك وتعالى.

ثم زحف ونكل بأهالي نجد من البلدان الذين أظهروا الميل إلى ابن سعود تنكيلاً فظيعاً، وكان الأمير على بريدة من قبل ابن رشيد الرجل المدعو بالحازمي، وكان لما سمع بقدوم ابن صباح إلى الموضـع المعروف بخب العكرش على قدر ميلين من بريدة إلى جهة الشرق قام من مجلسه في فسحة ترادف المسجد الجامع من الشمال مبادراً إلى قصر الحكم فدخله وجنوده وأغلقوا الباب فقام أهل بريدة يرحبون بالإمام عبد الرحمٰن بن فيصل وصفت الجنود للاستعراض ودخل عبد الرحمٰن خلفه الجنود يصفقون فرحـاً[٦٠] ثم ساروا إلى موضع الواقعة.

---

(٦٠) قال أبو عبد الرحمٰن: لا يعرف أهل نجد التصفيق في تلك العهود.
ومما يحتاج إلى سؤال وتمحيص قصة بقاء أمير ابن رشيد في القصر إلى أن عزله ابن رشيد بعد معركة الصريف.
كيف بقي وبريدة مأهولة بأنصار مبارك؟؟!.

ولما انفصلت عن تلك الصفة التي ذكرنا أزال ابن رشيد الحازمي وجعل مكانه سالم بن سبهان لما يعرفه عنه من شدة العسف والجبروت.

ولما انهزم ابن صباح وجنوده وولوا الأدبار لا يلوي أحد على أحد أقام ابن رشيد أميره سالم بن سبهان وأمره أن يتبع الفلول حتى جمع خلقاً كثيراً فأودعوا في الحبس.

ثم نصب الأمير سالم خيامه بين بريدة والصريف بعدما امتلأت السجون فكان يقتل من وجده ولا يرقب فيهم إلا ولا ذمة، وكانت القتلى في حال الوقعة لا تزيد عن ثلاثمائة ثم إنه جلس الحاكم عبد العزيز بن متعب على دكة وأمر بالأسرى أن يصبروا بين يديه وكانوا أربعمائة فجيء بهم يسحبون بين يديه على وجوههم وقتلهم واحداً بعد واحد وسخر أناساً يسحبونهم بعد القتل وهو ينادي لا تدفنوهم مع المسلمين.

وقد حدثني ثقة من المسخرين قال: كنت ضئيل الجسم إذ ذاك وأدركتني الرحمة فكنت لا أتمالك من البكاء وعجزت عن العمل فشتموني وطردوني.

ثم إنه أتى ابن رشيد برجل شاب من أهالي الكويت يريد أن يفتدي نفسه بعشرة آلاف ريال فأبى أن يقبلها وقلب فيه النظر قائلاً: نحن لا نريد الفلوس إنما نريد الرقاب ثم قتله.

وممن قتل فيها من أعيان أهالي بريدة دحيم بن محمد الزبدي وقتل ابنه سلمان[٦١].

وأسهب الشيخ ابن عبيد يذكر ظلم ابن رشيد وسالم السبهان.

وذكر كرامات لمن أراد سالم قتلهم صبراً ولم أسمع بهذه الأخبار ولم أقرأها عند غيره.

وجمع ابن عبيد بين حدثي محاربة عبد العزيز لقبائل تبع ابن رشيد بإذن من والده عبد الرحمن، وحدث ذهابه بإذن مبارك لاحتلال الرياض[٦٢].

---

(٦١) تذكرة أولي النهى ٣١٨/١ - ٣٢٠.
(٦٢) تذكرة أولي النهى ٣١٧/١ - ٣١٨.

وذكر احتلال مبارك لكثير من بلدان نجد في طريقه إلى القصيم بدون قتال[٦٣]، ولهذا حديث في الكلام عن معركة الشعر العامي.

قال أبو عبد الرحمٰن: لا يعلم لدى أهل نجد أي بلد سلمت لابن صباح، ولا يعلم لابن صباح توقفا فيما بين ذهابه من جهات التنهاة إلى القصيم.

وتحدث الشيخ ابن خميس عن الصريف منطلقاً من التصورات التي طرحها مؤرخ الكويت عبد العزيز الرشيد عن هرب ابن رشيد وملاحقة ابن صباح له، وهذا غير مشهور ولا معروف، وإنما ذكر بعض المؤرخين أنه استطرد له إلى شرق بريدة.

والأكثرون والرواية الشفوية تذكر أنه نازله منذ علم بقدومه إلى القصيم وعاتب الذين قصروا وغفلوا عن مجيء ابن صباح بهذا الجيش.

وجعل المعركة قبل الظهر إلى ما بعد العصر ولم يذكر مصدره[٦٤].

قال أبو عبد الرحمٰن: القائل بذلك المؤرخ عبد العزيز الرشيد.

وقال الأمير ابن هذلول: «وكان أغلب جنود ابن صباح قد سقطوا في قرى القصيم والزلفي ومن بقي منهم كانوا لا يجدون من يطعمهم أو ينقلهم إلى بلادهم، فبعث ابن رشيد زبانية من قبله يجمعون كل من وجدوه منهم فكانوا يجمعون الثلاثين والأربعين من الأسرى ويربطونهم بالحبال، ثم يسوقونهم كالأغنام إلى بريدة ثم يأمر ابن رشيد جلاديه فيقتلونهم أجمعين.

فقد حدثني من رجال أهل القصيم من شاهد هذا المشهد المروع.

قال: كان الزبانية من جنود ابن رشيد يأتون بالثلاثين والأربعين، ثم يربطون الجميع في حبل واحد، ثم يأمر عبيده القساة فيقتلونهم جميعاً وقد انتنت الآبار التي هي خارج مدينة بريدة من جثث القتلى[٦٥].

---

(٦٣) تذكرة أولي النهى ٣١٨/١.

(٦٤) تاريخ اليمامة ٣٥٢/٦ ـ ٣٥٣.

(٦٥) تاريخ ملوك آل سعود ص ٥٢.

وبعد فك الحصار عن الرياض، وبعد معركة الصريف ذكر عبد الله فيلبي أن ابن رشيد أوفد سالم السبهان إلى الرياض لينكل بأهلها(٦٦).

وفي دخول الرياض عام ١٣١٨ هـ كانت أحدية عبد العزيز:

يـا دارنـا لا تـرهـبـيـن لا بـد مـا نـرجـع عـلـيـك

وبعض المؤرخين الذين تناولوا معركة الصريف استغلوا أسلوب الروائي للرواية التاريخية الأسطورية كسيرة عنترة والزير كقول أحدهم عن الجيش عندما خرج من الكويت: «سار الجيش وقد أثقلت وطأته الأرض وملأ الفضاء كثرة وعدداً.

سار تردد الجبال صداه وترتعد من زئيره الأسود»(٦٧).

والدارس المحقق في هذا العصر ليس بحاجة إلى مثل هذا الأسلوب لأنه ليس المقصود السمر وشحن الخيال والذهن، وإنما المراد تحقيق الوقائع وتعليلها.

والمؤرخ الجاد إذا لم يستطع أن يقول كل ما يعلم فليسكت عما لا يقدر على قوله فلا يكون ملوماً.

وإنما الملوم حقاً من يزيف التاريخ ويكذب في سرد وقائعه أو يضلل في تفسيره ولا مكره له على ذلك، وإنما هو الهوى أو طلب الخبز الخبيث كالبقرة تتخلل بلسانها.

ومثل الأسلوب الحكواتي إجمال القول في أمور يعلم الناس تفصيلها كقول بعضهم عن نفس الجيش: «أما ابن الرشيد فذعر من سيره ذعراً أطار لبه وأعدمه رشده، وود أن لا يلتقي به ولا يشتبك وإياه في قتال.

ولكن مباركاً كان يطارده في رؤوس الجبال وبطون الأودية، ويسأل عنه السهل والوعر. . . إلخ»(٦٨).

---

(٦٦) تاريخ نجد ص ١٧٧.
(٦٧) تاريخ الكويت للرشيد ١٦١/٣.
(٦٨) تاريخ الكويت ١٦١/٣.

قال أبو عبد الرحمٰن: رؤوس الجبال وبطون الأودية والسهل والوعر لها أسماء تاريخية وعرفية، والمطاردة فيها ستنتج أحداثاً فكان من المهم ذكر الأسماء وتفصيل الأحداث.

ومبارك لم يحاصر قرى نجد ويحاربها ويعرج عليها، وإنما كان ينهب السير لمواجهة خصمه ابن رشيد.

أما أنه وجد أهل نجد يرحبون به فهذا صحيح، لأنهم يرحبون بالإمام عبد الرحمٰن ونجله عبد العزيز الذي هب إلى الرياض.

وشدة تنكيل ابن رشيد بأهل نجد بعد معركة الصريف دليل على ذلك.

واحتلال نجد بهذا المعنى أشاعه مبارك وجعله كائناً عن حرب.

وأختم هذا الاستعراض بكلمة الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر قال رحمه الله عن أحداث سنة ١٣١٨ هـ: «وفيها استنفر ابن رشيد أهل نجد فلبوا دعوته فسار بهم ونزل الحجرة(٦٩) فأقام فيها نحواً من أربعة أشهر.

---

(٦٩) قال شيخنا حمد الجاسر عن الحجرة في كتابه شمال المملكة ١/٤٠٠: «بفتح الحاء وإسكان الجيم بعدها راء مهملة فهاء.

يطلق هذا الاسم على أرض ذات آكام وأودية ومناهل متعددة تقع شمال وادي الباطن والدهناء ممتدة من الجنوب من الهذاليل إلى وادي الخر شمالاً بمحاذاة اللبة لبة الدهناء من الجنوب، ومن الشمال إلى مشارف العراق حيث يقع قسم من الحجرة داخل حدوده.

ويخترق خط النفط الحجرة فيما بين منهل الشعبة (بقرب خط الطول: ٤٥°) إلى منهل الدويد (بقرب خط الطول ٤٢°) كما يخترقها طريق زبيدة، من بريكة العشار (قرب خط العرض ٥٠ ـ ٢٨°) إلى واقصة داخل الحدود العراقية (قرب خط العرض ٤٥ ـ ٣٠°) ويقع في الحجرة من مناهل هذا الطريق زبالة، والقاع، والعقبة، وواقصة.

ومن أشهر مناهل الحجرة أيضاً: رفحا ولوقة والهبكة والهبيكة والدويد والعويقلية.

ومن أوديتها: أودية الهذاليل (طرفها الشرقي). ووادي الخشبي، ووادي زبالة ووادي فيحان، ووادي أعبوج، ووادي الخر في طرفها الغربي (تقع الحجرة فيما بين خطي الطول. . ـ ٤٢° و . . ـ ٤٥° وخطي العرض يبدأ طرفها الجنوبي الشرقي من ٣٠ ـ ٢٨° إلى . . ـ ٣١°).».

وفيها سار رئيس الكويت مبارك ابن صباح بجميع بادية النقرة مع العجمان ومطير، وسعدون بأهل العراق والمنتفق والظفير وغيرهم ونزل الشوكي الغدير المعروف، ثم سار ونزل بريدة[٧٠] وانضم إليه غالب أهل القصيم.

فسار ابن رشيد من الحجرة[٧١] وقدم إليهم فتلاقيا على الموضع المعروف بالصريف فحصل بينهما وقعة هائلة عظيمة ومقتلة فاحشة جسيمة فانهزم ابن صباح شر هزيمة.

وكان من عناية الله بالشهم الهمام عبد العزيز بن عبد الرحمٰن حفظه الله أن استأذن والده على الموضع المعروف بالشوكي أن يذهب إلى الرياض فلم يحضر هذه الوقعة الشنيعة، فدخل بلد الرياض بعدما قاتلوه وكان أميرا ابن رشيد حينئذ عجلان وابن ضبعان في قصر منيع فتحصنا فيه مدة حتى بلغهم خبر الوقعة فانصرف عبد العزيز وتركهم وكان ذلك في شهر ذي القعدة من هذه السنة.

وأما ابن رشيد فإنه جعل يبعث البعوث في أثر المنهزمين ومواضع المياه ومن وجدوه قتلوه حتى قتل من الرجال ما لا يعد ولا يحصى، ثم إنه رحل من موضع المعركة ونزل بلد بريدة وأوقع بأهل القصيم النكال الشديد خصوصاً عبد الرحمٰن (دحيم) الربدي فإنه قتله وقتل ولده وأخذ ماله، وطلب من إبراهيم الربدي صبيحة يومه قريباً من ثمانين ألف ريال قبل العصر وإلا قتله فسلمت له.

ثم سار ونزل الماء المعروف بالسحيمي وبعث سرية إلى بلد الرياض

قال أبو عبد الرحمٰن: وذكر فلبى في تاريخ نجد ص ٢٧٧ أن ابن رشيد أمضى فصل الشتاء في صحراء حجرة.

(٧٠) إنما سار إلى بريدة بعدما يقرب من ثلاثة أشهر.

(٧١) الشعر العامي ـ كما سيأتي ـ ينص على أنه تحرك من برزان بحائل، فإما أن يكون ذلك باعتبار ما كان إذ خروجه إلى الحجرة كان من حائل، وإما أن يكون مر بحائل واستنفر بقية الغزو.

مع سالم بن سبهان فدخله فعذب بعض أهله بأنواع من العذاب وأخذ منهم مالاً كثيراً على غير ما ذنب.

وكان ابن رشيد في تلك الأيام على ميعاد بينه وبين الترك على الهجوم على بلد الكويت فلما علم بذلك مبارك الصباح التجأ إلى الدولة الإنكليزية[٧٢].

وفي آخرها سار الأمير عبد العزيز بن متعب ابن رشيد وقصد الحفر، وكان بينه وبين الدولة ميعاد على الهجوم على بلد الكويت كما ذكرنا، فأراد احتلالها فلم يظفر بذلك، ثم سار حتى وصل الجهراء وكانت الأتراك قد سيرت أحد رجالها بالجنود فلم يزل رئيس الكويت مرعوباً إلى أن أمدته الدولة الإنكليزية بمركب حربي رسا في ماء البحر نحواً من عشرين يوماً، فلم يزالوا يطلقون الأسهم النارية في الفضاء حتى ارتهب ابن رشيد ومن معه ثم سار من منزله مرعوباً وقصد الحفر»[٧٣].

قال أبو عبد الرحمٰن: وليس غرضي من هذه النبذة إلا سرد الأحداث على وجه الصحة.

أما تفسير الأحداث فعمل فكري مادته وقائع الأحداث يستنتج منها.

ومن التفسيرات زعم الرحالة الإنجليزي كنت وليمز أن حصار ابن سعود للرياض ١٣١٨ هـ كان قبل الأوان وأنه سبب في تعزيز مكانة ابن الرشيد.

وعندي أن هذا الحصار جرأ عبد العزيز ورسم له الهدف في يوم الفتح النهائي عام ١٣١٩ هـ.

ومن قضايا التفسير التي تثب بالأرواح حكم محمد جلال كشك في

---

(٧٢) وفي تاريخ ابن ضويان ص ٢٢ أن مباركاً بعد الهزيمة خاف من الدولة فالتجأ إلى الإنكليز.
قال أبو عبد الرحمٰن: كان مبارك مبرماً معاهدة مع الإنجليز قبل هذا الظرف، والجديد إعلانه للمعاهدة السابقة المبرمة في الخفاء.
انظر تاريخ الكويت للرشيد ١٦٨/٣ و ١٧١.

(٧٣) عنوان السعد والمجد ١/٥٠ ـ ٥٣.

كتابه السعوديون بأن هزيمة الصريف من مصلحة ابن سعود.

قال أبو عبد الرحمٰن: وهذا صحيح بعد أن تحقق فتح الرياض على يد عبد العزيز بعناية الله ثم بجيشه السعودي الخالص بعد الصريف بسنة وبناء على ما عرف من طموح مبارك في نجد.

قال أبو عبد الرحمٰن: ترتب على هزيمة مبارك أن وقفت منه الدولة العثمانية موقفاً حصره في ثلاثة خيارات:

إما أن يسافر إلى الآستانة فيعين عضواً في مجلس الشورى.

وإما أن يسكن في أية بلدة عثمانية يختارها والحكومة تقوم بما يحتاجه، وإما أن تستولي الدولة على الكويت بالقوة.

وكان الشيخ مبارك ينكر حتى ذلك التاريخ أن تكون بينه وبين بريطانيا معاهدة حماية، فلما تلقى التهديد العثماني اضطر إلى إعلان المعاهدة، فأنذر القائد البريطاني الوفد العثماني الذي جاء من البصرة بالرحيل.

ثم اتفقت الحكومتان البريطانية والعثمانية على إبقاء الوضع الراهن على حاله فيما يتعلق بالكويت.

لكن التوتر استمر بين مبارك والحكومة العثمانية فأرسلت بريطانيا خمس سفن حربية رابطت أمام الكويت، وضغطت على وزارة الخارجية العثمانية التي لم ترغب بالتورط في صدام مع بريطانيا بسبب خلافات قبائل، فطلبت من ابن رشيد العودة إلى بلاده، وقدمت له ترضية مالية مقدارها أربعة آلاف ليرة ذهبية[٧٤].

قال أبو عبد الرحمٰن: هذا الحدث وغيره من الأحداث علم منه الملك عبد العزيز أنه لا غناء في الدولة العثمانية إذ عجزت عن تحقيق غرضها من مبارك، وعجزت عن نصر حليفها ابن رشيد.

---

(٧٤) آل سعود لجبران شامية ص ٩٤، وانظر تاريخ الكويت للرشيد ٣/١٧٠ ـ ١٧١، وعن رسم موقع المعركة يراجع بلاد القصيم للشيخ العبودي عن الصريف والطرفية.

فتكوَّن لدى عبد العزيز وعي بالمتغيرات العالمية.

قال أبو عبد الرحمٰن: وبعد الفراغ من استعراض نصوص المؤرخين وتمحيصها فليكن الدور لدلالة الشعر العامي:

قال عبدالله الفرج مدعياً انتصار مبارك:

يوم جانا زج بالبل حادي	قدمه المسيوق ينخي الطنايا[٧٥]
وابتدا به ضربنا اللي يشادي	ماطر مزنه يصوب الرزايا
وانبرى واه قواه مترادي	قومه اللي ما نفعها الوصايا[٧٦]
فوهوا ربح وهو ما يسادي	ربحه الخسران يوم الشرايا[٧٧]
ما بدا فينا الذي فيه بادي	من تلاف واسمه بالكوايا[٧٨]
كيف ينكر بين حاضر وبادي	حوفنا به والفعل والسوايا
لا يغره تايه الراي عادي	المواقط من رجاله ملايا[٧٩]

بيد أن آخر قصيدته استحثاث لمبارك ليأخذ ثأره، وهذا لا يتفق مع أول القصيدة.

قال:

عجل بعزمك وخل التهادي	بالتهادي ما تثيب الشكايا
كان ما تقلع مدى الضد غادي	بالوغى وإلا فتاتي حكايا
الينادق والقنا والهنادي	والنضا معدومة والسبايا
فك بالهمات خيل ترادي	بالحديد وخل عنك المطايا

---

(٧٥) في الأصل: يزج البل.. وهو خلل في الوزن.
(٧٦) في الأصل: انبراه.
(٧٧) في الأصل: فوه بربح.
(٧٨) في الأصل: بهادي.
(٧٩) قال مؤلفو من شعر النبط ـ أصحاب ديوانية شعر النبط بالكويت ـ ١/٣٣: المواقط موقع قرب الصريف. قال أبو عبد الرحمٰن: لم أهتد إلى ذكر لهذا الموضع في كتب المعجم.

وانهض بنا حيث صوت المنادي | واجعل الأعمال منا فدايا[٨٠]
من غدا منا فقل ذاك غادي | ومن تبقى فالخلف بالبقايا
من يزيح الغل من كل صادي | كود يوم به تجود الصبايا
في مجال ما ترى إلا الهوادي | ينهش به السيف نهش الحيايا[٨١]

وقال حمود الناصر يفتخر بمبارك الصبح ويدعي انتصاره في الصريف:

وسيروا معشاكم وسجوا سهارى | وغب السرى يلفي بكم دار من دار
ريف الضيوف ودار ستر العذارى | عبد العزيز الشمري سر وجهار
تلقون زي زاهي باعتبارا | كار لاخو نورة وحنا لنا كار
فان سال عنا في جنان تجارى | ما همنا كيل المشارع والأسعار
في عشب خد زايف بالخضارا | في روضه التنهاة ناوين ميثار[٨٢]

---

(٨٠) لإقامة الوزن تنطق وانهضبنا ـ بكسر الضاد وسكون الباء ـ.
(٨١) نشرت القصيدة في عدة مصادر منها ديوان ابن فرج، ومصدري كتاب من شعر النبط ١/٣٢ ـ ٣٥.
ولأجل الوزن تنطق ينهش به بكسر الشين وسكون الباء.
(٨٢) قال الشيخ عبد الله بن خميس عن روضة التنهاة في معجم اليمامة ١/٢٠٥ ـ ٢٠٧: «تنهاة» بالتاء المفتوحة، والنون الساكنة، فهاءين بينهما ألف أولاهما مفتوحة.
من النهاية لأنها تنتهي إليها أودية كبيرة تنصب فيها من قمة العرمة. ذكرها ياقوت فقال: موضع بنجد. قالت صفية بنت خالد المازني ـ مازن بن مالك بن عمرو تميم، وهي يومئذ بالبشر من أرض الجزيرة تتشوق أهلها بنجد، وكانت من أشعر النساء ـ:

نظرت وأعلام من البشر دونها | بنظرة أقنى الأنف حجن المخالب
سما طرفه وازداد للبرد حدة | وأمسى يروم الأمر فوق المراتب
لأبصر وهنا نار تنهاة أوقدت | بروض القطا والهضب هضب التناضب
ليالينا إذ نحن بالحزن جيرة | بأفيح حر البقل سهل المشارب
ولم يحتمل إلا أباحت رماحنا | حمى كل قوم أحرزوه وجانب

انتهى كلام ياقوت.
وتنهاة هذه روضة من أجمل رياض نجد وأخصبها وأطيبها نبتاً وأحسنها موقعاً. =

مسنـاد مـا يـطري عليـه انحـدارا   مـع رادة المـعبـود عـواد الأوطـار
قـولـوا وصـاة محـمـد بـالقـرارا   نسيتهـا سجيت يـا عمس الابصـار

= يدفع بها أربعة أودية من أكبر أودية العرمة وأهمها هي من الجنوب الطيري بروافده الكثيرة، ويليه من الشمال العتك وشماليه الشوكي، وآخرها من الشمال الودي.
هذه الأودية تنصب من قمة العرمة مشرقة وتفرغ في هذه الروضة في حضن الدهناء حيث يلتف سدرها وتنضبها وطلحها وجثجاثها وشيحها وقيصومها أبد الدهر، وحيث يختلف نوارها وتصدح أطيارها ويختلط نفلها وحرفها وكرشها ورقمها وحوذانها.
وكل نبت طيب بها إذا جادها الغيث وباكرها وسميه. تمتد هذه الروضة من الشرق إلى الغرب حيث مفاجر الأودية التي تدفع بها، وتمتد حولها من الجنوب والشمال ذيول للدهناء تشكل حبالاً متطامنة وصياهد وأجارع ودكادك يتخللهـا من الشمال سواق تفضي إلى رياض صغيرة تسمى الخوابي جمع خابية، وهي مستقر الماء أو الروضة الصغيرة لا ترى إلا من قرب فكأنها مختبئة بها ما بالروضة الأم من شجر ونبت وجمال.
تمدها هذه السواقي بما تفيضه عليها مياه الروضة وتزيد هذه الخوابي وهذه السواقي وهذه الحبال الرملية تتخللها.. تزيدها متعة وجمالاً، ولـذا كانت متنزهاً للملك عبد العزيز آل سعود مفضلاً يقيم بها شهوراً أيام الربيع وتنبث خيامه في جوانبها ويتجمع حوله شيوخ القبائل ورجال العرب بادية وحاضرة.
تراهم يكتنفون هذه المضارب على شكل ندوات وأندية يتطارحون أحاديث الشجاعة والفروسية ويتجاذبون من قصص العرب أحلاها وأمتعها وينشدون الأشعار ويتناقلون الأخبار، والزيارات بينهم متبادلة، والكلفة بينهم مطروحة.
وهناك خيمة متمطية في رأس رابية رملية تحيط بها الخيام عن بعد إحاطة السوار بالمعصم.. هذه الخيمة تستقبل كل يوم موكب الملك عبد العزيز مرتين من حين ترتفع الشمس ويعتدل الضحى إلى ما بعد صلاة الظهر، ومن بعد صلاة العصر إلى حوالي الساعة الثامنة بعد الغروب، تفتتح هذه الجلسات وتختتم بالقراءة في أمهات كتب التفسير والتاريخ والأدب، ويستمع بعدها إلى نشرة إخبارية معدة بآخر أخبار العالم، ويفيض هذا المنتدى الشيق بعدئذ بشتى أطراف الأحاديث المفيدة البريئة، ولا يخلو من وفود جاءوا من داخل البلاد أو خارجها يحفهم اللطف والإكرام وتحيط بهم الهيبة والوقار، وبهم من جاءوا يحملون هداياهم مما تنتجه ماشيتهم أو تنبته أرضهم لتقبل الهدايا ويعودوا بجر الأيدي طيبي النفوس.

أغـواك ميشـوم شعب لـك ونـارا　　وما ظن أبو ماجد رضا منك ما صار(٨٣)

ويظهر لي أن حمود بن ناصر البدر لم يتعمد الكذب بدعوى انتصار مبارك، وإنما تنبأ بنصره مسبقاً كما يدل عليه قول ابن جمهور:

يـا حمـود مـن قبـلك بحيلة تجـارا　　يمدح ويقدح بالفعل مـا بعد صـار(٨٤)

وفي موضع آخر اتهمه بالترويج مع علمه بالهزيمة إذ قال:

الـلي طـلا وجهـك سـواد وسـهار　　حيثـك خبـير وداري مـار مكـار
هـل كـيف لأسرار المغـيب تجـارا　　يـا حمـود ليـه أنبـاك يـا هيـه مسخـار
لا عـاد مـالـك بـالعلوم انتـظارا　　ولا أخـذت عن مختار الأخبـار الآثـار
تخـوض ببحـور تـلاطـم غـزارا　　بـامـر الـولي تنـدار بـاقبـال وادبار

قال أبو عبدالرحمن: وعلى هذا يحتمل أن ابن صباح ألزمه أن يقول، وهذا مشهور عند الرواة.

وربما سمع ترويج مبارك بدعوى انتصاره فقال قصيدته قبل أن يتبين الخبر.

وعن تكذيب دعوى مبارك الصباح أنه انتصر واستولى على نجد يقول أبو جراح السبيعي:

يـا أيـا السمـك عقـاربـك يـوم دبن　　تقـول أخت أم الجـماجم نهابـة(٨٥)
وأم الجـماجم سبعـة أبيـار ويصرن　　انفقت خـزنـة مـالكم واسفـا بـه(٨٦)

---

(٨٣) أبو ماجد: حمود بن عبيد ابن رشيد.
والقصيدة في خيار ما يلتقط ٢٦١/٢ ـ ٢٦٣.

(٨٤) القصيدة نشرت في عيون الشعر الشعبي ص ٢٨١ ـ ٢٨٥، وأوردها الكرملي في مجموعه ص ٧٩ ـ ٩٥.

(٨٥) أخت: أخذت، وعند ابن خميس في تاريخ اليمامة ٣٥٧/٦: وطفحت للديرة ركاب يلالن.
وعند ابن دخيل: وكزيت للديرة.

(٨٦) في رواية: خسرت جيرانك على غير ثابة، وعند الدخيل: لانفاد خزنة ما لكم يا سفا به.
=

فوهت باخذة نجد والعلم عن من   تفلج وخصمك ما حضر للطلابة[87]

وقال سلطان الدويش هذه الأحدية[88]:

= وأم الجماجم جزم الشيخ ابن خميس أنها تعشار.
قال في معجم اليمامة ١/١١١: أم الجماجم ـ تعشار بفتح الجيم والميم، وألف بعدها جيم مكسورة، فميم جمع جمجمة ـ: منهل مشهور شمالي الأرطاوية عند موقف العرمة الشمالي، ملاصق للدهناء غربيها، ينطلق منه طريق أم الرمم الذي يجتاز الدهناء، تقع في قف كأنه امتداد للعرمة يمتد من الجنوب إلى الشمال، تحده الدهناء من الشرق الشمالي، وتحده منحدرات المجمع (أم الذئاب) وخبرا الفغم ومشاش مثلح، ومنخفضات الأمغر. . . تحد هذه من الجنوب، ومن الغرب.
وهو من مناهل مطير وماؤه عذب، وآباره منحوتة في هذه الحجارة الجرانيتية الصلبة.
وفي رأي العين، وتحري مناطق الماء في جوف الأرض، ومظانها بها: لا يتوقع أن يوجد في هذه الجمجمة الخرشة ماء، ولكن ما الذي حمل الأقدمين على مزاحمة هذه الحجارة الصلبة على مسافات غائرة في جوف الأرض حتى وجدوا الماء على هذا العمق البعيد؟.
هذه الظاهرة في هذا المنهل وغيره من المناهل شمال الجزيرة التي تدعي الطوال أو الشواجن تدلنا على أن هناك علماً متأصلاً في تلك الأجيال يصلون به إلى هذه الحقائق، وإلا فكيف ينحتون الأرض هذا النحت العجيب لمجرد الظن، وآلات الحفر لديهم بدائية والإمكانيات قد لا تكون متوفرة؟!
وهذا الاسم أم الجماجم حديث، وإنما اسمها قديماً تعشار حسبما حددها علماء المنازل والديار خصوصاً ما جاء في بلاد العرب فقد قال: وتعشار فوقها وهو ماء لبني ثعلبة خاصة، وبين تعشار والدجنتين خبراء وهي قاع يكون فيها سدر وينقع فيه الماء، وفيه آبار لماء السماء تسمى الحقلة.
والحقلتان خبروان في بلاد بني ضبة من سدر ومنقع ماء وهما فيما بين الدجنتين والثمد. . إلى أن قال: فأول ماء ترده تعشار، وهو لضبة في سند جبل، وحوله أبارق من رمل، مخالطة جبال. أهـ.

كان هذا المشهد يتكرر حينا في هذه الروضة، وحينا في روضة الخفس، وحينا في روضة خريم، وحيناً في غيرها، وآخر مشهد حضرته في هذه الروضة هو عام ١٣٥٩ هـ وكنت يومها شاباً لم أثغر بعد، وجاءت حينذاك طائرة أول طائرة تقتحم أجواء هذه المناطق تقل السيد نوري السعيد ليفاوض الملك عبد العزيز في قضايا تتعلق بشؤون البلدين نتج عنها معاهدة حل قضايا عشائر الحدود وقعت في صفر

= عام ١٣٥٩ هـ، فاستقبل منبسط روضة التنهاة الغربي هذه الطائرة وخف بعض من ساكني المخيم لاستقبال الحامل والمحمول وآخر النهار امتطى الأمراء هذه الطائرة فحلقت بهم في أجواء التنهاة وما حولها.
وكان حديثهم: كيف تحركت وكيف طارت وكيف هبطت وكيف شاهدوا أرض التنهاة وما حولها؟.
وما دار في الخلد آن هذه البلاد ستملك أسطولاً جوياً لا يوجد له مثيل في شرقنا كثرة وحداثة واستعداداً ولله في خلقه شؤون.
تبعد روضة التنهاة عن الرياض نحواً من مئة وخمسين كيلاً جهة الشمال الشرقي وهي من متنزهات الرياض ومرتبع أهله وإياها عنى عجران بن شرفي السبيعي الشاعر الشعبي بقوله:

حتى ايش يا ابن فهيدلو صار كشاف بارق خريف في ديار مصدة
عسى الحيا يسقى لنا وادي الغاف ومن روضة التنهاة لخريم حده

وفي التنهاة صبح ابن رشيد قبيلة سبيع، وكان يوما مشهودا تذامر فيه السبعان حول مضاربهم وقطعانهم وأخذ ابن رشيد ما أخذه منهم وانصرف.
وتطل على روضة التنهاة من الشرق أنقية بارزة تسمى الزبار وتسمى العدام منها عديمات ماجد، ومنها الكناسية وحبلها المستطيل شرقيها يقال له: عرق المتايية.
وشمال الروضة بعيداً عنها نقي أحمر قان يضاف إلى التنهاة، وكثيراً ما يصغر فيقال نقي التنهاة، لا يرى من باطن الروضة ولكن من قبلها أو من بعدها من المرتفعات التي حولها».

(٨٧) رويتها عن علي بن فهيد السكران، ورضيمان بن حسين. والقصيدة طويلة تجدها في تاريخ اليمامة ٣٥٦/٦ - ٣٥٨ ومجموع الدخيل ص ١٠٨ - ١١٩، ولباب الأفكار ٢٠٣/١ - ٢٠٤.

(٨٨) وردت بكراسات السديري هي والأحدية التي بعدها، ورويتهما عن الشيخ منديل، وأورد الأستاذ العريفي أحدية الدويش في كتابه حداء الخيل ص ١٥.

أبو جابر: مبارك الصباح.
وعند الشيخ منديل: يا سابقي توه يطيب الكيف.
وعند العريفي: يا فاطري تو ما شربت.
قال أبو عبد الرحمٰن: الحداء للخيل.

يـا والـلّه الـلي تو زان الـكـيـف   مـن يـوم أبـو جـابـر ظـهـر[٨٩]
نـبي نـطارد مـكـرمـين الـضـيـف   شـمـر هـل الـبـوش الـعـفـر[٩٠]
أمـا خـذيـنـاهم بـحـد الـسـيـف   وإلا خـذونـا بـالـظـفـر[٩١]
أمـا يجـي بـيـت المـضـيـف   وإلا فـيـا خـذنـا قـهـر

قال أبو عبدالرحمٰن: تفرد الشيخ منديل بهذا البيت، وفي هذه الرواية من عيوب القافية ما يسميه العروضيون سناد الحذو.

---

(٨٩) الشطر الأول: أسلوب عامي بحت يقوم على الحذف والتقدير: يا بهجتي والله للذي صار زيناً الآن، وهو الكيف.
تو: الآن. مأخوذ من التوة وهي الساعة.
قال الزبيدي: ومنه قول العامة: توه قام: أي الساعة قام اهـ.
زان: صار زينا.
الكيف: الانشراح والبهجة، وأصلها من: الكيفية وهي الحالة التي يكون عليها الشيء إلا أن العامة خصصت الاستعمال فقصرته على حالة البهجة والسرور، لأن الإنسان يتكيف مع جو البهجة بخلاف أجواء الحزن فهو ينفر منها.
على أن الكيفية ـ بمعنى الحالة ـ: من اصطلاح المتكلمين، ولم تنقل عن العرب.
(٩٠) عند العريفي: أما خذونا... وإلا خذناهم.
قال أبو عبد الرحمٰن: يختل الوزن في الشطر الثاني، ولم يرد هذا البيت عند منديل.
نبي: نبغي: أي نريد.
هل: أهل: أي ذوو.
البوش: الجماعة المختلطة. قال ابن فارس: ليس هو عندنا من صميم كلام العرب.
والعامة في نجد خصصت هذا الاستعمال، وقصرته على جماعة الإبل.
العفر: الأعفر، وهو الأبيض: إلا أنه غير ناصع البياض مأخوذ من العفر، وهو التراب.
(٩١) خذيناهم: أخذناهم بمعنى: استولينا عليهم، وأخذنا ما معهم.
خذونا: أخذونا.
الظفر: في الفصحى بمعنى: الانتصار، وهي هنا بمعنى: الشجاعة.
وفي بعض المواضع نسبها المؤلف لابن سلطان الدويش، وهو فيصل.
قال أبو عبد الرحمٰن: رد ماجد الرشيد الذي سيأتي يدل على أن الحادي سلطان لا فيصل.

فقال ماجد بن حمود بن عبيد بن علي بن رشيد يرد عليه[٩٢].

أهــلاً هــلا بــك يــوم دار الكيـف ... قــرت عــيــونــك بــالــظفــر
فــاعطيك ما جـوبك بحكم الضيف ... شــلــف يــفــجــن الــنــحــر
خــلاك عمـك يـوم شــاف السيف ... عــجــل جــواده وانــكسر
مــا أخبر بـه اللي جـالس بـالسيف ... يــنــبــيــه مــن جــاب الخــبر
ســلطان هــو عــقــلك خــفــيــف ... عــرضــت روحــك لــلخــطر
أنــشــد عــريــق بــالصريــف ... أشرف عــلى المــوت الحــمــر[٩٣]
إن جــاك أبــو مــتــعــب تـعـيـف ... مــا زبــنــك عــنــه الــبــحــر
يــوم المــدافــع لــه رزيــف ... والــزلم جــضــعــا بــالمــطر[٩٤]
وأنــا أحمــد الــرب الــلطيــف ... مــا راح رداد الخــبر[٩٥]

وقال حمود البدر يذكر جنود مبارك:

أنــتم كمـا ضـلع قــوي حــجــارا ... وحنــا كما نجم عــلى الضلع حـدار
أنــتم حــرار مــن مــواكــر حــرارا ... وحنــا تــرانــا من صــواريم سنجـار
وإن كــانــكم شرهــين وبـكم نمــارا ... حنــا بنــاظــر ضدنــا الشره مسـار
عــلوىٰ يمــين وكــل يــام يــســارا ... وإن كنت كره أشرب قراطيع الأمرار
عــلوىٰ إلى دك القــبــوس اســتــدارا ... أهـل الشرا والبيع بـالموسم الحـار[٩٦]

---

(٩٢) نسب الشيخ منديل هذه الأحدية لأبي شليل، وهكذا نسبها الشيخ العبودي في بلاد القصيم ١٣٤٩/٤ ـ ١٣٥٠ وقال عن أبي شليل: من أهالي بريدة مات سنة ١٣٢١ هـ.

قال أبو عبد الرحمن: استبعد أن يكون الرد لأبي شليل ـ إن كان من أهل بريدة ـ ما دام دفاعاً عن ابن رشيد وذماً لقوم مبارك، وأهل بريدة أعداء ابن رشيد.

(٩٣) عند العبودي: يشرف.

(٩٤) تفرد بهذا البيت الشيخ منديل، وهو يشهد لما مر ذكره من نزول المطر وقت المعركة.

(٩٥) الشطر الثاني كناية عن ذبح الجميع، ولكن على سبيل المبالغة.

(٩٦) خيار ما يلتقط ٢٦٣/٢.

وقال العزي مسمياً جنود ابن صباح:

ثــوًر وجمًــع مـن تــردى نـصـيبـه — باهل الكـويت ومن معه كـان خشاب
من كل غيص وكل سيب يجي به — والـلي يحـدقـون السمـك زام حـراب
وجنــوده العجـمان والــلي حـظيبـه — مع الدويش ومن والاهم والأجناب[٩٧]
والمنـتـفـق وابـن شريـم ونـسـيبـه — وجملة بني خــالـد وســالم وغصــاب
رميــوا هـل النقـرة معـاشي لـذيبـه — والضبعة العرجا ترى كيفهـا طاب[٩٨]

وقال سليمان بن جمهور عن جنود مبارك:

يـــا حمود سرتــوا من بلدكم بـطارى — وزمـتكـم أنفـسكـم لحكـم وتعـبـار
وثــرتـوا وصرتــوا بــالتـهاني أمــارا — وطـابت لكم قـطع الفيــافي والأقفـار
قــوم لكم مغصــوب وأحــد مكـارى — ما بين بحري والحضر وأهل الأهوار[٩٩]
قــوم بـاهلهــا يــابن نــاصر تجـارا — وقبــل المـلاقــا تحسب القــوم نــدار
غــرتــكــم المــدة لــيــال ونهارا — حتى انتهت مــدات أنفـاس وأعــمار
يــوم أنت بــالتنهــاة تـرعى خضــارا — ومــربـع تقــطف زمــاليق وازهـار
الحــر خـطو النـوب يخـطي الحبارى — والضان ترتع دام سرحان مـا ثار[١٠٠]

وعدد سليمان الجمهور في قصيدته النونية الدالية قوم مبارك فعد منهم: قبائل الهواجر، ومطير، وآل مرة، ويام، والمنتفق، وعـريب دار، وسبيع، وأهل القصيم، وعتيبة[١٠١].

ومن الدلائل التاريخية في القصيدة قوله:

الفجــر من بــرزان حــايـل مشنـا — والعصر عنـد مبارك بــالبــلاد[١٠٢]

---

(٩٧) حظيبه: القريب منه مكاناً.
(٩٨) تاريخ اليمامة ٦/٣٥٩.
(٩٩) في الأصل: قوم بقوم لك.
(١٠٠) خيار ما يلتقط ٢/٢٨٤.
(١٠١) نشرت القصيدة في لباب الأفكار ١/١٢٩ ـ ١٤٠.
(١٠٢) هذا البيت وأبيات غيره يدل على أن ابن رشيد غادر الحجرة، وأنه كان في حائل.

وقوله:

الشيخ أبو جابر فلا له مثنى ذو همة عليا تبي له ستاد[١٠٣]

وقوله:

اصبر سموم القيظ ينزاح عنا وتلقى مواكبنا على كل وادي

وقال شاعر في هذه المعركة قصيدة أحصى بها الجيش والقتلى فقال عن مبارك:

اللي جمع له عشرة آلاف وتزيد سبع القبائل كلهم ساس الفساد

والعجيب أنه يجعل انتصار ابن رشيد عقوبة لمن عصى السلطان عبد الحميد.

يقول:

هذا جزا اللي عاصي عبد الحميد من خالف الدولة وجا بامر الضداد[١٠٤]

وقال سليمان بن جمهور عن حيرة الناس حول المنتصر والمنهزم في وقعه الصريف، وذلك خلال رده على حمود البدر:

قبل البشير محيسن مع نهارا والربع قسمين بهم بارد وحار[١٠٥]
أحد يقول الحكم يا ناس دارا لابن صباح اللي وَلَىْ بر وبحار
واحد نذر واحد حلف بالجوارا ما صار مثله بالجزيرة والأقطار

---

(١٠٣) ستاد: ذو راي بصير، وفي أمثالهم عن النجار: ضربة الستاد بألف، وأكثر ما تطلق على البناء والحداد والنجار.

(١٠٤) القصيدة في مجموعة الكرملي ص ٣٠٦ - ٣١٠ وفي ص ٣١١ - ٣١٢ قصيدة أخرى بهذه المناسبة يقول فيها:

قل له مبارك راضي من عقب كون الصريف عود ذليل من عقب ماهوب قيم مقام

ووصف وقعة الصريف بيوم العطف، وذلك يعني كثرة ذوات الهوادج المشجعات على الحرب.

(١٠٥) محيسن ونهار اسم شخصين.

واحـد صعـد بـالمدح راس المنـارا　　لمبـارك لـولا الحيـا يـا مـلا طـار[106]

وعن رجوع ابن صباح إلى الكويت منهزماً قال العزي:

الغـوج خـلي مـا لقى من يجي بـه　　عند ابن شايق ما لقى الغوج ركاب[107]
عـاضوه بـالحلوى رياض عشيبـة　　مـا يشبع الدجـال من عشب عشـاب
من فـوق حـرذون يحـك الشـطيبـة　　تسعين ليلة مقعد الشيخ ما طاب[108]

ويقول أبو جراح عن أسباب خروج مبارك، ونتائجه ذاكراً مكان نزوله:

الـعـام دارك لـلمـجلين مـزبـن　　وسـترك عليك ولا وطي لـك مهابـة
ووسوس لك الشيطان وأغواك يا هن　　وبنيت لـك شرع بجـال اللهـابـة
دهرش لك الربدي الكذوب المخاون　　والحـازمي غفال والمـا جـرى بـه[109]

ويذكر عدد القتلى فيقول:

الفـين بـين القـاع والحـزم عـدن　　من غـير شي ما ضبـطنا حسـابـه[110]

قال أبو عبدالرحمٰن: لعله يدخل في ذلك الذين قتلوا صبراً بعد المعركة.

---

(١٠٦) من عيون الشعر النبطي ص ٢٨١.

(١٠٧) هذا البيت لا ينافي ما مر من القول بأن حصان مبارك ضاع، فلعله وجد بعد ذلك، فأخذه ابن شايق من أهل الزلفي أمانة عنده.
ولكن هناك رواية شفوية تقول إن ابن شايق أنزلهم وقراهم، وجعل مبارك الحصان أمانة عنده، وأن ابن رشيد سأله عن ذلك، فاعتذر بأنه استقبل ابن صباح وقراه منهزماً غير منتصر.

(١٠٨) تاريخ اليمامة ٣٦٠/٦.
ويعني بالبيت أن مركب مبارك الصباح غير وثير، وأنه مترف فبقي تحت العلاج ثلاثة أشهر.
فهل قال ذلك بعد معركة الصريف بأشهر؟.
أم أن ذلك توقع وتقدير؟
أم أنه مبالغة؟
ولا معنى لرواية «مركب الشيخ»، لأن الـذي يعالـج ويداوىٰ مقعـدة الشيخ لا مركبه.

(١٠٩) تاريخ اليمامة ٣٥٦/٦.

(١١٠) تاريخ اليمامة ٣٥٦/٦.

وأملى علي رضيمان بن حسين الشمري: أن مباركاً لما انهزم كانت معه الجازية بنت الدويش زوجته، فقال عيسى بن حنيظل من حائل:

هـو والمـرة نـاروا قـرانـا   مـثـل الـنـعـامـة والـظـليـم
وردوا سراب ضـحـضـحـانـا   شبعـوا مـن المـرعى الـوخـيم[111]
وأبـوه مـا يـنـشـد عـدانـا   لا بـالحـديـث وبـالـقـديـم؟!
ذبـحـات بـقـعـا بـرمـضـانـا   الـفـين رجـال عـديـم[112]
ذبـحـة عـنـيـزة بـانـتـحـانـا   يـوم المـطر شي عـظيـم[113]

قال أبو عبد الرحمٰن: ما سلف من كلام المؤرخين يدل على أن مباركاً رفيق رجال ولم تكن معه زوجته عندما كان منهزماً، بينما قال ابن حنيظل: هو والمرة ناروا قرانا، وقال راشد العبيد:

خـليت بـنت الـدحـمليـة ولابـتـك   زبنت عمـرك عنـد تـالي الـذخـايـر

وقال عبد الله الخالد الحاتم: «من أشد الحروب هولاً في تاريخ الكويت معركة الصريف، وتمتاز بكثرة الرجال والاستعداد اللذين قذف بهما مبارك الصباح في وجه ابن رشيد من جميع العربان.

كما أن هذه الحرب جادت بالكثير من أبناء الكويت دون سواهم[114]، فالذي سلم من القتل لم يسلم من الجوع والعطش والضياع.

فكانت الجولة الأولى من هذه المعركة نصراً حاسماً لمبارك، أما الثانية فهزيمة شنعاء لا عن ضعف بالقوى ولكنه ضعف بالرأي[115].

---

(١١١) يعني طول مكثهم في الرياض شرق العرمة قبل التحام المعركة بأشهر.

(١١٢) قال في يوم بقعا عبيد الرشيد:

اللي ذبحت بشفرة السيف تسعين   أيضاً ولاني عن طلبهم مسايل

(١١٣) يوم المطر أنجد فيه طلال الرشيد وعمه عبيد الإمام عبد الله بن فيصل، فكانت الغلبة له.

(١١٤) بل فادحة أهل نجد أعظم لا سيما أهل القصيم وأهل العارض.

(١١٥) هذا يوافق قول ابن جمهور: =

وكان لمبارك خادم اسمه قرينيس دخل الكويت متنكراً ينقل أخبار الهزيمة التي مني بها الكويتيون فعم الأسى والحزن البيوت، وكان من بين ذلك امرأة من العبيد فقدت ابنها فرثته بهذه القصيدة:

قلت آه من علم لفى بـه قـرينيس	يـا ليت من هـو ميت مـا درى بـه
علم لفى بـه مرس القلب تمريس	والنـاس عجت في الضمير التهابه
واليوم لـه عن جفن عيني مراريس	والحنـظل المذيـوق زاده شرابـه
على اللّه اللي راكب ضمـر العيس	واليـوم مـا ادري أي خب لفى بـه
نصيت بيتـه قلت لـه يـا قـرينيس	وين الحبيب وقـال مـا علمنـا بـه؟
اخفى مع البيرق لحرب السناعيس	وإن سلمـه والي المقاديـر جابـه
دريت من كثـر البكـا والهـواجيس	دمعي كما وبـل نشـا من سحابـه
يـا اللّه يـا فكـاك حبل المحـابيس	انـك تفك محمـد من صوابـه[١١٦]

وقال أصحاب ديوانية الشعر النبطي بالكويت: «أسر مطلق بن طليحان الرشيدي هو ورفاقه في معركة الصريف، واقتيدوا إلى ابن رشيد في حائل وأمر بإطلاق سراح مطلق لصغر سنه، وقتل رفاقه، ولجأ مطلق إلى قبيلة الرشايدة بالقرب من المدينة المنورة.

وقيل: إنه عند دليم ابن براك أمير قبائل الرشايدة في منطقة الحائط والحويط، ومكث حوالي تسعة أشهر وكانت المواصلات آنذاك ما بين المدينة والكويت صعبة جداً، فأرسل قصيدة إلى والده من ضمنها هذه الأبيات:

وتلفي لبـوي اللي مقـره على الـزين	وتلقى دمـوعـه فـوق الأوجـان نثـار
وقـل له تـرى حنـا من الشـر نـاجين	أحمـدك يـا ربي على كـل مـا صـار
وحنا نطحنا شوبـة الحرب يـا حسين	وراحت جميـع أفعـالنـا مـا لهـا كـار
واتـلا الحسـايف ربعنـا اللي مسمين	يـا ليتهم ما دوقـوا موت الأغـرار[١١٧]

= الشيخ أبو جابر فلاله مثنى ذو همـة عليـا تـبـي لـه سـتـاد
ولا نعرف وجه ضعف الرأي ها هنا، وإنما المعروف أن انسحاب ابن هذال الشيباني بقومه ألحق بهم الهزيمة.

(١١٦) نشرت القصيدة بخيار ما يلتقط ٢/٢٩٣ ـ ٢٩٤ ومن شعر النبط ١/٥٩ ـ ٦٠.

(١١٧) من شعر النبط ١/٦١ ـ ٦٢.

وقال حمود بن عبيد الرشيد يرثي أولاده:

يا مصيبة ما ينطرىٰ به مهنا — يا كبرها يا جلها من مصيبة
يا فارس الفرسان من غبت عنا — الشمس غابت قبل حزة مغيبه

وقال:

نعيي لعبد الله بحقه قليل — لو كان مَنْ لي من صديق يصيحون[118]

وقال دغيم الظلماوي يرثي سالم بن حمود الرشيد:

ذبح بقوم مبارك هو وسعدون — ونهج شهيد عند صف الأوزان
وباقي الجنايز لو غدوا ما يغمضون — الكايدة غيبة سهيل اليماني[119]

وقال الصميع يذكر عذره ويرثي من قتل:

آه من هو حاضر يوم الزحام — ساعة بالنصر أوريه الوكيد
آه وايمناه ما فيها عظام — فدوة والصبر لله الحميد
بشروا سالم بجنات الكرام — هو وأخوه بني لهم قصر جديد[120]

وقال عثمان الدويسي من أهل الزبير، والأصل من الزلفي[121]، ضمن رده على حمود البدر:

وانشد عن المطران وعريب دارا — سنع مبارك منزله وين هو صار؟
تلقاه بالصمان دو الزبارا — يرعى بريضان زهت كل نوار[122]

قال أبو عبد الرحمٰن: فهذا يدل على أن قصيدة حمود الناصر البدر

---

(١١٨) القصيدتان باللباب ٦٤١/١.
(١١٩) القصيدة بلباب الأفكار ٨٢٦/١ ـ ٨٢٧، والشطر الأول من البيت الثاني من قبيح الشعر، ومن المبالغات السامجة.
(١٢٠) القصيدة في لباب الأفكار ٦١٦/١.
والبيت من التألي على الله، والقول على الله بغير علم، وذلك محرم.
(١٢١) هكذا قال الدخيل في شرحه لمجموع الكرملي، وأكد لي الأستاذ ناصر العليوي أنه لا يوجد في الزلفي هذا الاسم، واحتمل أن يكون من حرمة.
(١٢٢) القصيدة بمجموع الكرملي ص ٦٠ ـ ٦٩.

قبل التحام المعركة بالصريف يوم كان مبارك نازلاً في الرياض شرق العرمة.

وأصرح في ذلك قوله: في روضة التنهاة ناوين ميثار.

فهي حرب منوية لم تقع بعد.

ويدلك على ذلك أن الصريف المكان الذي وقعت فيه المعركة لم يرد له ذكر في قصيدة حمود البدر.

وقال عثمان الدويسي يخاطب أمير الزبير:

جـانـا البشيـر وطيب العلم شـاعي	قـالوا جـرى كون يشيب المـراضيـع
تنـاطحـوا في وصط خـد وسـاعي	الصمع قام يـزوع الملح تزويـع[١٢٣]

وعدد من القتلى حمود الصباح وعبد الله المنصور، وابنه.

وذكر مكان الوقعة بين الصريف وقصور المزارعين.

وعدد من جيش مبارك السباعي من مطير، وقبيلة مطير، والسعدون وقبيلة يام، وقبيلة سبيع.

وذكر أنهم غروه ورموه بنقرة حضوضى.

ومن شعر العرضة قول شاعر من حائل:

يـا نـديبي تـرحـل يم ابن ثـاني	خبـره وش جـرى في نجـد واقـطاره
قـل كفينـاه شـر اللي لفى عـاني	كـوننـا بـالصـريف وجتكم أخبـاره
يـوم سـنـد مبـارك هـو وسـلطان	ظاعنين يبون الحكم وأذكاره[١٢٤]

وأما العوني فلم يظهر صوته إلا بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وذلك أنه مع أهل القصيم الذين جلوا إلى الكويت بعد الصريف فأثارهم بقصيدته الخلوج حتى استرجعوا القصيم من ابن رشيد عام ١٣٢١ هـ.

وبعد وقعة الصريف بسنة ـ أي سنة ١٣١٩ هـ ـ كان يحرض مبارك

---

(١٢٣) القصيدة بمجموع الكرملي ص ٦٩ ـ ٧٨.

(١٢٤) من أبيات ضمن مجموعة الكرملي ص ص ٣١٢ ـ ٣١٥.

ابن صباح على أخذ ثأره من ابن رشيد بقصيدته اليائية، وقد قال فيها يمدح مباركاً ويصف حاله عندما خرج إلى نجد:

ولا بـارضـه نـوى ضـده مـقـام ولا خـفـضـت دلـي لـه ركـايـا
وهـو زار الـمـعـادي فـي حـمـاه أخـذ مـالـه ورتـب في الـقـرايـا
أحسب أيـامـنـا تـسـعـيـن يـوم ونـجـد تـتـقـي لـه بـالـلـجـايـا
وغـره الـمـشـاور بـالـعـلـوم وهـرجـات الـرهـى تمسي زرايـا
وحـل الـمـوت بعـروق الصـريف يشيب الـطـفـل زلـزال السبـايـا
وحس الصمـع مثـل رعـود صيف وحـوض الموت وردوه الـطـنـايـا
وحـل الضـرب بـارقاب الـرشيد وعـرفـوا مـا لهم فيها بقـايـا[125]
وعـيـا الله ولـه بـامـره مـراد تعـالى اللّه عن قـول الـرزايـا[126]
فـلا نـصـره دلـيـل عـن رضـاه بكـون أحـد كسـر سيـد البـرايـا[127]
ومـن عـقـبـه دهـم ضـده يـجـنـد أخـذهم عنوة مـا بـه عـطـايـا[128]

وقال عثمان الدواس عن فلول المعركة:

نـو تـظهـر من شمـال الجـزيـرة ضفت مخـايـله على يام ومطير[129]
واجنب وسيله شـال عـلوى زفيـره تناوش العجمـان واقفـوا مذاعيـر
هـجـوا وكـل مـا يسنـع منيـره تـزبـنـت يـام بـلاد الـمـنـاصيـر
بـرقـع ولـد متعب مـطيـر مغيـره وصارت على الجبلان مع ترثة شقير[130]
حـر شهـر من قصـر بـرزان طيـره وقـت يـنـفـر الـصـيـد تـنـفـيـر
بـرك مبـارك ثم كـمـل هـديـره ضـاق البحر بـه مـا لقى بـه معـابيـر
وانحـاش أخـو مـريم وخفق ضميـره من عقب مـا هو صـايـر للبـدو ضير
قـام يـتـعـوذ مـن فـلاح وغـيـره يقـول مـا لي في سنعكم ولا أصيـر

---

(١٢٥) يريد أول جولة يوم الصريف.
(١٢٦) عيا: أبى.
(١٢٧) بكون أحد: بمعركة أحد بين رسول الله ﷺ وكفار مكة.
(١٢٨) الأزهار النادية ٥/٩٠.
(١٢٩) ضفت: أحاطت.
(١٣٠) مغيرة: إغارته.

واقفى ولـد راكـان يشمت شـويـره   يقـول وهقنـا كبيـر البحـاحيـر[١٣١]

وقال حمود بن عبيد في هذه المناسبة:

وش عنـدنا يـا لربـع لدعيـج وحمود   وعـريب دار يـوم تـطرد شعـالـه
يقـول مالي يـوم اجي نجـد مقصـود   إلا الأميـر أحـولـه من جبـالـه
غـره سـلاحـه خمسـة آلاف بـارود   ومـطيـر وسبيـع ويـام قـبـالـه

وقال عن ذبح مبارك لأخويه:

شيبـان اخـوانـه مـصلين ورقـود   في فـرشهم ذبحـوا بليـل غيـالـة

وقال منصور العمير في تقريظه لقصيدة حمود:

جـاهم مبارك يجمـع البـدو وجنـود   وأهـل البحـر والمنتفق جـوا حيـالـه
واقفى مبـارك نـايـر مثـل فـرهـود   وسعـدون سمّح لـه وخلى عيـالـه
وأخـوه عبد الله تقعـطل هـاك العـود   خـلوه بـالبيـدا تـشـرب بـلالـه
من الفور جاك لمصـرعه تقـل مطرود   لا فاخت الحوت البحر هو زواله[١٣٢]

وقال راشد العبيد من أهل بقعاء:

وردت جواد الشيخ في وسط جمعهم   بمصفط يضـرب إلى الـراس طـايـر
ذبحت جـواده ثم جـابـوا جنيبـه   ورد وقـال اللي بغى اللّه صـايـر[١٣٣]
يـوم انتخى نخى طـلال أبـو نـايف   معه أبو فـدغم دك والرمي خـاير[١٣٤]
سلطان هـو والعـم وعبيـد سبلوا   هـدوا وركن الجمـع خلي عشـايـر
خمسة عشر شيـخ يبي وجـه شيخنـا   تخـارمـوا وقـاد وهيـج الـسعـايـر[١٣٥]

---

(١٣١) القصيدة بلباب الأفكار ٢/٦١٦ - ٦١٨.

(١٣٢) القصيدتان في لباب الأفكار ٢/٦٣٤ - ٦٣٧.
وقوله: «لافاخت» معناه: إذا فاخت، وهو استعمال عامي لعله مأخوذ من فخت رأسه بالسيف بمعنى قطعه، والقطع مزايلة.

(١٣٣) بغى: أراد.

(١٣٤) خاير: ساكن متراخي.

(١٣٥) أورد قصيدته ابن يحيى في لباب الأفكار ٢/٦٠٢.

ومن قال شعراً في الصريف عودة بن سحمان، وقد أقذع في هجاء سلطان الدويش، وأثنى على فروسية ماجد وطلال، وهما ماجد بن حمود بن عبيد، وطلال بن نايف بن طلال بن عبد الله بن علي بن رشيد[١٣٦].

ومن قال في هذه المناسبة شعراً الذعيليق من أهل جبة. جاء في قصيدته:

كون جرى بجنوب طرفا لك اللّه	يضيع به الحساب عد الرزايا[١٣٧]

ومن شعراء هذه المناسبة سليمان المنيع ذكر في قصيدته سلطان الدويش والربدي وسعدونا[١٣٨].

ومنهم سليمان الصميع ذكر في قصيدته أن ابن سليم لم يهتد بنصيحة الصوينع، ويقول معتذراً عن عدم شهود الحرب:

صيبت يميني والنشامى يبارون	كم واحد من طرحهم طاح بالقاع
أبكي يميني كان يا لربع تدرون	يا حيف من يمناي عابن الاصباع[١٣٩]

ومن شعراء هذه المناسبة هضال بن ذرية، وقد أثنى على دور حمود بن عبيد في المعركة، وندد بسعدون[١٤٠].

ومن شعراء هذه المناسبة مفضي العبد العزيز أحد مماليك عبد العزيز بن متعب ابن رشيد قال ضمن عرضة له:

يوم جانا أخو مريم وربع له	هيظ مطير والعجمان واجنابه
وين فيصل وشرب الكيف بالدلة	ما ثنى سابقه لا رحم من جابه[١٤١]
وين سعدون ومرده لعبد الله	يوم حامت عليه الخيل ما ثابه[١٤٢]

---

(١٣٦) وردت في اللباب ٢/٥٩٩ ـ ٦٠١.

(١٣٧) قصيدته باللباب ٢/٦٠١.

(١٣٨) قصيدته باللباب ٢/٦٠٨ ـ ٦٠٩.

(١٣٩) قصيدته باللباب ٢/٦١٥.

(١٤٠) وردت قصيدته باللباب ٢/٦١٨ ـ ٦١٩.

(١٤١) فيصل: الدويش [أحمد العريفي].

(١٤٢) بعض المتشابه من القصائد الشعبية ص ١٤٧.

وأعود إلى ما ذكرته أول هذا البحث من تضارب الأخبار حول جزئيات معركة الصريف مما يستدعي مزيداً من البحث، والاستكثار من الرواية الشفهية والتحليل.

وأهم ما ينبغي التساؤل عنه: أن مبارك الصباح كان بحشوده في كبد شرق الجزيرة، وأن ابن رشيد كان بحشوده في الشمال الشرقي.

فهل كان ابن رشيد لا يعلم شيئاً عن حشود مبارك؟

لقد مر في السياق أنه وبخ ابن سبهان لقصوره عن التحري.

ويستبعد عقلاً أن يبقى ابن صباح - عدو ابن رشيد - ما يقرب من ثلاثة أشهر في كبد الشرق من البلاد التي يحكمها ابن رشيد وهو يعلم.

وإنما يكون تصور ذلك ممكناً إذا كان ابن رشيد لا يعلم.

وإذ صح هذا ففيه دلالة على أن عمال ابن رشيد في مناطق نجد غير مخلصين له إذ لم يبلغوه، ومن المستبعد أن لا يعلموا هم عن هذه الحشود.

ويستبعد أن يعلم بمبارك وحشوده ثم يتركه أشهراً يتمتع بالعشب والغدران، ثم يتركه إلى أن تسلم لبعض رفاقه - وهم آل سعود - بريدة وعنيزة أكبر عاصمتين في نجد يومها.

وقد يحتج محتج بقول أبي جراح السبيعي:

خلاك ترعى العشب يبغيك تسمن   وقزاك ذنبك يا محسب وجابه

قال أبو عبد الرحمٰن: هذا مجاز شاعر شبه خصمه بخروف الجزار يسمن ليذبح، والمعنى أنه جعل غفلة ابن رشيد عن تحرك مبارك في حكم التغافل عنه لكي يسمن.

والصواب أن ابن رشيد لم يعلم كما في إشارة سليمان بن جمهور بقوله:

يوم أنت بالتنهاة ترعى خضارا   ومربع تقطف زماليق وأزهار
الحر خطو النوب يخطي الخبارا   والضان ترتع دام سرحان ما ثار

ولعل الأقرب للتصور أن ابن رشيد كان عالماً، وأنه كان يكاتب الأتراك يطلب المدد، فلما أبطأ عليه المدد وتحرك خصمه تاجزه.

وأما تحرك ابن رشيد فيظهر أن مباركاً لا يعلم به أيضاً، إذ من غير المعقول أن يعلم أن ابن رشيد يحشد عليه ثم يترك له الكويت خالية إلا أن يكون على ثقة بحماية بريطانيا للكويت بناء على الاتفاقية المبرمة منذ عشر سنوات.

ومهما كان التقدير فمبارك يعلم أن ابن رشيد ويوسف بن إبراهيم لن يتركاه، ولهذا جاء في صورة المناصر لآل سعود وأهل القصيم ليحقق طموحه في الامتداد إلى نجد وجيرانها، وليدرأ خطر ابن رشيد بمبادأته.

وكرر شعراء العامية تبكيت ابن رشيد لأنه لم يتقيد بوصية عمه محمد، لأنه تعرض لابن صباح.

والواقع أن وصية عمه محمد بن عبد الله الرشيد بخلاف ذلك، وإنما كان يحذره من مبارك ويحثه على مقاومته بكل قوة.

ولعل محمداً ـ كما في ملحمة بولس سلامة ـ حذره من أن يبدأ مباركاً بالحرب.

٥ ـ رحلة بلجريف
رواية أدبية مادتها التاريخ!!

من الراجح أن بلجريف لم تطأ قدمه الجزيرة العربية قط.

ومن المرجوح أنه زار الجزيرة وكتب رحلة إلا أنه شحنها بالأكاذيب.

ومن المحتمل أن رحلته لم تتجاوز حائل.

وعلى التقديرات الثلاثة ففي رحلة بلجريف أشياء هي من الكذب بيقين لا يشوبه احتمال.

ومن تلك الأكاذيب بيقين ما افتراه على الإمام عبد الله بن فيصل بن تركي من التآمر على سم أخيه سعود.

قال روبن بدول: «استقبل بلجريف من قبل الأمير عبد الله الذي وصفه بأنه شبيه بهنري الثامن لاعتزازه بنفسه، ولغلظته وشجاعته، ومهارته السياسية.

أما الإمام فيصل فكان رجلاً كبير السن وبدا عليه التعب.

وقد وافق بلجريف الآخرين من أهل الرياض في توقعاتهم أنه بعد موت الإمام ستقوم مشكلة ولاية العهد بين الأمير عبد الله وأخيه الأصغر سعود الذي وصفه بأنه يشبه ضابطاً في فصيل الهوصار[1].

---

(١) الهوصار: فصيل في الجيش البريطاني معروف بشجاعته في القتال، وفي المورد الهوصار: جندي في وحدة من الوحدات العسكرية الأوربية المنظمة على طريقة سلاح الفرسان الهنغاري الخفيف في القرن الخامس عشر (المورد ص ٤٤٠) (المترجم عبد الله آدم نصيف).

وقد عزم عبد الله على أن يسبق الأحداث ويبادر بضربته فلمح لبلجريف عدة مرات وبطريق غير مباشر عن رغبته في الحصول على كمية من عقار ستركنين السام، ثم عبر له عن تلك الرغبة صراحة قائلاً إنه يأمل أن لا يرد طلبه.

فهمس بلجريف في أذن الأمير: لا مانع عندي من مشاركتك في جريمتك وأن أكون مسؤولاً مثلك أمام الله يوم الحساب، ولكنك لن تحصل عليه أبداً.

فاسودَّ وجه الأمير وانتفخت أوداجه من الغضب الذي لم أرَ مثله قبل ذلك ولا بعد، وعرفت حينئذ أن الغضب من الشيطان، ومرت برهة من الصمت كان الأمير يراجع فيها نفسه.

كتم بعدها غيظه وسيطر على نفسه فانفجرت أسارير وجهه وغيَّر لهجته وبدأ في الحديث عن مواضيع أخرى.

وفي ليلة من ليالي نوفمبر وبينما كان بلجريف يعد العدة لمغادرة الرياض بعد أن عمل دراسة تاريخية وسياسية عن الحركة الوهابية، استدعي في منتصف الليل للمثول حالاً أمام الأمير عبد الله الذي أجلسه قريباً منه، وبعد برهة من الصمت الطويل أخبره الأمير فجأة بقوله: الآن أعرف تماماً من أنتم!!

أنتم لستم أطباء.. أنتم جواسيس نصارىٰ وثوريون جئتم هنا لتخريب أوضاعنا والنيل من عقديتنا نيابة عن أولئك الذين أرسلوكم.. إن عقاب من هو مثلكم كما تعرفون هو الموت الذي قد عزمت على إنفاذه بلا تردد.

ونظر بلجريف ـ وروايته لهذه الحادثة، هي المصدر الوحيد لدينا ـ في وجه المدعيٰ عليه ببرود، واعترف له بأنه نصراني حقيقة ولكنه نفى أن يكون جاسوساً، وتحدى الأمير أن يقتله، بعد أن أصبح ضيف الملك والد عبد الله لأكثر من شهر.

فما كان من عبد الله إلا أن لعب ورقته الأخيرة، فدخل خادمه حاملاً فنجاناً واحداً فقط من القهوة وقدمه لبلجريف، وكانت مسألة التحدي واضحة

حيث أن الامتناع عن قبول القهوة سيؤدي في هذه الحالة إلى رفع الحصانة التي يتمتع بها الضيف، ولكن بلجريف أخذ الفنجان وشربه وطلب آخر.

وعندما ظهرت ملامح الحرج على وجه عبد الله تشاغل بلجريف بالتحدث مظهراً رباطة جأشه عاكساً البرود الإنجليزي المعروف في وجه الأعداء وعند المصاعب، ومع ذلك خرج بلجريف من المجلس وفي ذهنه شيء واحد: مغادرة الرياض بأسرع وقت ممكن[٢].

قال أبو عبد الرحمٰن: بلجريف في قصة السم صاحب رواية أدبية واقعية وليس صاحب تاريخ واقعي.

والفرق بين الأمرين أن المؤرخ الواقعي يذكر الأحداث كما وقعت.

أما الروائي الواقعي فيذكر أحداثاً ليس من الضروري أن تكون حصلت وحدثت في الواقع وإنما هي أحداث يمكن تصور وقوعها.

أي أن وقوعها في حيز الاحتمال وليس متعيناً.

كما أن الروائي يعتمد على ربط مختلق بين أحداث واقعية.

وهذا ما فعله بلجريف إذ اتخذ له عنصرين من الواقع:

أولهما: صحة الكراهة بين الإمامين عبد الله وسعود وشدة البغض بينهما فهذا حدث صحيح حصل في الواقع.

فألَّف من هذا الحدث الواقعي حدثاً مختلقاً وهو عمل عبد الله على سم أخيه، لأنه إذا حدث في الواقع شدة الكراهة والبغض فلا يستبعد في تصور العقل قيام أحد الطرفين بسم الآخر.

وثانيهما: عرف العرب في الممالحة أن الشخص إذ دخل منزل عربي أو شرب من مائه أو أكل من طعامه فقد حصلت له ذمة الجوار.

---

(٢) الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية ص ٧٢ ـ ٧٤ وانظر اختلافاً في ترجمة هذا النص بمجلة العرب ٩٨٨/١، ٩٨٩، ولم يذكر قضية السم هذه بل قال: «ويفسر بلجريف أسباب غضب الأمير عبد الله عليه بأمر نستبعده جداً».

فهذا الحدث الواقعي أَلَّف منه بلجريف دعوى أن الإمام عبد الله بن فيصل سالمه ولم يوقع به لأجل عادة العرب في الممالحة.

فالعقل يتصور حادثة إفلات بلجريف من عدالة عبد الله بن فصيل ما دام عرف الممالحة واقعاً عربياً صحيحاً.

إلا أن المؤرخ لا يكفيه احتمالات الروائي الأدبي وإن صحت في العقل لأن الوجود في الأذهان غير الوجود في الأعيان.

وما يوجد في الأعيان - وهو وقوع الحدث التاريخي - لا يكفي فيه الاحتمال العقلي بل لا بد من برهان على الحدوث واقعاً.

وهذا المدعىٰ تنفيه الظروف والملابسات لصاحب الحدث المزعوم الإمام عبد الله بن فيصل.

فأول ما ينفيه أن التخلص من أي شخص بالسم لا يتوقف على عقار (ستركنين)، بل العجائز والفقراء والخاملين قادرون على تملك كميات من السم.

فليس السم أداة نادرة لا توجد عند غير بلجريف!!.

وثاني ما ينفيه: أن الإمام عبد الله بشهادة بلجريف نفسه من المتحمسين للدين من خلال دعوة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى وصفه بالتزمت والتعصب.

فمن هذا شأنه يمنعه دينه ومركزه أن يقتل مسلماً بريئاً غيلة فضلاً عن اخيه.

وثالث ما ينفي هذا الحدث المزعوم: أن الظروف أكذبت احتمال تصور هذه الفعلة أو التفكير فيها من قبل الإمام عبد الله لأنه لما تولى وضايق أخاه سعوداً كان شبه أسير عنده.

ولو أراد تغييب شمسه غيلة لفعل ولا يبالي وهو في مركزه يومها (وقد توفي الإمام فيصل) أن تظهر بعض الخيوط من الحادثة لا سيما بعد أن تطور الخلاف.

فما الذي منعه في هذا الظرف من الاغتيال وهو عليه أقدر وإليه أحوج.

وهذا بالفعل ما لاحظه الشيخ ابن عتيق في خطابه للإمام سعود، وحدثني عميد ثقة من آل غشيان بالسند المتصل إلى الإمام عبد الله بن فيصل أنه أبى أن يأخذ بأحد خيارين:

أحدهما: أن يغدر بأخيه فيغتاله ويتحمله في موازينه.

وثانيهما: أن يفل له الراية كما فلها الإمام فيصل لابنه عبد الله.

ورابع ما ينفي هذا الحدث: أن الإمام عبد الله ليس ذا عرف بدوي يخضع دولته لأحكام الممالحة.

وإنما الإمام عبد الله الفيصل إمام منتخب بالبيعة الشرعية بايعه جيشه وجنده وكافة رعيته على الكتاب والسنة، وهو وريث علم شرعي قامت عليه دولة آبائه وأجداده، فهو يعمل لمصلحة دولته وفق أحكام السياسة الشرعية السلطانية ووفق مقتضيات الفقه الإسلامي.

ودولة هذا شأنها ليس في دينها عرف اسمه الممالحة ينجو به كل محدث من مجرم أو جاسوس.

وخامس ما ينفي ذلك الحدث: أن بلجريف غير مؤتمن فيما تفرد بنقله لأنه يهودي تنصر وقام بأعمال جاسوسية في مصر وبلاد العرب والهند.

فحصيلة هذه العناصر الثلاثة صهيونية سياسية، وليس هذا مجال تحقيق ماذا يعني مدلول الصهيونية السياسية من التخريب والعمل في الخفاء فقد كُتب في ذلك فيوض من المؤلفات.

إنما المهم أن بلجريف - سواء وصلت جاسوسيته الجريرة أم لم تصل - جاسوس يهمه أن يعرف أوضاع أهل الدعوة الحنفية على حقيقتها ليزيف عليها، وأنه يلبي مطلباً أجنبياً يعادي الأمة العربية في دينها وتاريخها، وأنه يريد لفت الأنظار لمداخل الكيد الأجنبي لتتمزق هذه الدولة كما تمزقت في عهد الإمام عبد الله بن سعود الأول رحمهما الله تعالى.

وفي قراءاتي العاجلة لما كتب عن بلجريف ورحلته وعما ترجم عنها من فصول أو نبذ[3] وجدت من يحتمل أن بلجريف يسعى لتقوية أطماع آل رشيد في بداية عهدهم الذهبي[4](عهد طلال وعمه عبيد)، ومن المحتمل أنه يسعى لتدخل الإنجليز في شؤون الجزيرة بعد أن أظهر لأسياده أزمة التوتر بين الإمامين.

وأما ما يقبله الباحث من أخبار بلجريف عن الخلاف بين الإمامين فلأن له شواهد أخرى كرحلة الكولونيل لويس بلي الذي زار الإمام فيصلاً في الرياض عام ١٨٦٥ م: أي بعد دعوى زيارة بلجريف بسنتين وزيادة أشهر، وكدلالة الأحداث ومراسلات المشايخ على خلاف قديم.

إن رحلة بلجريف مزيج من الواقع التاريخي والرواية الأدبية.

وذلك الواقع التاريخي مصدره قراءات بلجريف وتحرياته، أو رحلته إن صح أن له رحلة.

قال أبو عبد الرحمٰن: إن صح أن له رحلة قلنا: لكثرة تزييفه الروائي جلب شكاً كبيراً في صحة معلومات جميع رحلته حتى رأى جون فلبي أن بلجريف لم تطأ قدمه الجزيرة العربية قط[5].

---

(٣) انظر مجلة العرب ٩٨٢/١ - ٩٩٠ - ١١٢٢ - ١١٣٥ والتوباد م ١/ج ع ص ٢٨ - ٣٥ ودراسة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر ص ٤٠٨، ٤٠٩ والرحالة الغربيون في الجزيرة العربية ص ٦٧ - ٧٦ واكتشاف جزيرة العرب ص ٢٩٨ - ٣٢٢.

(٤) قالت جاكلين بيرين في كتابها اكتشاف جزيرة العرب ص ٣٠٨: «إن رغبة الإمبراطور الفرنسي في معرفة مقدار القوة الحقيقية التي يتمتع بها الأمير الرشيدي، ودرجة إمكان انتصار الوهابية أمر يؤكده تمويله المشروع فيما بعد لرحلة غوار ماني، ولكن مما لا ريب فيه أنه قد أحس بانزعاج شديد إذ قرأ تلميح بلجريف إلى تلك الأوامر السرية التي أراد الإبهام بأنه قد تلقاها منه».
وانظر أيضاً ص ٣٠٠.

(٥) انظر التوباد ص ١٩ واكتشاف جزيرة العرب ص ٣١٠ - ٣٢٠، وممن ذهب إلى أن بلجريف لم تطأ قدمه الرياض الأستاذ محمد جلال كشك في كتابه السعوديون والحل الإسلامي ص ٢٠٩.

ولهذا ألخص ما اطلعت عليه من المؤاخذات على رحلة بلجريف في أمرين:

أولهما: أكاذيب في المعلومات عن وصف الطرق والأماكن ومجاري المياه.

فقد بدأ الشك من قبل الدكتور بادجر وانتهى تحقيق الشك برحلات آخرين اقتفوا أثر بلجريف من أمثال الكولونيل بلي وفلبي ودوغتي وغوار ماني[٦].

قالت جاكلين بيرين: «كل هذا لا يمكن أن يوحي بالثقة في ذلك الرائد».

فهل كان وصفه غلواً طبق في كل مكان للحصول على تأثير أشد في القراء؟.

إن هنالك ما هو أكثر من الميل إلى المبالغة وأكثر من عدم الدقة.

هنالك أخطاء غريبة جسيمة، وقد علم ش. م. دوغتي أن زملاء بلجريف من اليسوعيين لم يعترفوا له بميزة الصحة في مؤلفه، وأبى الاعتقاد بأن يكون بلجريف قد قام برحلته تحقيقاً لبعض مصالح نابوليون الثالث.

ويستطيع المرء أن يتساءل في الحقيقة: ما إذا كان ادعاء بلجريف بكونه موفداً سرياً مكلفاً بمهمة سياسية شديدة الأهمية، ليس مجرد تبجح منسجم وأسلوب الكتاب كله؟!.

هذا الكتاب الذي قال عنه د. ج. هو غارت: إنه مشحون بلفظة (أنا) التي يكثر المؤلف الأناني من استعمالها من أول الكتاب إلى آخره.

ماذا يجب أن نقول عن عميل سري يعطي نفسه دوراً ممتازاً أشبه بدور أبطال الروايات الخيالية بإفشائه فور عودته أسراراً دبلوماسية معرضة للخطر بمقدار ما كانت غير دقيقة، ومقدمة بحيث تبدو كأنها لا تهدف إلى شيء.

---

(٦) اكتشاف جزيرة العرب ص ٣٠٤ ـ ٣٠٧.

سوى إثارة شبه الجزيرة العربية، وإبطال الدين التقليدي فيها»؟[٧].

قال أبو عبد الرحمٰن: ليس من هدف بلجريف ـ وهو اليهودي المتستر بالنصرانية ـ خدمة اليسوعيين، بل يكفيه إثارة شبه الجزيرة العربية وإبطال الدين الاتباعي السلفي فيها.

وهذا ما يخدم أغراض الصهيونية.

ولقد شككت جاكلين بيرين في إخلاصه لليسوعية بقولها: «لقد ظهر أن هذا الرجل غير جدير بالثقة، لا سيما وأنه كان نصف يهودي ونصف إنكليزي، ثم اعتنق الكثلكة، ودخل في سلك المنظمة اليسوعية، وانضم إلى القضية الفرنسية، ثم ترك منظمته بعد عودته بقليل وتنكر للكثلكة، وعاد إلى البروتستانتية موجهاً إلى الكنيسة الكاثوليكية هجوماً عنيفاً.

ولم يكن كل ذلك ليزيد في ثقة العالم في أمانة أقواله»[٨].

وثانيهما: تحامل على الدين وترحيب بكل خروج عنه بحيث يصفه بالتسامح والحرية.

ومثل هذا لا يوثق بأحكامه بإطلاق، ولا ببعض أخباره إذا كانت تحمل روح العداء للدين.

قالت جاكلين بيرين: «أما بالنسبة إلى المذهب الوهابي فإن الكتاب كله موضوع ضده، فهو يصف الاستبداد الوهابي في الرياض، وإرغام الناس على حضور الصلاة، والمحافظة بقصد التباهي على أوامر هذا المذهب المفرط المتشدد.

ولكن هنا أيضاً يبرز تغرُّضه للعيان، وقد أظهر م. فيلبي في هذا الفصل من فصول بلجريف أموراً مخالفة للحقيقة، بل مؤذية.

إن بلجريف يؤكد بدون برهان أن فواحش مختلفة ـ حتى تلك التي يأنف اللسان من تسميتها ـ أغلب حدوثاً هنا في الرياض منها في دمشق

---

(٧) اكتشاف جزيرة العرب ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨.
(٨) اكتشاف جزيرة العرب ص ٣٠٨.

وصيدا نفسيهما، وأن الحشمة النسبية في بعض المدن العربية تظهر انحطاط الرياض القاتم في تناقض شديد غريب، ولكن فيلبي لا يتردد في القول بأن هذا محض تشنيع وافتراء.

ثم إن بلجريف بوصفه طبيباً يدعي أنه وجد داء الزهري منتشراً انتشاراً مخيفاً في حين أن م. فيلبي يحدد بدقة أن هذا المرض في الحقيقة نادر جداً في المناطق الوهابية، وأن الإصابات القليلة التي تظهر إنما تظهر بطريقة العدوى من الزوار الذين يأتون من البصرة، ودمشق، والقاهرة، ومكة، والمدينة»[٩].

وقال الدكتور عبد الفتاح أبو علية: «ومما يؤخذ على بلجريف أنه تحامل على الموحدين وآل سعود في تدوينه ويعود هذا إلى اتهامهم له بالجاسوسية»[١٠].

قال أبو عبد الرحمٰن: هذا تعليل ساذج فالرجل يهودي ماسوني عدو للدين والملة والتاريخ والعرق والرقعة.

وهذه الأحقاد هي التي حفت به إلى المغامرة برحلته هذه أو ادعائها، فكيف يقبل التعليل بأمر طارىء في الأثناء؟!.

وكيف يسوغ التعبير عن العلم بالجاسوسية بجملة الاتهام بالجاسوسية؟!.

وأنقل موجزاً للمؤاخذات على بلجريف لخصها روبن بدول فإنه قال: «وهناك على أية حال كثير من الاتهامات الجادة التي طرحت ضد بلجريف، وأول هذه الاتهامات حول تقريره عن مقابلته للأمير عبد الله، فالتقرير تنقصه الدقة، ويتخلله الكثير من الأخطاء.

بالإضافة إلى ذلك فإن بعض مشاهداته في الجزيرة العربية كانت خالية من الصحة، فمثلاً نجده يكتب عن سلسلة جبال لم يشاهدها الرحالة الذين جاءوا من بعده وسلكوا نفس طريقه.

---

(٩) اكتشاف جزيرة العرب ص ٣٢٠ ـ ٣٢١.
وقال في هذا الموضع: «ولم يبحث بلجريف في الدين بحسن نية».
(١٠) دراسة في مصادر تاريخ الجزيرة ص ٤٠٩.

والظاهر أنه لم يلاحظ البحيرة الوحيدة في الجزيرة العربية في منطقة الأفلاج جنوب الرياض.

وليس هناك أحد من الرحالة الذين زاروا كلاً من قطر والبحرين ذكر أن تعداد سكان قطر يكاد يكون ضعفي تعداد سكان البحرين.

كذلك فإن من جاء بعده من الرحالة وجد أن خريطته للهفوف غير صحيحة، وإذا كان ما قاله عن غرق السفينة في مسقط صحيحاً، فلماذا لم يقم بزيارة المندوب السامي البريطاني هناك.

ومن أشد الناقدين لبلجريف فلبي الذي غطى بزياراته نفس الأرض التي زارها بلجريف، ويشك فلبي أن صاحبنا قد زار مدينة حائل، وهو على يقين أن بقية ما ذكره هو مجرد خيال.

وعلى العكس من ذلك فإن داوتي وبلنت قد اعتبرا أن كل ما رواه بلجريف صحيح.

بينما يرى لورانس أن بلجريف يقف كرحالة في صف كل من فلبي وتوماس، وكتب بطريقة ذكية قائلاً: إننا لا نستطيع الجزم في القول حول ما ذكره بلجريف صدقاً كان أم لا؟، ولكننا نستطيع أن نأخذ برأي هوجارت الذي قال عنه: لا شك أنه قام بمعظم الرحلة التي ذكرها في كتابه، ولكن القصة كما رآها بلجريف هي مجرد عمل فني لا يمكن إفساده ببعض الحقائق.

فلم يعط بلجريف للحقائق أهمية كبيرة بقدر ما كان يهمه تسطير انطباعاته، وغالباً ما نجح في هذا الموضوع، سواء أخطأ أم أصاب.

لقد كانت تلك الرحلة هي الأخيرة لبلجريف، فلم يرجع إلى الجزيرة العربية بعدها.

وحال وصوله إلى أوروبا قدم تقريره إلى الإمبراطور نابليون الثالث الذي يتضمن خطة لتوحيد مصر وسوريا ووضعهما تحت الحماية الفرنسية.

حاول بلجريف بعد ذلك أن يعمل في البعثات التبشيرية في البلاد

العربية، ولكنه فشل في ذلك، وبعدها ترك الكنسية الكاثوليكية، وجماعة الآباء اليسوعيين.

وما حصل لبلجريف بعد ذلك هو خارج نطاق هذا الكتاب، إلا أنه يمكننا أن نقول إنه قد عين في منصب قنصل بريطانيا في مقاطعة شرق أناضوليا من عام ١٨٦٦ م حتى عام ١٨٧٣ م، وقد تزوج وأنجب ثلاثة أولاد، ونقل عمله بعد ذلك إلى جزر الهند الغربية، ثم نقل إلى الفلبين ليشغل نفس المنصب حتى عام ١٨٧٨ م، وكان هناك اقتراح بعودته إلى الشرق الأوسط ليتسلم وظيفة مساعد للجنرال جوردون في السودان، ولكنه ذهب إلى بانكوك، ثم أخيراً نُقِل إلى مونتفيديو كوزير بريطاني فيها حيث توفي هناك عام ١٨٨٨ م، ونقل جثمانه إلى لندن ودفن في ضاحية فولهام»[١١].

وتحدث الدكتور عبدالفتاح أبو علية عن بلجريف من عدة مصادر إلا أنه حديث من يثق بالرحلة وأنها مصدر هام صحيح. قال: «وكانت زيارة بلجريف للرياض في عام ١٨٦٣ م (١٢٨٠ هـ) أي قبل وفاة الإمام فيصل بن تركي بحوالي سنتين فقط.

وبولجريف هذا هو وليم بولجريف بن فرنسيس بولجريف وهو رحالة إنجليزي مشهور عمل في بداية حياته ضابطاً بالجيش الهندي، ودرس اللغة العربية بالهند.

ويذكر عنه الريحاني أنه من أسرة عبرانية تدعى كوهن، ثم اعتنق المسيحية وغدا أباً يسوعياً ثم سياسياً ملحداً، وكان يلقب بالأب مخائيل.

ولما كان نابليون الثالث امبراطور فرنسا مهتماً بكشف خبر جزيرة العرب، وبحاجة إلى شراء خيول من أصول عربية لجنوده عثر هذا على بلجريف الذي كان يرغب في القيام برحلة إلى بلاد العرب ليكشف عن حقيقة الوضع فيها.

---

(١١) الرحالة الغربيون ص ٧٥ ـ ٧٦.

لقد طبع بولجريف زيارته هذه بالطابع العلمي متخذاً مهنة الطب وسيلة من وسائل التقرب، ولكن غرضه الأول والأساسي هو الدراسة السياسية والكشف عن مجالات الامتيازات في جزيرة العرب وذلك لحساب فرنسا.

كما جاء من قبله بخمسين سنة (بادياً إي لبلخ) الذي أطلق على نفسه اسم علي بك، وهو إسباني الأصل زار بلاد العرب وكان يعمل جاسوساً لنابليون الأول.

زار بولجريف معظم أقاليم الدولة السعودية الثانية كجبل شمر والقصيم وباقي مناطق نجد والأحساء وبعض مناطق الخليج.

وكتب ما شاهده وسمعه في رحلته هذه، فكانت كتاباته خير معين لنا لدراسة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وأحياناً السياسية في الدولة السعودية الثانية.

أقام بولجريف في الرياض مدة ٥٠ يوماً اجتمع بها برؤساء الدولة السعودية كالإمام فيصل بن تركي وأبنائه عبد الله وسعود ومحمد وعبد الرحمٰن، وبكاتبه وأكبر رجال حاشيته محبوب بن جوهر وعدد من رجالات الحكم في الرياض.

وكان قد اجتمع من قبل بزعماء جبل شمر من آل رشيد وبرؤساء إقليم القصيم كأميري بلدتي بريدة وعنيزة فيها.

لذا فقد احتك بالمسؤولين وكانت كتاباته أكثرها مستقاة من ألسنة الرسميين في البلاد.

وعلى كل حال فإن زيارة بولجريف هذه كانت تصادف دور الشيخوخة بالنسبة لحاكم الدولة فيصل بن تركي الذي بلغ عندها عمراً يزيد على السبعين عاماً، وفيها فقد بصره وسلم الحكم دون التنازل عن الإمامة لابنه وولي عهده عبد الله.

وجاء وصف بلجريف عنيفاً على الدولة السعودية، فأحياناً اتهمها بالتزمت وأحياناً بالفوضى، ومع هذا فقد أنصف حاكم البلاد حين ذكر عنه أنه اتصف بالشدة والعدل.

لذا استتب الأمن في ربوع البلاد، وأثبت أحياناً في كتاباته أن الدولة السعودية الثانية كانت دولة منظمة، وذات قوة عسكرية، ولها حدود معينة نوعاً ما.

وأوضح أن العامل الديني والوطني كانا من أهم الأسباب التي دعت أهالي نجد لمقاومة الحكم الأجنبي(١٢).

وقال لوريمر: «ولم تكن بعثة مستر بالجريف ـ رغم أنه من رعايا بريطانيا ـ باسم الحكومة البريطانية.

وقد قيل إنه كان يمثل نابليون الثالث الذي كان مهتماً اهتماماً خاصاً بمصر والشام، وربما كان قد وجه اهتمامه إلى نجد لعلاقتها بموضوع قناة السويس الذي كان قد تم اقتراحه آنذاك بالفعل.

وقد اعترف الأمير فيصل في محادثاته مع الرائد بيللي في الرياض أنه تلقى مرتين عروضاً سخية من الحكومة الفرنسية بالمعونة.

وفي الثانية منهما ـ وكان وقتها يتفق تماماً وبعثة مستر بالجريف ـ طلب من الأمير أن يبلغ رده للقنصل الفرنسي في دمشق، وأبلغه الأمير فعلاً شكره وأوضح له أنه ليس في حاجة إلى مساعدة في الوقت الحالي»(١٣).

قال أبو عبد الرحمٰن: لا يمكن أن تكون هذه العروض بواسطة أوربي زار الرياض مع أن الإمام فيصلاً نفى ذلك في موضع آخر، وذلك مما يقطع بكذب رحلة بلجريف.

قال الإمام فيصل ـ وهو أصدق من بلجريف ـ للسير لويس بيلي: «لم يسبق لأي أوربي زيارة الرياض من قبل»(١٤).

قال أبو عبد الرحمٰن: بلجريف يدعي زيارة الرياض ويصفها وصف المعاين لها.

---

(١٢) تاريخ الدولة السعودية الثانية ص ١٢٢ ـ ١٢٤.

(١٣) دليل الخليج/ القسم التاريخي ٣/١٦٦٧ ـ ١٦٦٨.

(١٤) الرحالة الغربيون ص ١٣٤.

ورحلته المدعاة قبل رحلة بيلي بما يقرب من ثلاث سنوات.

والذين درسوا رحلة بيلي لاحظوا أنها رد فعل لزيارة بلجريف.

قال الدكتور محمد عرابي نخلة: «وفي سنة ١٨٦٢ م كانت فرنسا قد بعثت وليم بلجريف إلى نجد، وخشيت السلطات البريطانية بعد أن تعقدت الأمور بينها وبين فيصل أن تسفر زيارة بلجريف عن ارتباطات بين الوهابيين وفرنسا، وفي ذلك أكبر الخطر على وجودها في الخليج، لذلك أسرعت بإرسال المقيم البريطاني في الخليج إلى الرياض عن طريق الكويت عام ١٨٦٤ م»[١٥].

قال أبو عبد الرحمٰن: أخبار النفوذ الفرنسي - إذا صح أنها من بواعث رحلة بيلي - أعم من رحلة بلجريف المدعاة.

وتدخل رحلة بلجريف المكذوبة ضمن شائعات تزايد النفوذ الفرنسي في المنطقة.

قال الأستاذ محمد جلال كشك: «ويمكن أن يضاف إلى أهداف الرحلة وأسبابها القلق من أخبار النفوذ الفرنسي المتزايد في المنطقة:

في لبنان بعد أحداث الستينات، والتدخل الفرنسي ضد الدروز الذين كانت تدعمهم بريطانيا، وأيضاً تصاعد نفوذ فرنسا في مصر على يد (فردناند دلسبس) صاحب مشروع قناة السويس، وإشاعات اتصال الفرنسيين بالأمير الوهابي.

وقد أكد الإمام فيصل هذه الاتصالات عندما أخبر الضابط البريطاني: أن إحدى السفن الفرنسية بعثت له خطاباً من عدة سنوات تعرض عليه المساعدة بحراً وبراً عند الحاجة.

قال: ولكنني لم أرد عليهم، ومنذ سنتين تلقيت نفس العرض بنفس

---

(١٥) تاريخ الأحساء السياسي ص ١٣٣ ومجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ٦/٤٧٣ - ٤٧٤ بحث أبو علية عن رحلة بيلي ثم نشر ذلك بكتابه دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ص ١٣٣.

الطريقة، ولكنهم طلبوا أن أبعث الرد عن طريق قنصلهم في دمشق فرددت شاكراً قائلاً: إنني لا أحتاج مساعدة في الوقت الحاضر.

ولذلك نستبعد وقوع لقاء مباشر بين الإمام وأي مبعوث فرنسي أو متفرنس، فنحن من الذين يعتقدون أن بلجريف لم يدخل الرياض، لكنه صنف رسالة كاذبة، سواء عن سوء خلق، أو لأن وطنيته الإنجليزية غلبت دينه الكاثوليكي فضلل الإمبراطور الذي بعثه.

والإمام لم يشر إلا إلى رسالتين واحدة وصلت عن طريق سفينة والثانية يمكن أن تكون قد وصلت عن طريق كارلو غورماني وكيل البريد الفرنسي في القدس الذي وصل حتى جبل شمر في عام ١٨٦٤ م»[١٦].

قال أبو عبد الرحمٰن: بلجريف يهودي يتستر بالكاثوليكية تارة، وبالإلحاد تارة بمقتضى صهيوني، وكل صهيوني فعداؤه للكاثوليكية لا يقل عن عدائه للإسلام.

وقال الأستاذ محمود كامل المحامي: «وقد حاولت السياسة الاستعمارية الأوروبية أن تستغل الصراع بين السعوديين وأمراء شمر فأرسلت فرنسا في عهد نابليون الثالث القس الجزويتي وليم بلجريف الذي كان قد عمل من قبل ضابطاً بالجيش الهندي في مهمة إلى أسرة ابن رشيد أمراء شمر في الفترة الثانية من حكم فيصل بن تركي ١٨٤٣ ـ ١٨٦٥ وهو جد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمٰن، ولم يكشف إلى الآن سر هذه المهمة، ولكن الحكومة البريطانية ردت عليها بأن كلفت أحد ممثليها بزيارة فيصل عام ١٨٦٤»[١٧].

قال أبو عبد الرحمٰن: زمن الرحلة المدعاة لم يكن هناك صراع بين ابن سعود وعامله ابن رشيد، بل كانت العلاقة علاقة ولاء من قبل الثاني.

ومن جوانب الدراسات لبواعث الرحلة المدعاة أن بلجريف جاسوس في هيئة طبيب وليس موفداً رسمياً علنياً.

---

(١٦) السعوديون والحل الإسلامي ص ٢٠٩.

(١٧) الدولة السعودية الكبرى ص ٤٣٨.

وهذا النص للمحامي قد يرجح الاحتمال الثالث أن رحلة بلجريف لم تتجاوز حائل.

وها هنا مقارنة كافية في دحض أكاذيب بلجريف ذكرتها جاكلين بيرين وهي في معرض الحديث عن رحلة بيلي.

قالت: «من وجهة نظر التحقق من أقوال بلجريف لم يكن تقرير الكولونيل بيلي المؤلف من بضع صفحات كافياً لإجراء مقارنة بين ما كتبه الإثنان بالنظر إلى أن الكتاب لم يكن قد نشر بعد.

ولكن مسافرين آخرين كانوا مزمعين أن يجتازوا شمالي شبه الجزيرة العربية: الليدي واللورد بلنت، ثم الرائد الكبير دوغتي لم يروا نفود الدهناء الذي وصفه بلجريف بقوله: إنه منطقة رهيبة لا يُرى فيها إلا الرمل الخفيف الذي يشكل تموجات يبلغ ارتفاعها ثلاثمائة قدم يجد المسافر نفسه بينها كأنه سجين يختنق في هوة من الرمل، ويؤكد أن قوافل بكاملها يمكن أن تضيع فيها ولا تجد طريقاً للعودة، وهذه التلال الرملية الهائلة معقدة إلى درجة أن دليل بلجريف لم يتوصل إلى معرفة الاتجاه الصحيح إلا بواسطة حس خارق للعادة والطبيعة فأنقذهم من موت محقق.

ويلاحظ أن بيلي لم يجد في النفود أي شيء مخيف، وقد كتبت الليدي بلنت فيما بعد: إن هذه المناطق الرملية تؤوي خلال المواسم الماطرة من كل سنة طوال بضعة أشهر قبائل البدو الرحل ومواشيهم، وهي تحتوي على سر الحياة البدوية لأنه ما من مكان آخر يشبهها في خصب المرعى، ولولا هذه الثنايا البالغة الخصب لتعذر وجود البدو الرحل الرعاة.

في حين أن بلجريف يدعي أنه غادر الرياض في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) بعد أن هطلت أمطار غزيرة، وأن منطقة الدهناء لم تكن سوى محيط من النار لا عشب فيه.

إن غوارماني الذي قام برحلته بعد بلجريف بسنة واحدة واجتاز الأماكن ذاتها على وجه التقريب وإن كان لم يلمح إليه قد صحح أخطاءه

في بعض النقاط في نوع سوق حائل، وعمر ابن الأمير، وهيئته، وعدد سكان القرى الهامة، والعاصمة.

فعدد سكان القرى الذي يذكره بلجريف يفوق ما يذكره غيره من المسافرين، ويبلغ الرقم الذي يذكره لسكان حائل ثلاثة أضعاف ما يذكره غيره.

وهذا الغلو هو الذي يدفعه إلى القول عن إحدى القرى أن عدد سكانها يبلغ ألفي نسمة.

وإذا ما قورنت تقديراته العامة التي يوردها عن أفراد العشائر المختلفة بالأرقام التي أوردها بوركهارهت وجدنا أن لا شبه بينها ألبتة.

ووصف بلجريف للطريق التي سلكها والان من قبله يختلف كل الاختلاف عن وصف هذا الأخير الدقيق لها.

فوادي السرحان يصبح واحة ممتدة، ولا وادي آخر في البلاد يعدله طولاً، في حين أن والان يقول إنه منخفض له هيئة النفوذ.

وهو يصف في جبة صخوراً هائلة من الصوان الأسود، ووحشية فظيعة، وعيوناً كثيرة عذبة المياه باردتها، في حين أن والان لم يجد سوى تلال متواضعة من الحجارة الرملية ليس فيها إلا آبار مياه ملحة»[١٨].

---

(١٨) اكتشاف جزيرة العرب ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧.

٦ - العقيلات نسبة عامية إلى عُقيل

لا يوجد نص تاريخي محقق من أصل التسمية، وإنما هي ظنون واجتهادات. ومجال إدلائي أيضاً اجتهادي، إلا أنني أتحرى أرجح الوجوه فيما أثبته وفيما أنفيه.

أثبت باجتهاد راجح أن العقيلات جمع عامي وليس جمعاً نحوياً فصيحاً.

وهو جمع بمعنى النسب كالدواسر والعجمان والقحاطين والعنوز والعتبان.

فذلك جمع عامي لدوسري وعجمي وقحطاني وعنزي.

وهكذا العقيلات جمع لعقيلي بضم العين فيهما.

والفرد من رعايا الدويلات العقيلية في الجزيرة العربية إذا خرج إلى دولة أخرى قيل: عقيلي؛ كما يقال: أموي وعباسي وسعودي.

يقال ذلك وإن لم يكن صاحب تجارة أو جمال.

وآخر الدويلات العقيلية دولة آل أجود الجبرية العقيلية، وآخر ملوكهم منيع بن سالم بن زامل بن سيف بن أجود بن زامل بن حسين بن ناصر بن جبر العقيلي ممدوح راشد الخلاوي لجأ إلى العراق في نهاية الألف أي آخر القرن العاشر الهجري.

وبه انتهت دويلات العقيليين، وكان أسلافه أهل علم وفضل مالكيي المذهب، وفي أخلافهم أمراء رحلوا إلى عمان وعرفوا بالهلاليين، ومنهم الشاعر الأمير قطن بن قطن بن علي بن هلال بن زامل بن حسين.

وبقي منهم سروات في الجزيرة صاهروا بني حميد الخالديين وساعدوهم، ثم كانوا ذوي ولاء لدعوة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأئمتها من آل سعود أدام الله ظلهم.

ومن هؤلاء ناصر بن جبر بن محمد بن ناصر بن محمد بن سيف بن ناصر بن ناصر بن ناصر بن قطن بن قطن بن قطن بن علي بن هلال، وهو أمير الأحساء في عهد الإمام عبد الله الفيصل.

والقسم الأكبر من بني جبر العقيليين تابعوا الرحلة إلى العراق وراء منيع بن سالم وحلوا مع قبائل المنتفق واندمجوا فيهم.

ويذكر العزاوي أنهم ثلث عشائر المنتفق ويعرفون بالأجود وشيخهم زامل المناع توفي رحمه الله سنة ١٩٥٢ م.

ومن سراة المنيعات عبيد وورومي ابنا مهنا بن علي بن سيف بن محمد بن جبر بن منصور بن منيع بن سالم.

وهذه الدويلات كانت تحكم نجداً إضافة إلى حكم الأحساء، وقد وصف أجود بأنه سلطان الأحساء ونجد.

ويظهر أن حكمهم كحكم آل عريعر يعني إعلان الولاء والمعاونة بالمال والجند بدليل الغزوات المتكررة التي كان يشنها آل أجود العقيليون على الدواسر وعلى عرب وسط نجد آل عائذ، وعرب عالية نجد الجنوبية، وربما توغلوا إلى عالية نجد الشمالية.

وقد فصل هذه الأحداث ابن بسام في تحفة المشتاق.

هذه الإفاضة في أحوال آل جبر المتأخرين ذات دلالة في تبيان أصل كلمة عقيلات أرجو أن تكونوا منها على ذكر إلى أن أفرغ من أحوال الدويلات العقيلية وبني عقيل.

كان بنو عقيل أهل الشوكة والخفارة على البراري في عهد العيونيين من بني عبد القيس، ثم ورثوا ملكهم للبحرين ونجد.

وأول أسر العقيليين الحاكمة بنو عصفور وكانت سلطنة العيونيين

الربعيين سلطنة أسرة صغيرة حكمت قبائل عقيلية عامرية كثيرة، ولهذا استنجد بنو خفاجة وبنو عبادة من عقيل بالعيوني فأنجدهم، لأن شوكته من بني عقيل.

وكان حلول بني عقيل في بلاد البحرين في أواخر القرن الثالث الهجري.

قال ابن فضل الله في التعريف: «وأما البحرين فهم قوم يصلون إلى باب السلطان وصول التجار.

يجلبون جياد الخيل وكرام المهاري[1] واللؤلؤ، وأمتعة العراق والهند، ويرجعون بأنواع الحباء والأنعام والقماش والسكر وغير ذلك.

ولهم متاجر رابحة، وواصلهم إلى الهند لا ينقطع، وبلادهم ما بين العراق والحجاز اهـ.

وبنو عصفور منسوبون إلى عصفور بن راشد بن عميرة بن عقيلة بن شبانة بن قديمة بن نباتة بن عامر العقيلي العامري.

وحكم بعد بني عصفور آل مغامس من القرامطة. ثم تلاهم بنو جروان من بني عبد القيس، ثم عاد الملك لبني عقيل لآل جبر قبيل عام ٧٨٥ هـ واستمرت دولتهم إلى نهاية الألف كما مر.

فهذا السياق التاريخي ينتج لنا حقائق ضرورية:

أولها: أن قبائل عقيل تغمر بر البحرين وما بين العراق والحجاز: أي جميع أطراف نجد.

---

(١) لما تكلم الزبيدي عن حي مهرة بن حيدان القضاعي بتاج العروس ١٤/١٥٨ (الكويت) قال: «والإبل المهرية منه: أي من هذا الحي منسوبة إليهم جمعه مهارى كسكارى. هكذا هو مضبوط في النسخ.
وفي اللسان بكسر الراء وتخفيف الياء، ومهار بحذف الياء ومهارى بكسر الراء وتشديد الياء.
قال أبو عبد الرحمٰن: الذي في اللسان المطبوع: مهاري ومهار ومهارى.

وثانيها: أن لها سيادة وخفارة سبعة قرون وعشرات من السنين.

وثالثها: أنها ذات تجارة ورحلة وجلب.

ورابعها: أنها ذات مشاركة في السلطة تارة، وذات حكم مستقل تارة إلى نهاية الألف.

وخامسها: أن عقيلاً بضم العين وكذلك العقيلات بالضم إلا أن العامي الفح يميلها إلى الكسر.

وسادسها: من عاش في بلاد يحكمها العقيليون سبعة قرون فمن المستبعد أن لا ينسب إلى جنسية دولته.

فنسبة عقيلي نسبة الرعية إلى قبيلة الراعي.

وسابعها: أن العقيليين أهل جمال وخيل وتجارة وامتداد من الهند إلى عواصم الخلافة.

ومن يسمون عقيلات فيما بعد أهل جمال وخيل وتجارة وامتداد.

فمن المستبعد أن لا تُلحظ هذه الحرفة المشتركة في التسمية اللغوية.

وثامنها: أن العقيلات أُطلقت فيما بعد الألف: أي بعد انقراض الدولة العقيلية.

ولكن هذا لا يعني انتهاء الظرف التاريخي، لأن فيما بين حكم العقيليين وحكم آل سعود حكم دولة خالدية، وهم آل حميد.

وقد شاع في الاستفاضة الخاطئة أن بني خالد عقيليون ولهذا قال ابن مشرف:

ولا تنس جمع الخالدي فإنهم ... قبائل شتى من عقيل بن عامر

فلا يُستبعد بقاء الإلف التاريخي بأن كل من جاء من تلك الأصقاب فهو عقيلي وإن كانت الأسرة الحاكمة خالدية.

وتاسعها: وبغض النظر عن نسب الأسرة الحميدية فستبقى النسبة العقيلية باعتبار الاتحاد في البلاد والحرفة التجارية.

وعاشرها: أن العقيلات جارية على الاستعمال العامي في التعبير عن صيغة النسب بالمفرد إلى صيغة النسب بالجمع العامي كما مر المثال بالدواسر والقحاطين.

ولا يغلطن علي غالط فيقول: الدواسر جمع عربي فصيح، فهذا صحيح عندما نستعمل الدواسر بمعنى ذي دوسر.

أما جمع دوسري الأدمي العاقل فلا يجمع إلا بصيغة المذكر السالم دوسريين.

ولا ينصرف الوهم إلى أن العقيلات جمع فصيح لعقيلة جد آل عصفور العقيليين، فهذا بعيد، لأن العوام لا يحيطون بتفاصيل التاريخ وأنساب الأعلام، ولو كانت الصيغة من استعمال الفصحاء لكانت عقيلات بفتح العين، ولكانت تذكر في كتب الأنساب المتأخرة وموسوعات اللغة المتأخرة كتاج العروس.

يضاف إلى هذا أن الشهرة بشبانة وعصفور، ويضاف إلى هذا ثالثة أن عقيلاً أعم من بني عقيلة، والنسبة للأعم.

فإن قيل المنصوص على تجارتهم ورحلاتهم إنما هم بنو عقيلة فعلى هذا يحتمل أن العقيلات بضم العين تحريف لعقيلات بفتحها.

واستعمال العوام ـ وإن عظمت ثقافتهم التاريخية ـ لا يتقيد بالفصحى.

ويلاحظ أن تجارة العقيلات من أهل نجد ـ التي كانت فيما مضى مقاطعة عقيلية ـ قد غمرت شمال الجزيرة في الشام والعراق ثم في مصر فالهند.

ويلاحظ أن العقيلات أخلاط من الأسر والقبائل وليسوا أبناء رجل واحد.

فهذا يُرجِّح أحد معنيين لا ثالث لهما أو كليهما: وهما: أن العقيلي نسبة رعية لدويلات عقيلية وإن لم تكن من قبيلة واحدة.

أو أن العقيلات على التشبيه ببني عقيل ذوي التجارة من أهـل تلك البلاد.

والعقيلات ليست من إطلاق أهل نجد على أنفسهم وإنما هي إطلاق غيرهم عليهم.

وعلى هذا يظن أهل الأقطار الأخرى ـ وقت إطلاقهم كلمة عقيلات ـ أن هؤلاء التجار هم ذرية العقيليين، لأنهم جاؤوا من بلادهم وورثوا حرفتهم.

وقـد كانت العـراق فيما بعـد الألف تستقبل أسـراً عقيلية تنضم إلى المنتفق وحلف آل أجود.

وابن سند في مطالع السعود يذكر أحداثهم بصيغة عقيـل منذ مـطلع القرن الثالث عشر، وهذا يؤكد أن العقيلات تحريف عامي.

هذا ما تمس إليه الحاجة عن التعليل التاريخي للتسمية بالعقيلات لم أرَ أحداً حرر فيه ما يشفي.

ولـم أذكر مصادري ها هنا لأن بعض هذه الإضمامة اختصار لكتـابي أنساب الأسر الحاكمة بالأحساء.

أما تاريخ أحداث العقيلات وعاداتهم وآدابهم فقد تكفل بذلك الأستاذ إبراهيم المسلم في كتابه العقيلات، فهذا الكتاب فـريد في بـابه يتيم في غرضه[٢].

---

(٢) عن مشاركة العقيلات وأهل نجد في وقعة ميسلون وحروب الشاميين لفرنسا انـظر الندوة في ١٩٨٦/٤/٦ م مقالة ليوسف حسين دمنهـوري بعنوان ميسلون وأبـطال نجد.

وفي جريدة الرياض ١٩٨٦/٥/٢ م مقالة لسليمان موسى بعنوان رسالة من الأردن تعليقاً على مقالة نشرت بأخبار الأسبوع الأردنية ميسلون سنة ١٩٢٠ م، وأحال إلى أعمدة الحكمة السبعـة، ومذكـرات الدكتـور أحمد قـدري عن معارك العـرب مع العثمانيين.

وانظر جريدة الرياض ١٤٠٦/٧/٢٣ هـ حيث مقالة الدكتور عثمان ياسين الـرواف بعنوان حول المعركة ضد الجيش الفرنسي.

وصدر أخيراً كتاب نجديون وراء الحدود عن العقيـلات ودورهم في علاقـة نجد

بالعراق والشام ومصر لعبدالعزيز عبدالغني إبراهيم حسب استعراض عنه بجريدة الشرق الأوسط عدد ٤٨٠٠ في ١٩٩٢/١/١٩ م ص ١٠.

قال ابو عبد الرحمن: وقرأت تعليق الأخ الفاضل فاضل الراشد في جريدة الجزيرة عدد ٤٩٧٣ في ١٤٠٦/٩/٣ هـ عن أصل تسمية العقيلات وأن ذلك من العقال الذي تعقل به المطية.

وبينت له في الجريدة نفسها أن هذا المعنى مشهور عند العوام، وإنما شهر في متأخري العقيلات، لأنهم عوام يجهلون ماضي بني عقيل في الجزيرة خلال سبعة قرون ونيف، ولأن عقال الإبل أقرب شيء إلى أذهانهم بل لا يوجد في أذهانهم احتمال غيره.

وما تقوله بقايا العقيلات في الوقت الراهن حجة من ناحية أسماء أعلامهم وأحداثهم وآدابهم وصفة تجارتهم وموضوع تجارتهم.

أما تعليل التسمية فليسوا حجة فيه، لأن أصل التسمية ناحية لغوية تاريخية ليست من ثقافتهم.

ويبعد أن تكون تسميتهم من عقال الإبل، لأن العقال ليس ميزة لتجار نجد، بل كل عباد الله يعقلون الإبل ويفكونها يوم كانت الإبل مواصلاتهم.

ولأن عقيلاً وعقيلات لا صلة لها لغة بمعنى العقال.

أما قول الأستاذ الكريم: «لو كان اسم العقيلات يمت لأي من القبائل لما كانوا مزيجاً من القبائل»: فكلام صحيح لو كان رداً على من قال العقيلات هم بنو عقيل.

والواقع أن النسبة إلى بني عقيل إما نسبة رعوية كقولنا للجنوبي والشمالي والشرقي والغربي: هذا سعودي.

وإما على التشبيه بهذه القبيلة لأن عصب التجارة - في معظم جزيرة العرب - في يدها خلال سبعة قرون.

وأما تسميتهم في مصر والسودان بالجمالة فلا يُلغي تسميتهم بالعقيلات، وإنما هي تسمية ثانية لعلة ثانية. على أن مصر والسودان تسميهم العقيلات والجميلات معاً، وقد أوقفني الأشياخ من الريف على أماكن العقيلات في الحلمية والزيتون بالقاهرة.

وإنما يعلل بعقال الإبل على اعتساف لو خلي تاريخ الجزيرة من مرجح عن أسر عقيلية حاكمة ينسب إليها نسبة الرعية إلى الراعي، ومن قبيلة عقيلية ذات تجارة وامتداد خلال سبعة قرون ونيف.

وعن اشتباه العقيلات بالعليقات في السودان، وعن اشتباههم ببني عقيل الهاشميين انظر جريدة المسلمون عدد ٣٠٦ في ١٤١١/٥/٢٧ هـ ص ١٢.

٧ ـ عصر الخلاوي وممدوحه منيع بن سالم

حققت في كتابي عن أنساب الأسر الحاكمة بالأحساء أن منيع بن سالم ممدوح الخلاوي من بني عقيل، وأنه آخر ملوك آل أجود، وأنه انحدر للعراق في تمام الألف: أي في نهاية القرن العاشر الهجري فانقرضت دولة آل أجود.

وتبعاً لذلك حققت أن الشاعر العامي المشهور راشد الخلاوي عاش أكثر القرن العاشر وقليلاً من القرن الحادي عشر[1].

بيد أن الدكتور يوسف الشبل نشر تعريفاً بتاريخ ابن يوسف الأشيقري فساق الخلاف حول عصر الخلاوي، ولم يشر إلى تحقيقي لهذه المسألة فلعله لم يطلع عليه، كما أنه لم يشر إلى احتمالات الدكتور العثيمين حول هذه المسألة أيضاً.

وانتهى في تعريفه إلى أن الخلاوي من أبناء القرن الثاني عشر، وأرى استعراض رأيه قبل تحقيق المسألة.

قال الدكتور يوسف الشبل حفظه الله: «ومن بين ما تضيفه هذه المخطوطة تحديد العصر الذي عاش فيه الشاعر راشد الخلاوي، فقد كتب الشيخ الأديب عبد الله بن محمد بن خميس بحثاً في صحيفة اليمامة[2] عن الشاعر الشعبي راشد الخلاوي بمناسبة نشره لديوانه قال فيه: وليس لدينا ما

---

(١) انظر كتابي أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء ٢٤٢/٢ ـ ٢٩١.

(٢) انظر العدد ١١٢ وتاريخ ١٣٨٦/٤/٤ هـ، والعدد ١١٣ وتاريخ ١٣٨٦/٤/١١ هـ [الشبل].

نجزم بتحديد الزمن الذي عاش فيه الشاعر غير أن الرواة متفقون على أنه عاش ما بين القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين[٣] مما أثار جدلاً بين الكتاب والمهتمين بتاريخ الجزيرة وبالشعر العامي بصفة خاصة حول تحديد العصر الذي عاش فيه الشاعر الخلاوي.

ومن بين من ناقش رأي الشيخ ابن خميس في عصر الخلاوي الأستاذ محمد بن دخيل العصيمي في مقال نشر في عددين من اليمامة[٤] وخلص في استنتاجه إلى افتراضات لم يصل فيها إلى رأي حاسم في تحديد العصر الذي عاش فيه الخلاوي.

وقد انتهى الجدل فيما أعلم دون الوصول إلى رأي قاطع في تحديد عصر الخلاوي وذلك لعدم توفر المستند التاريخي.

وعندما روى المؤرخ ابن يوسف أخبار الصراع بين النواصر وآل مشرف استشهد بصدر بيت للخلاوي قاله بمناسبة مقتل ابن مشرف مما يدل على أن الخلاوي كان في عام ١١٣٩ هـ/٦ ـ ١٧٢٧ م على قيد الحياة ومعاصراً لهذه الأحداث فهو إذاً قد عاش في القرن الثاني عشر وربما أدرك أواخر القرن الحادي عشر»[٥].

وقال الدكتور يوسف الشبل في سياقه لأحداث تاريخية ذكرها ابن يوسف في تاريخه: «وفي تلك السنة [يعني ١١٣٩ هـ] سطوا النواصر رئيسهم إبراهيم بن حسين وخريدل برفاقتهم أهل المذنب وذبحوا من وجدوا من آل مشرف، وأكلوا ذُرَة أهل أشيقر، ونزل إبراهيم بن حسين بأولاد ابنه حمد (منصور وعبد الله) قصر الفرعة هو وخريدل، وفيها يقول الخلاوي:

محا الله ناسيها من آل مشرف.... الأبيات»[٦].

---

(٣) صحيفة اليمامة العدد ١١٢ في ١٣٨٦/٤/٤ هـ [الشبل].

(٤) العددان هما: ١٢٠ في ١٣٨٦/٧/١ هـ و ١٢١ في ١٣٨٦/٧/٨ هـ [الشبل].

(٥) تعريف الدكتور يوسف الشبل بتاريخ محمد بن يوسف المنشور بمجلة مركز البحوث التي تصدر عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد الثاني محرم سنة ١٤٠٤ هـ ص ١١٠ ـ ١١١.

(٦) مجلة مركز البحوث ١١١/٢.

وتتمة أبيات الشاعر الخلاوي التي أشار إليها المؤرخ ابن يوسف هي:

لفـاني مـع الـطراش علم وراعني وأنـا بـالمصيقـر من يمين حقيل[7]
يقـولـون لي ذبـح الفتى ابن مشـرف ولا عـاد لـك بـالقـريتين خليل[8]
محـا اللّه نـاسيهـا من آل مشـرف واللي تنـاسى والـزمـان طـويـل
من لا يجـازيهم على البـوق بـالنقـا بسيف لهـامات الـرجـال يشيـل

والخلاصة أن هذه المخطوطة أنهت الجدل حول عصر الشاعر راشد الخلاوي، ولو عثر عليها وقت دار النقاش حول هذا الموضوع لكانت جهيزة التي قطعت قول كل خطيب[9].

قال أبو عبد الرحمٰن: **دلالـة تاريخ منيع بن سـالم سلطان الأحساء** ونجد على تاريخ حياة راشد الخلاوي وعصره أمتن وأصح وأشد يقيناً من دلالة الأبيات التي أوردها ابن يوسف منسوبة إلى الخلاوي عن حادثة قتل ابن مشرف.

وإنما كانت أثبت يقيناً لأمور:

أولها: أن منيع بن سالم آخر سلاطين آل أجود، ولا تخلو قصيدة من شعر الخلاوي من ذكر لمنيع.

فمدح منيع والتوجع له أظهر أغراض شعر الخلاوي.

---

(٧) المصيقـر (ويؤنث): اسم لموضـع في عاليـة نجد يقـع إلى الشمـال الشـرقي من الـدوادمي، ويبعد عنهـا حـوالي ٨٠ كيـلاً (ابن جنيدل عـاليـة نجـد ١٢٠٧/٣) [الشبل].
قال أبو عبد الرحمٰن: بعد هذا البيت عند ابن يحيى في لباب الأفكار ٦٢/١ (صورة عن النسخة الخطية):
بعـالي طيـران بنجـد مقيمـة يجي الحشر ما رنىٰ لهن رحيل
حقيل: اسم جبل في عالية نجد يقع إلى الشرق من الدوادمي ويبعد عنها ٤٣ كيلاً (ابن جنيدل:٣٩٩/١٠) [الشبل].
(٨) القريتين: أشيقر والفرعة [الشبل].
(٩) مجلة مركز البحوث ١١٢/٢.

أما الأبيات المنسوبة للخلاوي عن ابن مشرف فلا يوجد في شعره ذكر لابن مشرف غير هذه الأبيات.

وابن يوسف أقدم من أحال إلى الأبيات بذكر شطر منها، وقد أوردها بعض جُمَّاع الشعر العامي منذ الشيخ ابن يحيى في لباب الأفكار إلى الشيخ ابن خميس.

وقد ذكرها ابن يحيى بصيغة التمريض فقال: حكي أن راشد الخلاوي له رفيق من أهل الفرعة في الوشم يقال له ابن مشرف، وكان يرتاده.

ففي سنة من السنين قتل ابن مشرف قتلوه النواصر، فقال راشد هذه الأبيات يرثيه بها.

ثم ذكر ابن يحيى الأبيات الخمسة.

وإذن فشعر الخلاوي في منيع متواتر، وشعره في ابن مشرف حكاية.

وثانيها: لو ثبت بيقين قاطع أن الأبيات الخمسة للخلاوي لكانت عن حادثة لابن مشرف آخر من أبناء القرن العاشر أو الحادي عشر، وليس في أبيات الخلاوي ما يدل على أن المراد حادثة ابن مشرف مع النواصر.

ولا يمكن ألبتة أن يكون الشعر الذي قيل في حادثة سنة ١١٣٩ هـ من شعر الخلاوي إلا على احتمال أن الخلاوي عاش قرنين ونصف قرن كأهل الحقب السالفة، وهذا مستبعد في أعمار أمة محمد ﷺ.

فالاحتمال إذن يدخل في نسبة هذه الأبيات للخلاوي، ولا يدخل في شعره عن منيع.

وثالثها: أنه لا غضاضة عقلية أو نقلية إذا قيل: إن الشعر صحيح الثبوت، وإنما نسب للخلاوي سهواً.

هذا إذا صح أن الأبيات عن حادثة ذبح النواصر لابن مشرف.

قال أبو عبد الرحمٰن: وإذْ تبين وصح أن دلالة تاريخ منيع بن سالم أَثْبَتُ يقيناً على عصر الخلاوي فلا بد من استنطاق تاريخه.

إنه منيع بن سالم بن زامل بن سيف بن أجود بن زامل العامري الجبري القيسي.

ولا يزال أحفاده يُعرفون بآل مناع في العراق.

قال العزاوي: «ومنيع هذا كان حاكماً في الأحساء والقطيف ونجد فكان آخر أمرائهم، وهو الذي انحدر إلى العراق وسكن الشامية بعشائر الأجود»[١٠].

وقد نص المؤرخون بإجماع منهم كابن بشر والنبهاني على أن دولة آل أجود انقرضت سنة ٩٩٩ هـ.

والجد الرابع لمنيع (وهو السلطان أجود) كانت سنة ٩١٢ هـ آخر سني عمره، أو من أواخره.

وقد نص السخاوي في الضوء اللامع، والعصامي في سمط النجوم العوالي وغيرهما على أنه حج سنة ٩١١ هـ.

ومما يوحي بأنه لم يعش بعد هذا التاريخ كثيراً قول ابن لعبون: «ثم إن بنيه اختلفوا بعد موته».

قال أبو عبد الرحمٰن: وكان الذي حج بعد ذلك سنة ٩١٢ هـ ابنه محمد، وقد وصفه ابن فرج في كتابه السلاح والعدة عام حج بسلطان البحرين والحسا والقطيف.

وإذا مشينا على قاعدة أهل النسب وأعطينا لكل أب ثلاثين عاماً رأينا أن بين منيع وجده الرابع مئة وعشرين عاماً فيكون منيع عاش أول القرن الحادي عشر.

ويكون ملكه انتهى آخر القرن العاشر بنص المؤرخين.

أما مداحه راشد الخلاوي فعاش منذ أوائل القرن العاشر بيقين، لأنه قال عن منيع بعد انحداره للعراق في تمام الألف:

---

(١٠) عشائر العراق ٤/٨٧.

وسني قـديم قبـل أواخيـك يـا فتى　　وما أدري لبعد الفاء والصاد صايبة

يـريد أن عمـره يومهـا ما بين الثمـانين والتسعين ذلك أن الفـاء في الأبجدي رمز الثمانين كما أن الصاد رمز التسعين.

وأما دلالات مجموع شعر الخلاوي ـ الذي هو أثبت من دلالـة خمسة أبيات رويت على سبيل الحكاية ـ على ما يؤيد نصوص المؤرخين من كون منيع عقيلياً حاكماً لـلأحساء منحـدراً للعراق تـاركاً لملكـه فخذ منهـا هذه النماذج:

قال راشد:

فلولا منيـع سـور هجـر وبـابهـا　　وابنـا عقيـل عصبـة من قـرايبـه
عسى سـربهم مرعـاه بأكنـاف حاجـر　　ومن فوق وادي السيح تـرعىٰ ركايبـه

ويظهر أن منيع بن سالم تولى الحكم وعمره فوق الخمسين.

قال الخلاوي:

عسـاني أراك بحسبة السين فـارس　　ومن صلبـك الـزاكي ولاد تـلادبـه
منيعيـة تفـري العـدا من نحورهـا　　ذرىٰ للعـلا كـل طـوال مخـالبـه
يـردون حرب الضـد بـالسيف والقنـا　　كمـا رد طه حـزب الأحـزاب خـايبـة
ويكسـون عـز الضـد بـالسيف ذلـة　　حمى من حماهم ملتجا النـاس دايبة
فلو عـال ضـد في رعـايـاك عنـوة　　فـأشبـال قـوم خلف يمنـاك راكبـة
يحيـطون بك يـا سيد الحي والحمى　　كمـا حاط بـالقطب اليمـاني كواكبـه
تعـزون دين اللّه بـالسيف والـقنـا　　إذا الـدين والدنيـا بالأشبـال سـاكبـة
تـرى الـدار مـا تعـدم حليم وعـايـل　　ومن لـه مقـام عنـد مـولاه طـال بـه
فـلو إنهـا تـعـدم حـليـم وعـايـل　　وتعـدم رجـال فهي لا شـك خـاربـة

قال أبو عبد الرحمٰن: السين رمز الستين بالأبجدي.

والقصيـدة المسماة بـالروضـة التي تنيف على ألف وثلاث مئة بيت رجحت في كتابي عن أنساب الأسر الحاكمة أنها قصيدتان.

والآن تيقنت أنها أربع قصائد واحدة في منيع قبل أن يحكم، وثانية

وهو في عنفوان حكمه، وثالثة وهو بجوٍّ الثليما بالخرج لاجئاً، ورابعة بعد رحيله إلى العراق.

ومن شعر الخلاوي في منيع بعد رحيله قوله:

تـطاوح لـه الأيـام لـين أودعـنـه	يشـد على ثلب قصيف البـدايـد
يشـد على ثلب وهـو كـان قبل ذا	على ظهـر جدعـا له يـدور الفـوايـد
وهـو كان فيمـا قـد مضى من زمـانـه	جميـل الثنـا من حـامـدات وحـامـد

ثم أخذ يعدد مدائحه:

ومن ذلك قوله:

تغيـرت الـدنيـا وهلهـا تـغيـروا	وتعلى على فـروخ الحـرار خفـاش
وطـاه الـزمنِ آسف على حـالـة بهـا	مـنـيـع وزانـت لـلردي والـلاش
منيـع فـلا تِيِّس ولا تقـطع الـرجـا	من النـاس قبلك لـك غـطا وفـراش
أقـول أنـا: واد جـرى من فـروعـه	ويجـري لـزوم كـان عمـرك عـاش

وقوله:

ويـا مبلغ مـني مـنيـع بـن سـالم	قـديم السبـايـا والجيـوش القـواطـع
قـديم جيـوش من قـديم يقـودهـا	بعـاد المغـازي طيبـات المـطامـع

وقوله:

وقـد قلت لك قـول قـديم بـه الـدوا	ويكفي منيـع لـو تبعني وحـاط بـه
فسق اللدن واخضب ظبا البيض منهم	ومن جـاك منهم صاحب لا تصاحبه
فـلا طاعـك إلا من فرىٰ الـزان جنبه	وعينـاه لـو تبكي لـك الـدم كـاذبـة

قال أبو عبد الرحمٰن: ومن أراد أن يبني على الأبيـات الخمسة وأسـاسها هش فسيحرجه تحـطيم الثوابت الـدالة على تـاريخ منيـع بن سالم والخـلاوي معاً.

٨ ـ لمحات عن ابن مانع صاحب القصيدة العامية العينية

تردد جماع الشعر العامي في اسمه، فمرة هو سعود بن مانع.

ومرة هو محمد بن سعود بن مانع ولقبه هميلان.

ولم يختلف المؤرخون في كونه من بني عمرو بن تميم، وإنما اختلفوا هل هو من بني العنبر، أو من الحبطات.

قال الشيخ ابن عيسى في أحداث سنة ١١١١ هـ: وفيها ملكوا آل مدلج أهل التويم من بني وائل بلد الحصون وأخرجوا منه آل تميِّم من بني خالد وولوا في الحصون ابن نحيط من بني العنبر بن عمرو بن تميم[١].

ونقل الشيخ حمد الجاسر عن ابن زاحم أن آل أبو حسين وآل العنبر من عمرو بن تميم، وأن النواصر من بني الحارث (الحبط) بن عمرو بن تميم والحبط أخو العنبر[٢].

وتابعهما الشيخ حمد الجاسر فقال: «آل نحيط بضم النون وفتح الحاء المهملة في سدير في الحصون». من بني العنبر، من بني عمرو، من تميم.

قال أبو عبد الرحمٰن: إلا أنه حفظه الله في موضع آخر قال عن

---

(١) تاريخ بعض الحوادث ص ٧٩ ـ ٨٠.

(٢) جمهرة أنساب الأسر المتحضرة ٢/٨١٤.

(٣) جمهرة أنساب الأسر المتحضرة ٢/٨٣٥ ـ ٨٣٦.

آل مانع سكان قارة سدير القدماء: من آل حماد بن الحارث من بني عمرو من تميم[٤]، فجعلهم من الحبطات.

وزاد صاحب تحفة المشتاق فقال عن سنة ١١١١ هـ: وقد ذكرت في أول هذه السنة إخراج آل تميم الخوالد من بلد الحصون، واستيلاء عثمان بن نحيط عليها.

وكان آل تميم قد قتلوا نحيط بن مانع بن عثمان بن عبد الرحمٰن فتوجه ابنه عثمان بن نحيط إلى الأحساء، وأقام هناك واستولوا آل تميم على الحصون، وخرج عثمان هذه السنة من الأحساء، وقدم على بلد التويم فقام أهل التويم معه وسطوا على آل تميم وأخرجوهم كما ذكرنا.

وأولاد عثمان بن نحيط مانع وسعود وهما اللذان قبضا على أبيهما عثمان وأخرجاه من البلد بتدبير صاحب جلاجل وخدعه كما ذكر ذلك حميدان الشويعر»[٥].

وجاء في التاريخ المحلي عن سنة ١٠٤٤ ما يلي: «في هذه السنة حرب القارة قتل فيها ابن أمير البلدة محمد بن عثمان بن عبد الرحمٰن الحديثي»[٦].

وعن سنة ١٠٨٣ هـ قال ابن بشر: «وفيها سار إبراهيم بن سليمان أمير بلد جلاجل مع آل تميم بتشديد الياء أهل بلد الحصون المعروف في ناحية

---

(٤) جمهرة أنساب الأسر المتحضرة ٧١٥/٢ - ٧١٦.

(٥) خيار ما يلتقط ٢٢١/١ - ٢٢٣ وأرخ بسنة ١١٢٠ هـ ولم يذكر هل هذا تاريخ وفاته، أو تاريخ الحادثة والقصيدة؟!.
وذكر أنه سعود بن عثمان بن نحيط.
وذكر ابن معجل في تاريخ الحوطة أدلة قاطعة على كذب دعوى الشاعر حميدان الشويعر.

(٦) تاريخ المنقور ص ٤٣ وتاريخ الفاخري ص ٦٧ وتاريخ ابن بشر ٣٢٠/٢ واحتمل أن تكون وقعت عام ١٠٤٣ هـ وتاريخ بعض الحوادث ص ٥٢ قال: «الحرب بين أهل القارة وأهل بلدان سدير»، وتحفة المشتاق ص ٤٢/أ.

سدير بعدما أخرجوهم منه آل حديثة فملكوه وأخرجوا منه مانع بن عثمان بن عبد الرحمن شيخ آل حديثة.

وقيل: إن ذلك في سنة ٨٤»[٧].

وفي سنة ١٠٨٧ هـ جلا مانع بن عثمان آل حديثة وذووه أهل القارة وقصدوا الأحساء»[٨].

وأما نسبته إلى بني حماد فقال تركي بن محمد آل ماضي: «وأما بنو تميم أهل الحوطة (يعني حوطة بني تميم) فقد صح بأنهم انتقلوا إليها من القارة المسماة صبحا، وهي تقع إلى الجنوب الشرقي من بلد الجنوبية البلدة المعروفة في سدير وهم أولاد حماد بن مخرب[٩] انتقلوا من صبحا مع رئيسهم محمد بن سعود الملقب هميلان إلى الحوطة في أوائل القرن

---

(٧) عنوان المجد ٣٣٢/٢ وتاريخ بعض الحوادث ص ٦٤ (قال: وقيل: إنه في السنة التي بعدها) وتحفة المشتاق ورقة ٤٩/ب.

(٨) تاريخ المنقور ص ٥٤ وتاريخ الفاخري ص ٧٧، وقال: «وصارت الرئاسة لآل تميم، ومانع هذا هو أبو سعود ونحيط»، وتاريخ ابن بشر ٣٣٤/٢ وتحفة المشتاق ص ٥٠/ب.

(٩) يظهر أن كلمة مخرب تطبيع فقد ذكر ص ١٨ - ١٩ أنهم من ذرية حماد بن الحارث بن عمرو الندى الذي قال فيه حميدان الشويعر خلال مدحه لابن ماضي:

إلى ابن ماضي رفيع الثنا ... من ذرية عمرو الندى مفخره

قال المؤلف: صحة البيت: من بنى بيت عمرو.

وعمرو الندى من ذرية عبد الله بن المنذر الذي قتل في وقعة الحديقة في مسير خالد على اليمامة وهو رجل مشهور يُعَدُّ بألف فارس.

انظر في سيرة ابن هشام تجده، وهو من بني عمرو بن تميم الذي يقول فيه رميزان:

لنا مفخر بالأصل عمرو ومنذر ... إلى قدموا عند الفخار العشائر

وذكر قول عبد العزيز بن ماضي:

ترى فرعهم ياذا حسين ومرشد ... كرام اللحى عند اختلاف القبائل

كذا مرشد أخا حميد وحارث ... والأصل حماد لكل الحمائل

وانظر جمهور أنساب الأسر المتحضرة للشيخ حمد الجاسر ٧١/١ و ١٥١/٢ - ١٥٣.

الحادي عشر[10]، وزاد عددهم، وفي ذلك يقول محمد بن سعود في قصيدته النبطية ما يلي وذلك في سنة ١١٢٠ هـ على الأصح:

دع الهون للهزلىٰ ضعاف المطامع ... وشم للعلا بالمرهفات اللوامع
وصادم مهمات الليالي فربما ... تنال العلا فالعز للذل قامع

وأشار إلى خروجه من الأحساء وهجرته على جماعته في صبحاء فقال:

صطيت بصبحا عقب ما ناموا الملا ... بشبان أمضىٰ من ليوث الشرايع
صطيت بها وأنا لها غير مرخص ... إذا الغير بالرخصا للأوطان بايع
عشرين مع عشرين عداد صطوتي ... على ألف أو ظني على الألف طالع

وأشار في قصيدته المذكورة إلى رحيله من سدير إلى الحوطة فقال:

رحلنا من وادي سدير على النقى ... نحث النضا من نازح البعد شاسع
نزلنا بها نزلة قريش حجونها ... بمن وطعام له السو جامع
نزلنا بها والعبدلي كان قبل ذا ... لطيب الجنى منها لذيذ النوابع
يهديه لأشرار مداراة شرهم ... ومن بر خوف الشر فالبر ضايع

وأشار إلى عدم مساعدة أهالي حوطة سدير له وعدم نفورهم معه إلى حوطة بني تميم»[11].

ولما ذكر ابن ماضي جلاء مانع بن عثمان آل حديثة وذويه أهل القارة سنة ١٠٨٧ هـ قال: ومانع هذا أبو سعود ونحيط[12].

وأما الرواية الشفوية فتذكر أن السطو على القارة لمحمد بن سعود بن مانع سنة ١١٢٠ هـ، وأنه وصل إلى الوشيل وهي ماء ضحل بالقرب من القارة.

---

(١٠) ناقض هذا التحديد ما سيذكره بعد قليل من أنها قيلت عام ١١٢٠ هـ فهذه أوائل القرن الثاني عشر لا الحادي عشر.

(١١) تاريخ آل ماضي ص ١٤ ـ ١٦.
ونقل هذا النص الشيخ عبد الله بن خميس في معجم اليمامة.

(١٢) تاريخ آل ماضي ص ٢٩.

وكان مع هميلان قافلة تعدادها سبعون رجلاً فأمرهم بالهجوم على أمير صبحا فرفضوا وانسحب بعض منهم ولم يبقَ معه سوى أربعين رجلاً فقط، ولذا سميت هذه الوقعة بقارة الذلان لأن جنود هميلان ذلوا وخافوا.

قال أبو عبد الرحمٰن: عندما تناول المعاصرون هذه القصيدة اختلفوا في تعيين قائلها فمنهم من نسبها إلى سعود بن مانع، ومنهم من نسبها إلى ابنه محمد.

فأول من نسبها إلى سعود عبدُ الله بن خالد الحاتم وتابعه جمهور دارسي الشعر العامي كالدكتور العثيمين وكالشيخ ابن خميس في أوائل مؤلفاته[١٣].

وأخيراً نسبها لمحمد بن سعود هميلان[١٤]، وهو وابن يحيى تابعان في ذلك لابن ماضي في تاريخه.

وقدماء جماع الشعر العامي كابن دخيل في مجموعته الخطية وابن حاتم لم يذكروا لمحمد شعراً، وإنما ذكروا لسعود العينية، وذكر له ابن دخيل قصيدة رائية بوصل الهاء خاطب بها جبر بن سيار، وقصيدة سينية خاطب بها أول حكام آل عريعر براك بن غرير يقول فيها:

عــريض نـدى الكفين براك الــذي　　　يعـد على كل المنجيـات فـارس[١٥]

ويؤيد أن القصيدة والسطو لسعود وليس لابنه محمد أن الأحداث إثر رحيلهم إلى الأحساء في أوائل الثاني عشر بُعَيْدَ أحداث أبيه عثمان في القارة كما أنه معاصر لبراك وجبر، وهـذان قديمـان تاريـخ حياتهمـا يعايش تلك الأحداث.

(١٣) انظر الأدب الشعبي ص ١٥١ ـ ١٥٥.
(١٤) تاريخ اليمامة ٥/٥١٠ ـ ٥١٢.
(١٥) انظر مجموع الدخيل ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤ و ٢٩٨ ـ ٣٠٠.

٩ ـ من أحديات الملك فيصل بن عبد العزيز

قال الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله:

يا طارش يم الامام العود ... قل له بنينا بالخبوت خيام[1]
جينا الحديدة والزيود شهود ... يوم ادبروا مثل النعام[2]

وقال الملك فيصل أيضاً:

يهل الرمك من شاف لي لحيان ... شقراه كيف أحوالها[3]
باكر إلى جا للرمك ميدان ... يرخي متين حبالها[4]
يرم العشا لمعكف الجنحان ... كل المراجل نالها

---

(١) العود: يعني إمام اليمن يحيى بن حميد الدين.
والعود في اللغة للمسن من الإبل والشاة، ثم توسعوا في استعماله للمسن من الرجال، لعله من الرد أخذاً من قوله تعالى: ﴿ثم تردون إلى أرذل العمر﴾ هذه حال المسن.
الخبوت: جمع خبت، وهو ما اطمأن واتسع من الأرض. فصيحة.
(٢) الزيود: أتباع مذهب الإمام زيد بن علي رحمهما الله من اليمنيين.
(٣) لحيان: هو نايف بن عون الرويس.
(٤) متين حبالها: عنانها المتين.
قال الأمير السديري رحمه الله في كراساته: روى هذه الأحدية ولد نايف بن عون، والمناسبة التي قالها فيها ليست معروفة، فهي إما من باب المداعبة، وإما أنه قاله في إحدى الحروب بالجنوب.
وقد أجابه دخيل الله بن عون بقوله:
شقراي تلحق قاصر الذرعان ... ومقدم بحيالها
مع ظن شيخ يلطم العدوان ... كل المراجل نالها
الصبح وإن جا للرمك ميدان ... نرخي متين حبالها

وقال فيصل أيضاً:

بارض الحديدة قطبوا خيام   والجمع الأول في زبيد[٥]
وسمية جت من جنوب وشام   هلت على جمع الضديد[٦]

وقال الملك فيصل أيضاً:

قلبي تولع بالرمك   والبيض زينات الدلال[٧]
البيض هي ويا الرمك   شفي وفرقاي الحلال[٨]

وقال الملك فيصل أيضاً:

حرم علي النوم مثل اليوم   دام الحرايب بالسراة
ربع قروم ويشتهون النوم   والقلب به شي حداه[٩]

وقال الملك فيصل أيضاً:

قولوا لنزال الحدود   عن حدنا ينزح وراه[١٠]
عاداتنا قشع العمود   والطير نرمي له عشاه[١١]

وقال الملك فيصل أيضاً:

النوم يا خطلان الأيدي   خلوه لعيون البنات[١٢]

---

(٥) قطبوا: بنوا.
زبيد: مدينة تقع بين تعز والحديدة في اليمن.
(٦) الضديد: العدو.
وسمية: مطر الوسم كناية عن معركة تمطر رصاصاً ودماً.
(٧) الرمك: الخيل.
البيض: دلال القهوة البغدادية.
(٨) شفي: مرادي.. فرقاي: ما أفرقه.. الحلال: الإبل والمال، لأن ملك الإنسان كسبه الحلال تغليباً.
(٩) شي: يعني هموم الحرب.
(١٠) ينزح وراه: يتقهقر وراءه.
(١١) قشع العمود: الإطاحة براية العدو.
(١٢) خطلان الأيدي: كناية عن انطلاق أيديهم في الشجاعة والكرم.

ما عاد كود دخول ميدي   نطلب من المولى الثبات[١٣]

وقال الملك فيصل أيضاً:

يا طارشي للسيف قل له   جوك العوادي بالحديد[١٤]

كم واحد قفوه ظله   قريب والا من بعيد[١٥]

(١٣) ميدي: بلدة على ساحل البحر الأحمر في اليمن.

(١٤) السيف: هو عبد الله ابن الإمام يحيى أمير الحديدة.

العوادي: العادون بخيولهم.

(١٥) قفوه ظله: جعلوا ظله وراءه كناية عن إدبارهم منهزمين.

١٠ ـ ابن دخيل والقبائل غير المنسوبة

قال سليمان بن صالح الدخيل[١] عن القبائل غير المنسوبة: «يوجد اليوم بين القبائل والعشائر الرحل ستة أقناء غير منسوبة وهي: الشرارات، والهتيم، والعونة، والصليلات، والعوازم، والرشايدة، والصلبة.

وهذه كلها لا يعرف لها بين القبائل أصل يرجع إليه في النسب اللهم إلا ما يزعمونه هم، أو يزعمه البعض منهم، أو يتقوله بعض من لا إلمام له بهم من أعراب وأغراب، وعلى كل حال فإن هذا الزعم باطل من عدة أوجه:

أولاً: لأن العرب الذين كتبوا في هذا البحث التآليف الجمة ونسبوا كل قبيل إلى الجد الأعلى الذي يتمون إليه لم يذكروا هؤلاء الأقوام الرحل، بل ولم يتعرضوا لذكرهم حتى من باب التلويح إلى وجودهم.

ثانياً: أن القبائل العربية الحالية لا تعترف لهم بمزاعم أنسابهم التي ينتحلونها لأنفسهم.

ثالثاً: ليس من قبيلة واحدة أو عشيرة واحدة بدوية تعترف لهؤلاء الأقوام أنهم على النسب الذي يدعونه لأنفسهم.

رابعاً: أن هؤلاء الأدعياء إذا جاوروا قبيلة انتسبوا إليها مما يدل على أنهم شذاذ.

---

(١) الفقرات التي سأنقلها من كلام الدخيل نشرت بمجلة لغة العرب.
وهذا البحث نشرته بمجلة الخليج العربي س ١٣ م ١٧ عدد ٣ ـ ٤ ص ٩٩ ـ ١١٠.

خامساً: أن الأعراب ينظرون إليهم نظر أهل المدن إلى النَّوَر أو الكاولية[2] المنتشرين في ضواحي المدن، فهذا يدلك على أنهم من سقط الناس.

ومن بعد أن أثبتنا هذه المقدمة العامة التي تصدق على هؤلاء الطُّرَّاء جميعهم معاً نعقد فصلاً وجيزاً يتعلق بكل قوم من هؤلاء الأقوام دون غيرهم.

قال أبو عبد الرحمٰن:

الوجه الأول: متهافت، لأن معظم القبائل المتأخرة شُهِرت بأسماء حديثة لم توجد في كتب الأنساب القديمة.

وإرجاع هذه القبائل إلى أصولها من القبائل القديمة ـ مع كثرة تداخلها عن طريق الحلف ـ إنما هو اجتهاد من المعاصرين، والتنصيص نادر.

وأما الوجه الثاني والثالث: فهما بمعنى واحد، وهو معنى متهافت، لأن غير المعترفين عوام لا علم لهم بالأنساب.

غاية ما هنالك أن يوجد لدى قوم ما لا يستسيغه بعض العرب فيغضون من نسبهم.

وبإيجاز فالتحقيق التاريخي شيء آخر.

ولقد علق الأستاذ أنستاس الكرملي على كلام ابن دخيل بقوله: (الشذاذ: جمع شاذ، وهم اللفيف من الناس، والذين لم يكونوا في حيهم ومنازلهم أو الذين يكونون في القوم وليسوا من قبائلهم).

قال أبو عبد الرحمن: إن صحت دعوى الذخيل لهذا الوجه فهي ظاهرة عامة ليست وقفاً على هؤلاء تكون في الخلف بسبب الجهل بالنسب.

والخامس هو عين الوجهين الثاني والثالث.

وقال الدخيل عن الصلبة: (الصليب مصغرة، وبعضهم يقول اصليب

---

(٢) المشهور في تعيير أهل نجد قولهم: يا كاوني.

بهمزة موصولة بعدها صاد ساكنة وهم الصلب متحركة أيضاً والصلبة وتلفظ بضم الصاد وفتح اللام والباء الموحدة التحتية).

قال أبو عبد الرحمٰن: هـذا الضبط يوحي بـأن الكلمة ضبـطت عند الفصحاء، وليس هذا بصحيح بل التسمية عامية حادثة تُرَدُّ إلى نطق العامة.

ثم قال الدخيل: (وأما العوام فيلفظونها بإسكان الصاد وإشمام اللام ضماً ضعيفاً: أي بـأن تلفظ اللام بحـركة تشبـه حركـة الحرف الإفـرنجي المعروف بألف الروم أو الألف الخرساء، وهي الحركة التي نسميها من الآن فصاعداً بالحركة المشتركة لاشتراكها بين حركتين أي بين الضم والكسر أو بين الضم والفتح.

ومنهم من يقـول: الصلب (أي بـالصـاد المشمـومـة ضماً[٣] والـلام المفتوحة).

ولم يتفق العرب والأعراب والصلبة على معنى هذه الكلمة، فالصلبة أنفسهم يقولون إنهم من صلب العرب، أي صميمهم، ولذلك سموا بهذا الاسم حفظاً لأصلهم، ولا سيما لأنهم أصبحـوا خاملي الـذكر عنـد سائـر العشائر والقبائل كلها.

لكن يرد على هذا الزعم القائل أنهم لو كانوا من صميمي العرب لعني بنسبهم الكتاب الأقدمون ولتشرفوا بذكرهم، والحال أن الأمر على خلاف ما يظن أو يروىٰ.

وغيرهم يقول: إن الصلبي أو الصلب بمعنى السائل أو الطفيلي من صلب العظام إذا استخرج ودكها.

كأن هؤلاء الأقوام بكثرة إلحافهم يستخرجون من الناس ودك العطايـا والحسنات، وهذا الزعم يصدق فيهم لأنه لا يعرف لهم أصل مثبت ولأنهم يتطفلون على ربوع الأعراب أينما حلوا وإلى حيثما ارتحلوا[٤].

---

(٣) بل المشمومة فتحاً (ابن عقيل).

(٤) هذه التعليلات من كيس الدخيل.

وإنما سمي الطفيلي وشبهه صلبياً على التشبيه بالصلب بعد المواضعة على تسمية هذا الجيل بالصلب، فالتعبير نتيجة لا علة (ابن عقيل).

ولهذا لا تعرف لهم دار، كما لا يقر لهم قرار، ومن ثم فكل أرض لهم أرض وكل دار لهم دار.

واستناداً على هذا المبدأ لا يطمع فيهم طامع، ولا يغضب عليهم أحد.

ويزعم البعض أنهم من بقية الصليبيين الذين تخلفوا بعد الحروب الصليبية عن رفاقهم الإفرنج، ويقولون إنهم من الإنكليز، والحق أن أصلهم لا يعرف على التحقيق كما قدمناه فويق هذا.

قال أبو عبد الرحمٰن: أما التخريجات اللغوية فهي من صنع الأستاذ الكرملي بلا ريب لأن الأستاذ الدخيل رحمه الله ليس من أهل الفقه في اللغة العربية، حتى المعنى الذي ناقشته في التعليقة رقم (٤) فهو من خيال الدخيل وقد خرجه الكرملي على معاني اللغة.

وإلى هنا أذكر بعض النبذ التاريخية عن الصلبة.

قال محمد أسد: (إن هذه القبيلة أو بالأحرى مجموعة القبائل الغريبة الشبيهة بقبائل النور لم تشترك في أي حرب من حروب البدو التي لا تكاد تنقطع، وإذ لم يكونوا أعداء لأحد، فإنه لم يكن ليهاجمهم أو يتعدىٰ عليهم أحد.

ولقد بقيت الصلبة حتى هذا اليوم لغزاً استعصى على جميع الرواد فليس من أحد يعرف أصلهم معرفة حقيقية، ولكن الثابت أنهم من غير العرب.

إن عيونهم الزرقاء وشعورهم الشقراء تكذب بشرتهم السمراء المكتوية بنار الشمس، وكأنها تدل على أصلهم الشمالي.

ويخبرنا مؤرخو العرب القدماء أنهم منحدرون من الصليبيين الذين وقعوا أسرى في قبضة صلاح الدين وجيء بهم إلى جزيرة العرب حيث اعتنقوا الإسلام فيما بعد.

---

(٥) في كتابه الطريق إلى الإسلام ص ٢٧٩ ـ ٢٨١.

والحق أن الصلبي والصليب والصليبي ألفاظ ذات جذر واحد إلا أنه من العسير الحكم بصحة هذا التفسير.

ومهما يكن من أمر فإن البدو يعتبرون الصلبة من غير العرب ويعاملونهم بما يشبه الاحتقار.

والبدو يفسرون هذا الاحتقار الذي يتناقض تناقضاً بيِّناً مع شعور العربي البارز بالمساواة الإنسانية بتأكيدهم أن هؤلاء القوم ليسوا في الحقيقة مسلمين عن اقتناع كما أنهم لا يعيشون كما يعيش المسلمون.

وهم يذكرون أن الصلبة لا يتزوجون بل هم (طوطميون) كالكلاب، بمعنى أنهم لا يعيرون أيما اعتبار حتى لأقرب الصلات الدموية، وأنهم يأكلون الجيف التي يعتبرها المسلمون قذرة غير طاهرة[٦].

ولكن هذا التفسير قد يكون نتيجة تالية لغيرها، ذلك أنني أميل إلى الاعتقاد بأن وعي البدوي لأجنبية الصلبي العنصرية هي التي جعلته هو الشديد الوعي لعنصريته يرسم دائرة سحرية من الازدراء والاحتقار حولهم دفاعاً غرزياً ضد امتزاج الدم مع الصلبة الذين كانوا يغرون به أشد الإغراء، ذلك أنهم جميعاً ودون استثناء يتمتعون بقسط وافر من الجمال، وهم طوال القامة أكثر من معظم العرب، ونساؤهم بصورة خاصة جميلات جداً.

ولكن مهما كان السبب فإن احتقار البدوي للصلبة قد جعل حياتهم آمنة، ذلك أن كل من تعدى عليهم يعتبر في نظر قومه فاقداً لشرفه، وفضلاً عن ذلك فإن سكان الصحراء جميعاً يقدرون في الصلبة مهارتهم في الطب البيطري وصناعة الشدود والسمكرة والحدادة، فالبدوي رغم احتقاره للأعمال البدوية إلى درجة جعلته يحجم عن ممارستها بنفسه بحاجة إليها، ولذلك يتطلع إلى الصلبة لمساعدته في الحصول على حاجاته.

وهم كذلك رعاة إبل نشيطون، وفوق كل شيء أساتذة لا يجارون في فن الصيد وقدرتهم على اقتفاء الأثر تكاد تكون ضرباً من الأساطير، وليس

(٦) بل محرمة (ابن عقيل).

هناك ما يمكن مقارنته بهم سوى بدو آل مرة في الأطراف الشمالية من الربع الحالي»[7]:

قال أبو عبد الرحمٰن: في نيتي إن شاء الله أن أحقق ما وصل إليّ من شعرهم العامي، ويظهر لي في هذه العجالة ترجيح قول من قال إنهم بقايا الصليبيين تأقلموا مع أهل الإسلام وامتازوا عن العرب بخلال تنحط عن شيمهم، لأننا لم نجد معنى معقولاً لتسميتهم من معاني صلب إلا استسهال العامة النطق بصلبي بدل صليبي، ولأن سحناتهم الأوروبية متميزة وإن كانت الشمس كوت بشراتهم، ولغلبة زرقة العيون في ملامحهم ودقة القسمات ورقة البشرة، ولأنهم وفدوا على الجزيرة ولم ينبعوا منها، ولأنهم تميزوا بالمهارة في الحرفة.

وفوق ذلك كله فأسرى الصليبيين في بلاد العرب بلغوا مئات الألوف على فترات من التاريخ ما بين رقيق وعتيق وممنون عليه وهارب منحاز، فهذه الظاهرة التاريخية مقتضى مرجح لنسبهم.

فقد بيع بأنطاكية وحدها من أرقاء الصليبيين مئة ألف بعد سقوطها في يد بيبرس.

ويحتمل أن يكونوا بقايا جيل من النصارى انحازوا عن قومهم وأسلموا ولم يأنس لهم العرق العربي فبقوا كما هم.

---

(٧) قال أبو عبد الرحمٰن: انظر عن الصلبة معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر رضا كحالة ٦٤٦/٢ ـ ٦٤٨ إلا أنه خلط معهم من ليس منهم.
وعشائر العراق ٣١١/١ ـ ٣٢٦ ومن مصادره المجلد الثاني عشر من المقتطف ومجلة المشرق ٦٧٥/١.
ويلاحظ أن أسلوب الكاتب أسلوب عاطفي وفيه مغالطات حول واقع حسي عن بعض عاداتهم، إذ زكى عاداتهم بإطلاق، ورجح أنهم من أصل عربي.
ودائرة المعارف لبطرس ٥/١١ ـ ٩ ودائرة المعارف الإسلامية ٣٠٨/١٤ ـ ٣٢١ ومعجم قبائل المملكة لحمد الجاسر ٤٤٢/١ ـ ٤٤٣، وكنز الأنساب ٢١٠ ـ ٢١١.

وما ظل التنصيص معدوماً فلا سبيل إلا بالاحتمالات والترجيحات، ومن ثم يظل البحث عن أصلهم ميتافيزيقيا.

وقال الدخيل عن أقسامهم: «يقسم الصلبة على قسمين أو فرقتين أو شعبتين هما: قبيلة الغنمي بإشمام الغين المعجمة رائحة الضم المصحف عن الضم الصريح، وإسكان النون وكسر الميم وتشديد الياء التحتية في الآخرة.

و [قبيلة] غير الغنمي.

الفرقة الأولى أعلى منزلة وأرفع درجة من الشعبة الثانية، ولا يعطي رجالها بناتهم لشبان الفرقة الثانية، كما لا يتزوجون واحدة من نسائهم، ولهم اليد العليا في كل أمر.

وأكثر معاطاة هؤلاء الأقوام صيد الظباء والغزلان، ولهم فيه مهارة تامة وحذاقة عظيمة وهم أعرف القبائل كلها بطرق البر ومسالكه، وأبصر الناس بأمكنة المياه والآبار.

ومما لا ينكره عليهم أحد هو أن الأعراب جميعهم يتخذونهم أدلة لهم في قطع البراري والفيافي دون غيرهم، ولهم صبر جميل على الظمأ والجوع والبرد والحر.

ومن خواص ما عرفوا به جودة النظر وبعد البصر وصحة الأجسام، فترى الواحد منهم يبلغ الثمانين أو التسعين من سنيه، ونظره نظر شاب صحيح البدن والنظر، وأسنانه تضارع الدر المنظوم، وذلك لكثرة سيرهم في النهار ورياضة أجسامهم وقلة خلطهم في المأكل وتحاشيهم عن المشارب المسكرة أو المضرة بالأبدان، وسكناهم الأراضي العذبة ذات الأديم الرائق الموافق للصحة» أهـ.

قال أبو عبد الرحمٰن: وقال راشد الخلاوي عن الصلب:

صدرنا وعدنا في صليب وحالهم	وما عابهم واهفى هفاهم جلايبه
الصلب أجواد نما الجود جدهم	نزار الذي صلب العرب من صلايبه

أجاويد قوم قلب الله قلوبهم ... بحيلات سو عابت القوم خايبة
قوم طغوا والناس في الجاهلية ... وازرى بهم شرك تطامى غبايبه
ولا عندهم إلا إبليس دليلهم ... دعاهم ولبى القوم لإبليس جايبه
دعا القوم فامسوا كالسكارى لصوته ... وإلى صحوا أضحوا لداعيه نايبه
دهى القوم بأخلاق رمت كار عزهم ... وعابت محاديهم مدى الدار دايبة
والأطباع تطبع جود من جاد جده ... ولو كان من بيت رفاع مناصبه
والأطباع تارد بالفتى مارد الردى ... وما الدين والدنيا والأطباع خاربة؟
فلا آفة فوق الأخلاق للفتى ... ويكفي لصاحبها لمحداه عايبة
فكم صار من طال الثريا بجده ... من الدناة وأسفل الناس جانبه
والجوع طلح وكل شي يشينه ... إلا سواد الزاج ما زاد زان به
والأطباع عضو في ابن آدم مركب ... والأطباع للتطبيع لا شك غالبة
ومن به جبلات من اللهً حطها ... تزول الرواسي والجبلات ناصبة
ومن راض نفسه في جبلات راضت ... ومن شب في طبع ولو شاب حازبه
ولله فيما شاء شأن وحكمه ... وله دبرة فينا عن الكون غايبة
تأدب وكن حر فطين مهذب ... وكن زاهد في الدون تاتيك خاطبة
فاصل الحرير العال من جوف دودة ... والجوخ صوف لكن أجزاه جات به
والورد من شوك توقاه يا فتى ... والنرجس الغالي خساس صلايبه
بلال عتيق وخصه الله بالتقى ... وسلمان بالإسلام والدين ساد به
وأبو طالب عم النبي ما حظي بها ... وأبو لهب تبت أياديه خايبة
وما المجد إلا جود من جاد فعله ... وما الطول إلا كل من طال صاحبه
فلا في الورى جود على جود صاحب ... أبو طالب قد فاز بالنار حاجبه
آيات من رب السموات للملا ... على ما حواه اللوح وأجراه كاتبه
والعبد في الدنيا للأخطار والفنا ... على جرف هار والشياطين واثبة
فسل منه توفيق على الدين والهدى ... وإخلاص صدق ما يرى فيه شايبة[8]

وقال الدخيل عن الشرارات: الأعراب يلفظون هذه الكلمة بإشمام

(٨) من كتاب راشد الخلاوي ص ٢٥١ ـ ٢٥٤.

الشين رائحة الضم[٩] وفتح الرائين، والظاهر أن هذا اللفظ قديم على هذا الوجه، لأن الفصحاء اختلفوا في حركة الراء فمنهم من جعلها فتحة صريحة ومنهم من اعتبرها كسرة، فتكون الحقيقة أنها بين بين كما هي حالة الروم.

قال أبو عبد الرحمٰن: هذا التحقيق عجب عجاب لأمور:

أولها: أنه لا خلاف في أن مادة شرر من مستعمل اللغة، فأي استشكال يجعله يتوقع أن اللفظ قديم!.

وثانيها: أن الفصحاء القدماء لم يذكروا الشرارات باسم هذه القبيلة لا في معجمات اللغة ولا في كتب التاريخ والأنساب، فأي خلاف بين الفصحاء يعني؟.

وثالثها: أن إمالة فتحة الراء الثانية إلى الكسرة محتمل في بعض اللهجات في كل لفظ على هذه الصيغة.

ولا نعلم خلافاً للفصحاء في نطق كلمة شرار بين الفتح والإمالة، فهذا الخلاف المزعوم من جعبة الدخيل رحمه الله.

قال الزبيدي: الشرار ككتاب ما يتطاير من النار.

واحدتها بهاء.

هكذا في سائر النسخ التي بأيدينا.

قال شيخنا[١٠]: الصواب كسحاب، وهو المعروف في الدواوين.

وأما الكسرة فلم توجد لغير المصنف، وهو خطأ، ولذلك قال في المصباح: الشرر ما تطاير من النار الواحدة شرارة، والشرر مثله، وهو مقصور منه.

---

(٩) ليس هذا بصحيح بل يسكنون الشين الأولى ويفتحون الثانية بدون أي إشمام في هذا الموضع [ابن عقيل].

(١٠) هو الطيب الفاسي في كتابه إضاءة الراموس [ابن عقيل].

ومثله في الصحاح وغيره من أمهات اللغة، وفي اللسان: والشرر ما تطاير من النار[11] انتهى.

قال الدخيل: ونظن الصواب أن الأصل في حركة الشين الروم أو إشمام الضم رائحة الكسر، وهي الحركة التي هي بين بين التي سميناها ونسميها الحركة المشتركة، ومن ذلك نشأ الاختلاف في الضبط.

قال أبو عبد الرحمٰن: من تكلم في غير فنه أتى بالعجائب، وفي هذا القول وهمان:

أولهما: أن الخلاف اللغوي محصور في كسر الشين وفتحها ودعوى الدخيل إشمام الضم، فكيف يكون إشمام الضم سبب الاختلاف في الكسر والفتح؟!.

وثانيهما: أن الإمالة وما في حكمها من المخارج لهجات حدثت، فلا يعتبرها اللغويون أصلاً في ضبط اللغة، ولكنهم إذا تحدثوا عن اللهجات والقراءات ردوهما إلى الأصل في ضبط اللغة.

وقال الدخيل: معنى هذه اللفظة ظاهر لكل ذي عينين: أي أن الشرارات سموا كذلك لخستهم أو لقلة الاعتداد بهم، فأصبحوا بالنسبة إلى العرب كنسبة ما يتطاير من النار عند اشتعالها إلى النار، وهذا كاف لتستدل على منزلتهم عند أهل البادية.

قال أبو عبد الرحمٰن: هذا التعليل من كيس الدخيل، وما عرف البلغاء أن الشرر كناية عن الخسة، وإنم هو كناية عن المنعة والبلاء.

يوصف الشجاع بتطاير الشرر من عينيه، وشرارة الحرب موقدها.

ويحتمل أن تكون النسبة إلى رجل اسمه شرار كما في الشعر العامي.

ثم قال الدخيل عن الشرارات: يتردد عددهم بين الألفين والثلاثة الآلاف من الرجال، وهم يسكنون وادي السرحان من الجوف إلى قرب

---

(١١) تاج العروس ٣/٢٩٥.

القريات (جمع قرية مصغرة مجموعة جمعاً مؤنثاً سالماً) في آخر الوادي المذكور.

ويجنى من هذه القرى الملح، وموقع هذه القرى في يمنة شرقي جبل الدروز.

وهؤلاء الأعراب يسرحون ويمرحون كعادة سائر القبائل الرحل إلا أن عوائدهم تختلف كثيراً عن أخلاق العرب في عدة أمور:

فإنك لا تجد فيهم الكرم، ولا الترحيب بالضيف، ولا حمي الذمار، ولا سطوة لهم بالنسبة إلى سائر الأقوام، إلا أنهم يدافعون عن أنفسهم إذا اعتدى عليهم أحد.

وبيوتهم حقيرة جداً، وقلما بنوا أو يبنون بيوتاً لهم خوفاً من قرى الضيف، فهم يتركونها على ظهر إبلهم وينزلون حيثما غربت الشمس في المفلى ونيرانهم ضئيلة، واستعمالهم قهوة البن نادر، وكذلك يندر عندهم عقد المجالس والدواوين والأندية.

قال أبو عبد الرحمٰن: المفلى المرعى، وافتلى المرعى رعاه، وكل ذلك من كلام أهل نجد والعراق وهو فصيح.

قال الزبيدي: «افتلاء المكان رعيه وطلب ما فيه من لمع الكلأ وهو مجاز.

قال الأزهري: سمعتهم يقولون: نزل بنو فلان على ماء كذا، وهم يفتلون الفلاة من ناحية كذا: أي يرعون كلأ البلد ويردون الماء من تلك الجهة»[١٢].

قال أبو عبد الرحمٰن: كلام الدخيل عن الشرارات فيه مغالطة وتحامل وكل ما ذكره عنهم فبخلاف الواقع.

والشرارات قبيلة عربية نجيبة عريقة تضافرت المرجحات على نسبتهم

---

(١٢) تاج العروس ٢٨٣/١٠.

إلى كلب كما عزز ذلك شيخنا حمد الجاسر، وجاء الأستاذ عاتق بن غيث البلادي فدفع احتمالات الجاسر باحتمالات أخرى.

وفي ميدان المحاصة بينهما أرى أن احتمالات الشيخ حمد أظهر، لأن احتمالاته متعينة في مقصده، واحتمالات البلادي احتمالات مرسلة.

والاحتمال الراجح أحظى من الاحتمال المرسل في ميدان الحجة والبرهان.

ولا ريب أن عامة البادية غمزت في نسب الشرارات، لأنها لم تتحقق، ولأن الشرارات أنفسهم لم تتحدد دعواهم على نسب موحد يردهم إلى إحدى القبائل القديمة، وبهذا السبب ضاعت أنساب كثيرة للحاضرة والبادية.

وأما وصف البادية للشرارات بالخسة فهذا محض افتراء من الدخيل، لأن الشرارات عربية الخلق والعادة، وعلى سبيل المثال فزعيمها الفارس خلف بن دعيجا يعده زعماء البادية أنفسهم من أندادهم.

وقالت الليدي آن بلنت: «وليس للشرارات خيول ولكنهم يربون أرفع أنواع الهجن في بلاد العرب، وأحسن فصيلة تسمى بنات عدهان»[١٣].

قال أبو عبد الرحمٰن: أما الخيل فهم أصحاب خيول أصيلة وقد ذكر الدخيل مربطاً من مرابطهم.

وأما نجابة هجنهم فهي مضرب المثل عند شعراء العامة. قال الشاعر؛

بنات حر فحلوه الشرارات　　　بالجيش تعني له جميع البوادي

وقال الأمير تركي الأول بن عبد العزيز آل سعود رحمهم الله:

ياما وطيناك من مرة　　　من فوق حمرا شرارية[١٤]

---

(١٣) رحلة إلى بلاد نجد ص ٤٧.

(١٤) انظر عن الشرارات المصادر التالية: في شمال غرب الجزيرة ٣٨٨/١ ـ ٣٩٠، ومعجم قبائل المملكة ٣٣٨/١ ـ ٣٩٠، ومجلة العرب ٩٥٩/٣ ـ ٩٦٠ و ٨١/٤ ـ ٢٨٣، ومجلة لغة العرب ٢٠٩/١ ـ ٢١١، و ٢٩٥ ـ ٣٠٠، ورحلة إلى بلاد نجد ٤٦/٤٧.

وقال الدخيل عن قبيلة هتيم: «الهتيم مصغرة كزبير، والبعض يقول: أهتيم بهمزة حركتها بين الفتح والضم أو بين الفتح والكسر، وتاء مفتوحة فتحاً ممالاً فيه إلى الياء وياء ساكنة. والبعض الآخر يقول: هتيم بإسكان الهاء وبقية لفظ الكلمة كما في اهتيم.

قال ابن سيده: وأرى هتيماً تصغير ترخيم، نقله ابن منظور.

إن الهتيم كسائر حثالة الأعراب ينتقلون في كل صقع، وينتجعون كل ربع، وقد نزل قوم منهم ديار مصر وتنقلوا فيها.

قال الزبيدي: «بنو هتيم كزبير: ألأم قبيلة من العرب، وهم ينزلون أطراف مصر، ويقال إنهم بطن من الترابيين.

وقال الحافظ: عرب مساكين يستجدون من ركب الشام» انتهى كلامه(١٥).

وأظن أن الهتيم سموا كذلك أخذاً من الهتم وهو الكسر (التهتم التكسر)، كأنهم لذلتهم وخستهم ولؤمهم يعتبرون من كسارة الأعراب وحثالتهم.

والهتيم يسكنون ما عدا ديار مصر المذكورة الحرة الواقعة في شرقي المدينة إلى روضة المستجدة، وهذه تقرب من حائل بيوم أو بعشر ساعات

والحويطات لعدنان عكار ص ١٥٧ ـ ١٥٩، وقاموس العادات للعزيزي ٢/ ٩٥ ـ ٩٦ وص ٢٥٠ وفيه نكت ممتعة، ورحلات في بلاد العرب ـ في شمال الحجاز والأردن للبلادي ص ١٠١ ـ ١٠٤ وص ١٠٦ ـ ١٠٨، ومعجم قبائل الحجاز ٢/ ٢٢٩ ـ ٢٣١، وبلاد الجوف لسعد الجنيدل ص ١٧٦ ـ ١٩٢، وكنز الأنساب للحقيل ص ٢٠٧ ـ ٢٠٩ والمنتخب لابن مغيرة ص ٢٧٣، والقبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين ص ٤٩ وقد اعتمد على كتاب تاريخ شرق الأردن وقبائله ومعجم قبائل العرب لكحالة ٢/ ٥٨٧، وعشائر العراق للعزاوي ١/ ٣٢٠.
وممن كتب عنهم البتنوني في الرحلة الحجازية وعليه اعتمد الهاشمي في الدرر الذهبية ص ٤٢، والبركاتي في الرحلة اليمانية، ونعوم شقير في تاريخ سيناء، ووصفي زكريا في عشائر الشام.

(١٥) انظر تاج العروس ٩/ ٩٨.

ونيف، والهتيم أرفع منزلة من الشرارات لرفعة نفوسهم وإبائها.

وأعظم أشغالهم تربية الأغنام وتسلم ودائع المدن وحفظها، والارتزاق منها ما دامت عندهم واستمناحها.

قال أبو عبد الرحمٰن: إليكم نبذة مما قاله المؤرخون عن هتيم:

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: بنو الهتيم - بالضم وفتح المثناة ثم ياء ساكنة - عرب مساكين يستجدون ركب الشام(١٦).

وقال ابن حجر: في المتقدمين عامر وطارق أبناء الهتيم بن عوف بن عمرو بن كلاب بن ربيعة(١٧).

وقال مصطفى الدباغ: وفي فلسطين شتيت من القبائل المتحيرة من هتيم يعودون بأصلهم إلى الملاحة من عرب سيناء... إلخ(١٨).

وقال الشيخ حمد الجاسر: «وإذا نظرنا إلى قبيلة هتيم وجدناها تسيطر على أماكن منيعة، ووجدناها لا تختلف عن غيرها من القبائل العربية الصريحة النسب في كثير من عاداتها وأخلاقها بحيث لا يستثنى من ذلك سوى أمور قد يلجأ إليها الضعيف مضطراً، ثم تصبح هذه الأمور بالنسبة إليه أموراً عادية.

إن قبيلة هتيم منتشرة في أودية الحرة الشرقية من الحجاز التي كان يطلق عليها قديماً أسماء كثيرة منها: حرة النار، وحرة ليلى وهما في الواقع حرتان متجاورتان، وحرة غطفان وأم صبتار وتقع في وسطها واحة خيبر وفي شرقها واحة فدك المعروفة الآن باسم الحائط والحويط.

الحائط هو فدك والحويط كان يسمى يديع بالياء المثناة التحتية بعدها دال مهملة فياء أخرى فعين مهملة.

---

(١٦) تبصير المنتبه ١٤٥٦/٤ وفي نسخة: ويشحذون من ركب الشام.

(١٧) تبصير المنتبه ١٤٥٦/٤ وانظر الإكمال ٣٢٣/٢، وروى الهجري عن الهتيمي عن عمرو بن كلاب، انظر أبو علي الهجري ص ٥٩.

(١٨) القبائل العربية وسلائلها ص ١٦٧.

هذه الحرة أو مجموعة الحرار يسيطر على القسم الشرقي منها قبيلة هتيم، وكانت في العهد القديم من منازل قبيلة غطفان ذات الفروع الكثيرة التي لم يبقَ منها محافظ على اسمه سوى فرع بني عبد الله الذين يعدون الآن من قبيلة مطير ويقيمون في عالية نجد.

واستيطان هتيم في هذا الجزء لا شك أنه قديم مما يحمل على القول بأن فروعاً كثيرة من قبيلة هتيم الحاضرة هم من بقايا قبيلتي غطفان ومحارب العدنانية الأصل، والغالب أن القبائل كثيراً ما تحافظ على أوطانها وخاصة إذا كانت منيعة بجبالها وأوديتها كحال من في بلاد هتيم الآن.

ولا نجد فيما بين أيدينا من الكتب ذكراً يوضح لنا ما نحتاج توضيحه عن هذه القبيلة، وإن كنا نجد إشارات موجزة تدل على قدمها، فنجد الهجري يذكر ممن نقل عنهم من أعراب الجزيرة في القرن الثالث وأول الرابع الهتيمي، وينسبه إلى بني عمرو بني كلاب، وبنو كلاب هؤلاء أقوى قبيلة تسيطر على وسط نجد.

ولكننا الآن لا نجد أحداً ينتسب إلى هذه القبيلة، فقد تفرقت فروعها، واختلطت في قبائل عرفت بأسماء حديثة.

ونجد النسابين يذكرون بني هتيم من فروع بني ظفر من الأوس سكان المدينة.

ونجد الزمخشري يروي في كتابه: الجبال والمياه لشاعر هتيمي هذا البيت:

أما قد عدا عن ركبة ولد رافع وعن نملى والبرتين منيف[١٩]

ونجد مؤرخي المدينة عندما يحددون جبل ثور ينقلون عن رجل من هتيم تحديده، ويصفون هتيماً بمعرفتهم بالمواقع.

كما نجد في شعر ابن مقرب المتوفى سنة ٦٢٩ قوله:

---

(١٩) الأمكنة والجبال والمياه ص ٢١٣.

فإن هتيماً لو حوت مال طيء هتيم فلا يغررك طيف خيال
سترجع فيما عودت لحميرها وتحريق أشنان وخصف نعال

أي أن هتيماً كانت في ذلك العهد لا تستنكف عن الحرف والأعمال التي تترفع عنها القبائل الأخرى، ولعل هذا من الأسباب التي وضعتها في أعين العرب الآخرين فقد كانوا يعيرون سكان اليمن ـ وهم العرب الأقحاح ـ بأنهم بين ناسج برد، ودابغ جلد.

ويرى بعض الكتاب المتأخرين مثل البتنوني في رحلته: أن من أسباب ضعة هتيم أنهم خفروا بذمة جار لهم فرمتهم العرب بقوس العداوة، فأصبحوا محتقرين لديهم.

وآخرون يرون أنهم من بقايا عبس، وأنهم بعد وقعة بغا القائد العباسي سنة ٢٣١ بعبس وبني سليم وبني نمر تشتتوا وضعفوا.

وعلى كل حال فإن في هتيم من صفات الأصالة ومن الأخلاق العربية، ولهم من المميزات القبلية ما يحمل على القول بصراحة نسب كثير من فروعهم، وإن أصبحت القبائل الضعيفة الأخرى ممن جهلوا أنسابهم ينتسبون إلى هتيم أو يطلق عليهم هذا الاسم، حتى أصبح صفة لكل ضعيف يربأ عنها من كان صريح النسب[٢٠].

---

(٢٠) في شمال غرب الجزيرة ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨، وانظر تفريعه لهم ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠، وانظر ص ٢٨٩ و ٤٧٣ و ٤٧٧ و ٤٨٢ و ٤٩٣ و ٥١٠ و ٥٢٣ و ٥٢٤ و ٥٢٥ و ٥٢٦ و ٥٢٨ و ٥٣٣ و ٥٣٤ و ٥٣٦ و ٥٣٨ و ٥٤٠ و ٥٥٤ و ٥٥٥ و ٥٦٧ وعن الرشايدة ٥٦٨ و ٥٨٧ و ٥٨٩ و ٥٩٢ و ٥٩٤ و ٦٠٤.
قال أبو عبد الرحمٰن: هذه المواضع عن مساكنهم، وعن هتيم راجع: معجم قبائل العرب لكحالة ١٣٠٩/٣، والبادية للراوي ص ١٨٩، وعشائر العراق للعزاوي ٣٢٠/١ ـ ٣٢١، وقد غلط كفيره في عدهم من الصلبة، والواقع أنهم عرب أقحاح، والارتسامات اللطاف ص ٣٤٦، وكنز الأنساب ص ٢١٢ ـ ٢١٣، ومعجم قبائل الحجاز ٥١٣/٣ ـ ٥١٧، ورحلة في بلاد العرب في شمال الحجاز والأردن ص ٩٩ ـ ١٠٩، ومعجم قبائل المملكة ٨٧٤/٢، ومسيرة إلى قبائل الأحواز ص ١٤٥، والدرر الذهبية ص ٤٢.

١١ ـ ابن دخيل وسكان نجد

ما تنشره جريدة الرياض التي كان يصدرها الدخيل رحمه الله في العراق مفيد جداً في معرفة بعض الأحداث التي وقعت في عهد الدخيل حسبما تبين لي من شذرات منها تنشرها مجلة لغة العرب التي يصدرها أنستاس الكرملي.

أما البحوث التي تنشرها المجلة عن تاريخ سابق لعهد الدخيل فقليلة الجدوى في جمهرتها، ومحل مؤاخذات كثيرة فيما يعتبر إضافة من المؤلف.

فمما نشر الدخيل بحث بعنوان: سكان نجد في الزمن الخالي وفي الزمن الحالي(١).

وقد ذهب في هذا البحث إلى أن أهل نجد في السابق كأغلب سكان بلاد العرب أخلاط من أمم شتى من عرب وفرس وآرميين وعبرانيين وأشوريين وكلدان وبابليين ثم امتزجوا امتزاجاً واحداً مع الزمان حتى أضحوا أمة واحدة.

ولما جاء الإسلام زادوا وحدة.

ولما ظهرت الوهابية بانوا كل البينونة عن سائر سكان الجزيرة حتى أضحوا أمة مستقلة بنفسها.

قال أبو عبد الرحمٰن: لعل الدخيل استفاد هذه الدعوى المختصرة من محادثاته الشفهية لأنستاس الكرملي.

---

(١) مجلة لغة العرب م ١/١٦ ـ ٢٥ ج ١ شهر رجب سنة ١٣٢٩ هـ وسليمان الدخيل للدكتور محسن ص ٤٥ ـ ٥١.

وأساس هذه الدعوى ما حققه الدكتور جواد علي في الجزء الأول من كتابه المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام حيث يوجد قول لا يخلو من مرجحات يذهب إلى أن بلاد نجد هي الوطن الأول للساميين.

وعلى فرض صحة هذه الدعوى فلا تصح سنداً لدعوى الدخيل، لأن القول بأن بلاد نجد هي البلد الأول لتلك الأجناس غير قول الدخيل أنهم امتزجوا بالعرب فصاروا أمة واحدة.

والواقع أن نجداً بلاد للعرب خاصة منذ وجود العرب.

ومنذ وجد العرب عرفوا بأنسابهم المضبوطة بما يشبه انضباط البرهان الرياضي.

ومن جاورهم فهو متميز عنهم، وإنما دخل في وحدة الأمة لا وحدة العرق بعد ظهور الإسلام.

والذي امتزج بأمة الإسلام أجناس طرأت على نجد وليس هو بقايا من أجناس تاريخية في نجد لم تتميز عن العرق العربي.

وإطلاق الوهابية مما يستوحش منه بعض الغيورين.

قال أبو عبد الرحمٰن: ولست أرى في هذا الإطلاق من بأس لعدة اعتبارات:

أولها: أن ما أعلنه الشيخ محمد من مذهب أهل السنة والجماعة في العقيدة كان شيئاً جديداً في جملته دون تفصيله في عصره ومصره، فالنسبة إليه نسبة إحياء وبعث لا تأسيس، وذلك لذهاب كثير من السنة وانتشار كثير من البدعة.

وثانيها: أن من أخذ بمسائل اجتهد فيها وكانت بمجموعها غير موافقة لمذهب إمام بعينه فقد جرى العرف العلمي على تمييز مسائله بأن تنسب إليه مذهباً وإن كانت غير جديدة في جزئياتها.

ولم يؤثر لابن عبد الوهاب رحمه الله مسألة شذ فيها، بل هو إمام مصلح مجتهد، ولهذا كانت مؤلفاته شرح مسائل لا تأسيس مذهب.

وإذا أبى بعض الباحثين إطلاق الوهابية فليس ذلك بسبب أن النسبة شنيعة، بل لأن مذهب ابن عبد الوهاب غير متميز عن مذهب أحمد واجتهاد ابن تيمية وما أجمع عليه السلف الصالح.

قال أبو عبد الرحمٰن: وفي هذا العصر أصبح علماء البلدان العربية والإسلامية أسرة واحدة، وكانوا يجتهدون في المسائل، ويرجِّحون اجتهاداً على اجتهاد من جملة فقه الأئمة.

وفي المملكة العربية السعودية هيئة لكبار العلماء لهم اجتهادهم وترجيحهم.

وهذا أحد أسباب جعلت خادم الحرمين الشريفين يعلن عدم رضاه عن وصف أهل المملكة بالوهابية.

وثالثها: أن مبعث الاستشناع ما وقر في قلوب بعض عوام المتمذهبين من أن الوهابية مذهب خامس.

وهذا جهل منهم في تقسيم المذاهب، لأن المذاهب في الفروع غير محصورة في أربعة مذاهب، بل المذهبية غير محصورة أصلاً، إذ لكل عالم أن يجتهد في الفروع وجوباً لا استحباباً ولا مجرد إباحة.

ومذهب كل إمام يتميز بمجموع مسائله لا بجزئياتها إضافة إلى ما يسميه العلماء بمفردات الأئمة.

أما أمور العقيدة فالمذاهب فيها فرق شتى، وإنما حصل اتفاق أهل السنة والجماعة على مذهب واحد حاشا مسائل يسع فيها الاختلاف مما لم يرد بمحكم النص.

فيجب أن لا نرتاع من تشنيع للعامة مبني على تقسيم خاطىء.

وقال الدخيل عن الرياض ودورها العلمي: «لكن أكثر هذا العلم يدور على علم التوحيد والكلام والأصول والتفسير والفقه واللغة وجميع العلوم الدينية وقليل من النحو والصرف وسائر علوم الآلة.

فلما أخذت دولتهم بالزوال تقلصت ظلال العلوم عنها أيضاً رويداً

رويداً وتشتت العلماء على أوجه شتى فمنهم [من شت][٢] بالموت، وآخرون بالمهاجرة إلى بلاد أخرى يرتزقون فيها لأن عيشتهم في السابق كانت متوقفة على ما يجريه الأمير ابن السعود من الرواتب الدارة الأخلاف الجارية من بيت المال، وهذا يمتلىء مما كان يجمع على ما جاء به الشرع الشريف من النظام والأصول المثبتة في الإسلام.

أما اليوم فلم يبقَ من تلك العلوم شيء في الرياض وانتقل أغلبه إلى بلاد القصيم وحائل السالفتي الذكر.

ولا يوجد من يتعاطى العلوم فيها إلا أناس قلائل، ووجودهم كعدمهم، وهم الذين يقال إنهم خبطوا في الديانة خبط عشواء، وأظهروا التعصب الديني الأعمى وأشاعوا عنه وعن أصحابه أموراً لا توافق مذهب السلف.

وهي وإن كان أغلبها ملفقاً إلا أن لها بعض الحقيقة، فجسَّمها خصومهم وحسادهم على تلك البقاع وعلى عزتهم فيها وانتصارهم على مناوئيهم إلى أن آل تقلص ظل دولة آل سعود ففرحوا بذلك فرحاً لا يوصف.

وما زالت الحالة في تأخر وتقهقر حتى اضطر أكثر أهل تلك البلاد إلى المهاجرة للاسترزاق فقطعنوا عنها مكرهين، ولكن هجرتهم لم تبعد لأنهم لم يتجاوزوا الأحساء والزبير والبصرة.

أما أكثرهم فتراهم في البحرين وعمان وسائر تلك الأصقاع وكلها لا تخرج عن بلاد العرب.

والذين هاجروا لم يكتسبوا بهجرتهم علوماً تقدمهم إلا النزر القليل مما يوافق مشربهم وتغربهم: أي معرفة أعداد الدول وقواها وبعض ممالكها ومستعمراتها وسياسة بعض البلاد تجاه نجد.

والخلاصة أنهم يتأثرون[٣] كل ما له تعلق ببلادهم.

---

(٢) ما بين القوسين من إضافتي ليفهم الكلام.

(٣) عادة الكتاب أن يقولوا: (يتأثرون بكل) إلا أن الكرملي معني بتصحيح أساليب الكتاب، وهذا التعبير الصحيح من إصلاح الكرملي بلا ريب [ابن عقيل].

والبعض منهم وهم أفراد قليلون وصلوا إلى الهند كمدينة لكنو حيدر آباد وأمر تسر وغيرها ودرسوا بعض علوم الدين وشدوا شيئاً من الفلسفة وعلوم العمران والاجتماع، لكن علوم هؤلاء الأفراد لم تؤثر في قومهم التأثير المطلوب لما رجعوا إليهم قافلين بها، ولذا لا تراهم حظيين في عيون وطنييهم.

أما إمارة ابن السعود الآن وحاشيتها (وإن شئت فقل: أما مقدمو إمارة ابن السعود) فإنهم على كفاية من العلم اللازم لإدارة شؤونهم حسب سمعتها وما تطلبه منهم مكانتهم بل يوجد بينهم أفراد لا يُستغنى عنهم لحل الأمور المعضلة أو المشكلة، وأكثرهم ممن تربوا في المدن.

وفي هذا العهد (أي منذ إعلان الدستور العثماني) انتبهوا انتباهاً عظيماً وهم في شوق لاعج إلى الاطلاع على حقائق الأمور والانضمام إلى الحكومة العثمانية، ولكن يا للأسف أن الحكومة لم تشرح صدرهم إلى اليوم ولا تراسلهم بل ولا تنظرهم، لا بل لما طلب ابن السعود من ناظر الداخلية طلعت بك (حسبما بلغني) ليبعث إلى المجلس من قبله مبعوثين رده قائلاً: نفعل ذلك في الانتخاب الجديد.

ولما كانت بيني وبين الأمير ابن السعود قرابة مثلت بين يديه بعد ما قضيت سنين في الهند وشرحت له أحوال الدستور في الأمم الراقية فانشرح له صدره، وأفادني بأنه يكون أول مؤيد له وأعظم مساعد للحكومة العثمانية فيما تريده، وألححت عليه بأن يوفد إلى الحكومة العثمانية مبعوثين من قبله ففعل وطلب ذلك لكنه رد كما تقدم القول.

هذا وأهل هذه الإمارة يطالعون بلاعج الهوى الجرائد والمجلات وتأتيهم من كل حدب وصوب ويطلبون الكتب ولا سيما الحديثة الوضع ليقتنوها ويطالعوها، ويقبلوا عليها إقبال الجياع على القصاع.

غير أن الاضطرابات التي تحدث بين القبائل غالباً لأدنى سبب، وسنة الأعراب منذ القديم ـ سنة الغزو والهجوم ـ: لا تدعهم يتفرغون لها كل التفرغ ويستفيدون منه الفائدة المطلوبة، ومع هذا فإني أرى أنه لا تمضي

سنوات إلا ويصلون إلى درجة حسنة من العلوم والآداب بمنه تعالى وكرمه» اهـ.

قال أبو عبد الرحمٰن: يلاحظ إشادته بإعلان الدستور ولم يدر أن وراء ذلك زعيم الصهاينة واليهود المهاجرين من أسبانيا، وأن ذلك إعلان العلمانية وسقوط الخلافة.

وليلاحظ ثانية أن أهل نجد لم يعرفوا علم الكلام في ذلك العصر معرفة أهله.

وإنما اعتمدوا نقل ما رجحه ابن تيمية من آراء كلامية في عهود متأخرة كما نجد في كتاب شرح نونية ابن قيم الجوزية لابن عيسى.

وهم يوردون هذه النقول اضطراراً إذا ألَّفوا في العقائد.

أما في الحجاج وتأسيس المسائل فلا يفتحون باب الجدل بأسلوب أهل الكلام بل عمدتهم النصوص والاستدلال وتحرير أقوال السلف.

وأما متون اللغة فلا أعرف لأسلاف أهل نجد عناية بها في ميدان التأليف، وإنما يفيدون من الصحاح والقاموس وما نقله الفقهاء عن أئمة اللغة كإبن فارس في التعريفات التي تتخلل تأليفاتهم في علوم الشريعة.

وأما النحو والصرف فيتعلمون منها قدر الحاجة ولا أعلم أنهم توسعوا فيهما تأليفاً كتوسع المختصين.

هذا على العموم ولا عبرة بالنادر.

ويلاحظ ثالثة أن حال العلم والعلماء في الرياض لم تتغير كما زعم الدخيل، وإنما الذي استجد أمران:

أولهما: امتداد العلم وتوسعه في القصيم وتوفر الكتب بحائل.

وأخراهما: وجود علماء في القصيم لهم اجتهاد يخالف اجتهاد كافة علماء نجد كالشيخ إبرهيم بن جاسر رحمه الله.

وآل سليم ـ بكسر السين ـ وأتباعهم في القصيم يمثلون علماء دعوة

الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

وساعد على انتشار الكتب بحائل عناية ثلاثة من أمراء آل رشيد بجمع الكتب لتعلقهم بالعلم وهم عبيد العلي وحمود العبيد وعمه سليمان.

وقد تكلمت الليدي آن بلنت عن عناية سليمان بالعلم في رحلتها إلى بلاد نجد.

وتظهر ثقافة حمود من شعره العامي حتى أنه حاول محاكاة الشعر العربي في إحدى قصائده.

ومن العجائب أن النسخة الوحيدة التي طبع عنها تفسير ابن جرير هي نسخة حمود.

وقال الدخيل عن العلم في حائل والقصيم: «وأما العلوم والآداب في حائل (ويقال لهذه الإمارة أيضاً الجبل وجبل شمر وهو جبل طيىء في السابق) فهي على غير ما رأيته في الإمارة الأولى.

ومما يجب أن تعلمه قبل الإيغال في البحث أن هذه البلاد قد وصلت إلى درجة تذكر في العلوم والمعارف منذ سابق العهد، وإمارتها لشمر منذ أن وجدوا إلى يومنا هذا، وقد استولى عليها آل سعود حين قويت شوكتهم وعظمت صولتهم، وما كادت شمسهم تميل إلى الغروب إلا وعادت تلك الديار إلى أهلها الأقدمين[٥].

وكان أول أهلها ورؤساؤهم آل علي، ثم انتقلت إلى طلال[٦]، فبندر،

---

(٤) رحلة إلى بلاد نجد ص ١٩٨.
قال أبو عبد الرحمن: وعن العلم والعلماء في حائل راجع نشأة إمارة آل رشيد للدكتور العثيمين ص ٨٢ - ٨٣.

(٥) كان آل علي أمراء حائل لآل سعود، ثم ولى الإمام فيصل بن تركي الأمير عبد الله بن رشيد إمارة حائل. وعندما اضطربت الحال بين أبناء الإمام فيصل طمع الأمير محمد بن عبد الله بن رشيد في السلطة بحجة الإصلاح بين الإخوة [ابن عقيل].

(٦) المؤسس الأول عبد الله بن علي والد طلال، وبعد طلال أخوه متعب [ابن عقيل].

فمحمد الرشيد، فعبد العزيز، ثم إلى ابنه متعب، ثم إلى خال متعب سلطان، ثم إلى سعود أخي سلطان، ثم إلى سعود بن عبد العزيز أخي متعب، ولهؤلاء في ذلك قصة تاريخية عجيبة طويلة لا يسع المقام ذكرها.

ولما دالت إمارة آل سعود وافق آخرها نمو إمارة محمد الرشيد فانتقلت أكثر الكتب إلى حائل.

وأنت تعلم أن لا صناعة ولا تجارة لأهل حائل إلا الغزو لا غير، ومع ذلك فتراهم قد سبقوا غيرهم في العلوم العصرية، وذلك لاختلاف كبرائهم إلى الآستانة ومصر والحجاز أيام السلطان عبد الحميد المخلوع فأصبح البعض منهم يعرف اللسان التركي والفارسي[7].

وترى في بلادهم اليوم الكتب العربية القديمة النادرة الثمينة التي لا ترى لها وجوداً في سائر البلاد العربية وأغلبها غير مطبوع.

وتؤانس جماعة منهم تطالع الصحف السيارة والمجلات الموقوتة.

وأهل هذه الديار أنور من غيرهم من تلك الأقطار في العلوم العصرية وأوسع اطلاعاً في الأمور السياسية، ولهم ميل شديد إلى الحكومة العثمانية، وهذا الميل أظهر فيهم ممن سواهم، لكن الحكومة لا تزال في ريب من أمر العرب والإحجام عنهم، وعلى ما أرى أنها تود أن تكون في غنى عن نصرتهم، ولعلها تخاف من أنهم إذا تمدنوا قلبوا لها ظهر المجن وعادوا إلى مجدهم السابق، وهذا كله من التخيلات السياسية ومن الأوهام التي لم تدر في خلد العرب[8].

ولما أتيت بغداد ورأيت الحالة الحاضرة أبديت ما أوجبته عليَّ الوطنية العثمانية والعربية للطرفين المتقابلين المتصلين بجامعة الدين، وشرحت ذلك بعدة مقالات بسطتها في جريدتي الرياض، وبينت للعرب ما ينجم من

---

(٧) إنما حفظوا ألفاظاً عن طريق الممارسة وليس ذلك تعلماً بالمعنى الصحيح.
واللغة الأجنبية عند هؤلاء كلغة الوقاد في إحدى بواخر شركة الهند البريطانية الذي ذكرته الليدي آن بلنت في رحلتها إلى بلاد نجد ص ٢٠٠ - ٢٠١ [ابن عقيل].

(٨) أثبتت الأيام خلاف ذلك [ابن عقيل].

الفوائد الجمة إذ انضموا إلى أبناء آل عثمان وصاروا يداً واحدة على الأعداء.

ولقد أثر كلامي هذا على أبناء وطني تأثيراً عظيماً حسناً ذا نتيجة تذكر، لكن ذهب كله أدراج الرياح لما رأوا أن الدولة العثمانية لا تعيرهم أذناً صاغية ولا أحلاماً واعية، فلعل الزمان يحسن النيات في أبناء عثمان فيجني هؤلاء في بضع سنين ما لم يجنوه بحذرهم مدة سنوات متطاولة.

هذا فضلاً عما شرحت للحكومة مما يجب أن تتخذه من الاحتياطات اللازمة لمنع الأسلحة من دخولها بلاد العرب، وذكرت لها الوسائط الحسنى للبلوغ إلى تمدن صادق وأرسلته إلى أحد مبعوثي العراق، وبعد أن قرىء في المجلس حُوِّل إلى النظارة ولا أدري بعد هذا ما جرى به، ولعله ضاع أو احترق مع جملة الأوراق التي ذهبت في إحدى حرائق الأستانة في هذه الأيام الأخيرة.

أما ميلهم إلى العلوم الأدبية كالشعر والنحو وعلوم الآلة والسياسة والاجتماع فمما تظهر منافعه عن قريب إذا ما تحسنت الأحوال وتوفرت وسائل النقل والانتقال بعد أمد غير بعيد بمنه تعالى وكرمه.

والبحث في علوم وآداب أهالي القصيم يتناول البلدتين المذكورتين اللتين تتقوم منهما، فأهل هذه البلاد ليسوا كأهل الديار الأخرى، فلقد دخلوا بتجارتهم البلاد الكثيرة من الأصقاع المتمدنة كالهند ومصر والشام ولندن ومدن أميركة، وتجد بعضهم قد توطنوا تلك الربوع كما احتلوا بلاد العراق كبيرها وصغيرها، ولقد تقدموا في التجارة أحسن من غيرهم بكثير.

وكذلك قل في العلوم على مختلف أنواعها وتشعب أفنانها كل ذلك في البلاد المختلفة المذكورة كما في ديار قطرهم الواسع، فإنك لا تسير إلى بلد إلا وتجد فيه منهم نفراً يتعاطى الأمور التجارية غير غافل عن العلوم المعروفة في تلك البلدة مقامه، ولهذا إذا تيسر لك فدخلت بلادهم ترى فيهم هذا يكلمك بالتركية، وذاك يطارحك الكلام بالفارسية، وتسمع واحداً يذاكرك بالهندية ويقبل إليك آخر يفاتحك بالإيطالية، ويقترب منك صديق محب يخاطبك بالفرنسية... إلى غير هذه اللغات من أوردية وتامولية وإنكليزية.

أما التاريخ فهم يعتنون به أشد الاعتناء، وكذلك يزاولون علوم الاجتماع والسياسة مزاولة تفوق معالجة سواهم لها.

وهنا نختصر القول إضافة إلى ما تقدم ذكره عن الإمارتين الأولين بخصوص العلوم والمعارف أنه لا يوجد في تلك الربوع مدارس أو مكاتب على ما نشاهده في البلاد الأخرى المتمدنة من ابتدائية ورشدية وكلية وجامعة.

أما مدارسهم فهي مدارس خاصة بهم تشمل جميع المطالب وتجمع في ردهاتها كل طالب على السواء.

فالتلميذ يأخذ أي كتاب كان أو أي كتاب أراد قراءته ثم يحضر المدرسة ويقرؤه على المعلم الموجود فيها بدون أن ينتظم في سلك حلقة تتلقى العلم معاً من الأستاذ في وقت محدود كما هو الأمر الجاري في المكاتب المصرية المنتظمة.

وبيوت أكثرهم ليست إلا مدارس ونوادي علم، إذ ترى فيهم من ينضم إلى رفيق له ثان أو إلى ثالث أو أكثر حسبما يتفقون عليه، فيجتمعون في بيت واحد منهم، أو أنهم يجتمعون في كل يوم في بيت غير البيت الأول، بل في بيت الرفيق على التوالي فيتدارسون في الكتب التي وقعت بأيديهم، وهكذا يفعلون حتى النهاية على ما كان جارياً في سالف الزمن في أنديتهم ومجالسهم ومجتمعاتهم).

قال أبو عبد الرحمٰن: كل هذه النصوص ـ على علاتها ـ ذات إضافة جديدة إلى تاريخ الجزيرة.

وقال الدخيل[9]: (جاء في الجزء السابع من مجلة لغة العرب ٢/٣٢١ ذكر بلد البوعينين من الديار التي فيها غواصون، فسألني غير واحد عن السبب الذي[10] سميت بهذا الاسم، وإلى من تنسب، ومن هو هذا

---

(٩) مجلة لغة العرب ٢/٣٨٥ ـ ٣٨٧ س ٢ ج ٩ سنة ١٣٣١ هـ وسليمان الدخيل للدكتور محسن ص ٨٥ ـ ٨٧.

(١٠) أي: السبب الذي من أجله.

البوعينين، ولماذا سمي بهذا الاسم، فكتبت هذه الأسطر تلبية لطلب الأدباء المذكورين فأقول:

سميت بلد البوعينين بهذا الاسم لأن أول من احتل تلك الأرض من العرب كان يعرف بالبوعينين، وكان ذا شدة وبأس وصولة ومراس.

كان يطوي بساط أيامه في نحو سنة ١٢٠٠ هـ - ١٧٨٥ م وكان هذا الرجل على ما نقل من الأخبار أعمى، وقد قيل في سبب عماه أخبار مختلفة ترجع إلى ثلاثة وهي:

١ - ذهب بعضهم إلى أنه سمي بذلك لكونه ولد أكمه أي ولد أعمى العينين.

٢ - وقال آخرون كان له عينان أخريان فوق العينين الطبيعيتين لكنه ما كان يبصر بهما.

والإشارة في قولهم البوعينين، أي ذي عينين هي إلى هاتين الباصرتين الزائدتين.

وهذا ليس ببعيد فقد ذكر التاريخ مثل هذه الصورة الشاذة.

٣ - والرأي الثالث (وهو الأصح الأقرب إلى الصواب، وهو المشهور كل الشهرة على الألسنة) هو أن الرجل المذكور ولد بصيراً لكن سملهما (أي فقأهما بحديدة محماة) أحد أمراء العرب نكاية وتنكيلاً به، أو تعذيباً وانتقاماً، وذلك بعد أن قتل أبويه وإخوانه فاستحياه لهذه الغاية القاسية الظالمة.

ثم دالت الأيام فتقهقرت تلك الإمارة العربية فأصبح تابعوها أشبه بملوك الطوائف.

أما رؤساء العشائر والقبائل وما هم من قبيلهم فإنهم كانوا كالفوضى[١١] إلى أن ظهرت إمارة محمد بن الرشيد في السنين الأخيرة وحينئذ تغيرت

---

(١١) لو قال: كانوا فيما يشبه الفوضى لسلم من هذا الأسلوب العامي.

البلاد، وإن كان حكم هذا الأمير لم يعم الجزيرة كلها كما سنذكره في غير هذا الموطن إن ساعدت الفرص.

وبعد أن تقلص ظل سطوة تلك الإمارة أصبح البوعينين كبيراً في قومه نافذاً الكلمة موفقاً في أعماله وسياسته.

أما عشيرته فكانت فخذاً من أفخاذ قبائل العجمان التي تقطن في قطر، وقد جرت في أيامه محاربات جمة شديدة توفق فيها وحاز النصر على العشائر الأخرى التي كانت تناوؤه، ومنذ ذاك الحين أصبح بعيد الأمر والنهي نافذ الكلمة، وكان له سفن يغزو بها في خليج فارس، ويتعرض دائماً للسفن التجارية، فكان كأنه هو وأصحابه من القوم المعروفين بالقرصان: أي غزاة البحر، وفضلاً عن ذلك لعشيرته من الصولة في البر ما لا مثيل لها في تلك الأنحاء.

واتفق له ذات مرة أنه بينما كان يغزو في سفينته وهو في الخليج إذ أحاط به العدو إحاطة السوار بالمعصم، ولم يتمكن من الفرار لخلو ريح موافقة تسير سفينته، فلما رأى عدوه على قاب قوسين منه وأن لا مناص من الهلاك وأنه واقع في قبضة العدو لا محالة عمد إلى الذخيرة فأطلق عليها النار، وكانت المؤونة في السفينة التي كان فيها فاندفع لسان اللهيب إلى السفينة كلها وأحرقها وأحرق جميع السفن التي كانت وما عتمت أن أصبحت بعد هنيهة رماداً ذرته الريح أو فحماً طاف[١٢] على وجه الماء، ولم ينل عدوه منه مأرباً.

كانت هذه النكبة من أشد النكبات على هذه العشيرة فأفقرتها فاضطرت إلى أن تقيم في قطر وتتعيش كما تتعيش سائر العشائر: أي بالكد والكدح إلى أن تجمعت إمارة آل ثاني في قطر فخضعت تلك العشيرة المرزوءة للشيخ قاسم بن ثاني أمير قطر الحالي، وكان عددها قليلاً لا يزيد على ٤٠٠ رجل على الأكثر.

ولما قتل الشيخ أحمد بن ثاني سنة ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م في أثناء

---

(١٢) لعله يريد طفا.

القنص وكان سبب قتله ظنة في الأسرة نفسها، وكان الشيخ القتيل يستوفي هو بذاته زكاة العشيرة إذ كانت من جملة العشائر الخاضعة له لم تحد عن خضوعها للشيخ الذي وليه، بل ثبتت منقادة له بينما كانت تستطيع أن تفلت من أيديه، إلا أنه وقع في سنة ١٣٢٨ هـ حادث أوجب على الشيخ أن يؤدب العشيرة (هكذا روي الخبر).

فكان من نتيجة ذلك التأديب زيادة الزكاة أو الرسوم المضروبة هناك، فضجرت العشيرة من تلك المعاملة وظعنت إلى الجبيل بالتصغير (وهي جزيرة أو شبه جزيرة قريبة من قطر لا تبعد كثيراً عن البحرين، وهي على بعد بضع ساعات من كلا البلدين).

وقد آلوا على أنفسهم أن يعتمدوا عليها وينشئوا بين ظهرانيهم إمارة يقلدون أمرها أميراً يدبرهم ويكون سيدهم ويجعلون بيديه الحل والربط ففعلوا، ثم أخذوا يعنون بشؤون المعيشة بحيث أنهم يستغنون عمن ليس من قومهم فجمعوا أموالهم وسفنهم والتف بعضهم على بعض وتكاتفوا كل التكاتف فكان مجموع سفنهم في عام أول مئة.

ولا يخفى أن في السنة الماضية قد عالج الغياصة من لم يزاولها إلى ذلك العهد، فانهال عليها العرب من كل حدب وصوب (أي من الأحساء ونجد والعارض والقصيم فضلاً عن الزبير والبصرة) فإن غاصتها زادوا عدداً عن السنين السابقة حتى أن من ينعم النظر في عدد الغواص وعدد سفنهم لا يصدق بما يقال.

على أن الحقيقة هي كما تسمع بها.

هذا ما أعرفه عن بلدة البوعينين وعن منشئها وأخبارها وعن مبدأ أمر القبيلة، وعسى أني لم أخطىء فيما ذكرته والله أعلم.

قال أبو عبد الرحمن: هو لم يخطىء ولكنه أكثر الكذب، وهذا النص كله من أوله إلى آخره خيال من خيالات الدخيل رحمه الله منزوع الفائدة قليل الجدوى.

وهذه البلدة معروفة بعينين، وهي بلد خليد عينين الشاعر وقد سميت أخيراً بالجبيل[١٣].

قال أبو عبد الرحمن: اللهم صلِ وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين، وسلام على المرسلين.

صبح الإثنين ١٤١١/٥/٣٠ هـ

---

(١٣) انظر عنها معجم المنطقة الشرقية ٢/١٢٤٠ ـ ١٢٤٨.

١٢ ـ ثبت بالمراجع والمصادر

[إضافة إلى المصادر الشفوية... وهذا الثبت حسب حروف المعجم، ولا يعتد بكلمة كتاب، ولا بالألف واللام، ولا بجملة «رسالة في»]

١ ـ ابن السعود.
لمحمد صبيح.
ط م البيت الأخضر.

٢ ـ ابن سعود سيد نجد وملك الحجاز.
تأليف: كنت دليمز.
تعريب كامل صموئيل مسيحة.
ط. م الأدبية ببيروت سنة ١٣٥٢ هـ.

٣ ـ أبو علي الهجري.
لحمد الجاسر.
نشر دار اليمامة.

٤ ـ اكتشاف جزيرة العرب.
لجاكلين بيرين.
ترجمة قدري قلعجي.
نشر الفاخرية.

٥ ـ أحديات الخيل/ كراسات خطية.
للأمير محمد بن أحمد السديري.

٦ ـ أحسن القصص أو سيرة الملك عبد العزيز.
لخالد بن محمد الفرج.
لم تذكر هوية الطبعة.

٧ ـ الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية.
للدكتور محمد بن عبد الله بن سليمان السلمان.
ط م الوطنية للأوفست/ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ ـ ١٤٠٨ هـ.

٨ ـ الأدب الشعبي في جزيرة العرب.
لعبد الله بن خميس.
ط م الرياض عام ١٣٧٨ هـ.

٩ ـ الارتسامات اللطاف.
للأمير شكيب أرسلان.
تحقيق عبد الرزاق محمد سعيد حسن كمال.
نشر مكتبة المعارف بالطائف.

١٠ ـ إرشاد الطالب إلى أهم المطالب.
لسليمان بن سحمان.
ط م الرياض سنة ١٣٧٧ هـ.

١١ ـ الأزهار النادية من أشعار البادية.
جمع محمد سعيد كمال.
نشر مكتبة محمد سعيد كمال بالطائف ط م دار الكتاب العربي بالقاهرة.

١٢ ـ الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة.
لنور الدين علي بن محمد الملا القاري.
تحقيق محمد الصباغ.
ط دار القلم سنة ١٣٩١ هـ.

١٣ ـ الإكمال.
لابن ماكولا.
ط حيدر آباد الدكن.

١٤ ـ الأمكنة والجبال والمياه.
لجار الله الزمخشري.

تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي.
ط م السعدون ببغداد.

١٥ - أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء.
لأبي عبد الرحمٰن ابن عقيل الظاهري.
نشر دار اليمامة.

١٦ - كتاب الآداب.
لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي.
تحقيق عبد القدوس بن محمد نذير.
مكتبة الرياض الحديثة/ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ.

١٧ - آل سعود ماضيهم ومستقبلهم.
لجبران شامية.
رياض الريس ومشاركوه المحدودة.

١٨ - البحر المحيط.
لأثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف ابن حيان.
الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣ هـ دار الفكر.
وتصوير مطابع النصر الحديثة بالرياض.

١٩ - بعض المتشابه من القصائد الشعبية.
لأحمد بن فهد بن علي العريفي.
الطبعة الأولى سة ١٤٠٥ هـ ط م الفرزدق.

٢٠ - بلاد الجوف أو دومة الجندل.
لسعد بن عبد الله بن جنيدل.
ط م الأهلية للأوفست، نشر دار اليمامة.
الطبعة الأولى عام ١٤٠١ هـ.

٢١ - بلاد القصيم.
لمحمد بن ناصر العبودي.
نشر دار اليمامة الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩ هـ - ط م نهضة مصر،

وط م الأهلية للأوفست.

٢٢ ـ البادية.
لعبد الجبار الراوي.
الطبعة الثالثة.
(*) تاريخ ابن بشر (انظر عنوان المجد).
(*) تاريخ ابن ضويان (انظر رفع النقاب).

٢٣ ـ تاريخ الأحساء السياسي.
للدكور محمد عرابي نخلة.
نشر ذات السلاسل بالكويت سنة ١٤٠٠ هـ.

٢٤ ـ تاريخ آل ماضي.
لتركي بن محمد ابن ماضي.
ط م الشبكشي بالأزهر بمصر سنة ١٣٧٦ هـ.

٢٥ ـ تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد.
لإبراهيم بن صالح بن عيسى.
ط دار اليمامة عام ١٣٨٦ هـ.

٢٦ ـ تاريخ الدولة السعودية الثانية.
للدكتور عبد الفتاح حسن أبو علية.
دار المريخ/ ط م نهضة مصر.

٢٧ ـ تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين.
للدكـورة مديحـة أحمد درويش.
دار الشروق/ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠ هـ.

٢٨ ـ التاريخ السياسي للكويت في عهد مبارك.
تأليف ج. ج سلدانها.
تحقيق الدكتورة فتوح الخترش.

٢٩ ـ تاريخ الفاخري طبع باسم الأخبار النجدية.
لمحمد بن عمر الفاخري.

ط م جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٣٠ - تاريخ الكويت.
لعبد العزيز الرشيد.
نشر دار مكتبة الحياة سنة ١٩٧٨ م.

٣١ - تاريخ الكويت الحديث (١٧٥٠ - ١٩٦٥ م).
للدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة.
الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤ م.

٣٢ - تاريخ الكويت السياسي/ عصر الشيخ مبارك/ الجزء الثاني.
لحسين خلف الشيخ خزعل.
ط م دار الكتب ببيروت.

٣٣ - تاريخ ملوك آل سعود.
لسعود بن هذلول.
الطبعة الثانية سنة ١٤٠٢ هـ ط م المدينة.

٣٤ - تاريخ المنقور.
لأحمد بن محمد المنقور.
تحقيق الدكتور عبد العزيز الخويطر.
الطبعة الأولى عام ١٣٩٠ هـ ط م زنكوغراف مؤسسة الجزيرة - الرياض - الناصرية.

٣٥ - تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية.
لعبد الله فلبي.
ترجمة عمر الديراوي.
نشر المكتبة الأهلية ببيروت.

٣٦ - تاريخ نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز.
لأمين الريحاني.
الطبعة الخامسة سنة ١٩٨١ م/ نشر الفاخرية بالرياض.

٣٧ - تاريخ اليمامة.

لعبد الله ابن خميس.
ط م الفرزدق.

٣٨ ـ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه.
للحافظ ابن حجر العسقلاني.
تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد علي النجار.
نشر المؤسسة المصرية ـ ط دار القومية.

٣٩ ـ تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق.
لعبد الله بن محمد بن عبد العزيز آل بسام.
صورة لنسخة خطية بخط نور الدين شريبة عن الأصل لدى ورثة المؤلف.
[حصلت على هذه الصورة من الشيخ حمد الجاسر، ومن الدكتور عبد الله العثيمين].

٤٠ ـ تذكرة أولي النهى والعرفان.
لإبراهيم بن عبيد بن عبد المحسن.
الطبعة الأولى ـ ط م مؤسسة الرسالة.

٤١ ـ تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير.
لابن حجر العسقلاني.
ط شركة الطباعة الفنية المتحدة بالقاهرة.

٤٢ ـ تاج العروس من جواهر القاموس.
لمحب الدين أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني الزبيدي.
مصورة عن طبعة بولاق الطبعة الأولى سنة ١٣٠٦ هـ تصوير دار مكتبة الحياة.

٤٣ ـ التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية.
للواء محمد مختار باشا.
المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠ هـ.

٤٤ ـ جريدة الجزيرة.

٤٥ ـ جريدة الرياض.
٤٦ ـ جريدة الشرق الأوسط.
٤٧ ـ جريدة المسلمون.
٤٨ ـ جريدة الندوة.
٤٩ ـ جزيرة العرب في القرن العشرين لحافظ وهبة.
الطبعة الرابعة سنة ١٩٦١ م مكتبة النهضة المصرية.
٥٠ ـ جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد.
للشيخ حمد الجاسر.
الطبعة الأولى عام ١٤٠١ هـ ـ ط م نهضة مصر.
نشر دار اليمامة.
٥١ ـ الجواب الغائض لأرباب القول الرائض.
لسليمان بن سحمان.
صورة نسخة خطية بجامعة الملك سعود بخط الربيعي.
٥٢ ـ حداء الخيل.
لأحمد بن فهد العلي العريفي.
الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩ هـ/ط م الفرزدق.
٥٣ ـ حوطة سدير بين الأمس واليوم.
لعبد الله بن عبد الكريم المعجل.
ضمن سلسلة هذه بلادنا التي تصدرها الرئاسة العامة لرعاية الشباب.
٥٤ ـ الحويطات من كبرى القبائل.
لعدنان عطار.
٥٥ ـ خيار ما يلتقط من الشعر النبط.
جمع عبد الله بن خالد الحاتم.
ط م العمومية بدمشق/ الطبعة الثانية ـ عام ١٣٨٧ هـ.
٥٦ ـ دائرة المعارف.
للمعلم بطرس البستاني.

دار المعرفة ببيروت.

٥٧ - دائرة المعارف الإسلامية.
لعدد من المستشرقين.
عربها محمد ثابت الفندي وزملاؤه.

٥٨ - الدرر الذهبية في أصول أبناء الأمة العربية.
لمحمد أحمد عيد الهاشمي.
ط م حسان بالقاهرة.

٥٩ - الدرر السنية في الأجوبة النجدية.
جمع الشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم.
الطبعة الثانية/ من مطبوعات دار الإفتاء بالمملكة.

٦٠ - دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر.
للدكتور عبد الفتاح حسن أبو علية.
دار المريخ بالرياض.

٦١ - دراسة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر.
للدكتور عبد الفتاح حسن أبو علية.
الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩/ دار المريخ/ دار الجيل للطباعة بالقاهرة.

٦٢ - دليل الخليج.
تأليف ج. ج لوريمر.
ط م علي بن علي بالدوحة على نفقة آل ثاني.

٦٣ - الدولة العربية الكبرى.
لمحمود كامل المحامي.
دار المعارف بمصر.

٦٤ - ديوان ابن سحمان.
لسليمان بن سحمان.
طبع بالهند.

٦٥ ـ ديوان الشعر العامي بلجهة أهل نجد/ تاريخ نجد في عصور العامية.
لأبي عبد الرحمٰن ابن عقيل الظاهري.
نشرته دار العلوم بالرياض الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢ هـ ـ ١٤٠٦ هـ.

٦٦ ـ الذكرى العربية الذهبية.
لعبد الله فلبي.
ترجمة الدكتور مصطفى كمال فايد.
ط م الاعتماد بمصر.

٦٧ ـ رحلة إلى بلاد نجد.
تأليف الليدي آن بلنت.
ترجمة محمد أنعم غالب.
نشر دار اليمامة ـ الطبعة الثانية عام ١٣٨٩ هـ.

٦٨ ـ رحلات في بلاد العرب شمال الحجاز والأردن.
لعاتق بن غيث البلادي.
دار المجمع العلمي بجدة.

٦٩ ـ الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية.
للدكتور روبن بدول.
ترجمة الدكتور عبد الله آدم نصيف.
طبع سنة ١٤٠٩ هـ.

٧٠ ـ الرد على ابن عمرو.
لسليمان بن سحمان.
صورة مسودة خطية عند آل سحمان.

٧١ ـ رسالة في تقريظ رد ابن سحمان على ابن بطي.
للشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ.
مخطوطة بجامعة الملك سعود.

٧٢ ـ رفع النقاب (أو تاريخ ابن ضويان).
للشيخ إبراهيم بن محمد ابن ضويان.
صورة لنسخة خطية بخط الشيخ منصور بن عبد العزيز الرشيد.

٧٣ ـ راشد الخلاوي.
لعبد الله ابن خميس.
نشر دار اليمامة عام ١٣٩٢ هـ.

٧٤ ـ روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين.
لمحمد بن عثمان بن صالح القاضي.
ط م الحلبي الأولى عام ١٤٠٠ هـ.

٧٥ ـ الزبير قبل خمسين عاماً مع نبذة تاريخية عن الكويت.
ليوسف حمد البسام.
ط م العصرية بالكويت عام ١٣٩١ هـ.

٧٦ ـ السعوديون والحل الإسلامي.
لمحمد جلال كشك.
الطبعة الأولى سنة ١٤٠١ هـ/ ط شركة مودي جرادفيك بلندن.

٧٧ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة.
لمحمد ناصر الدين الألباني.
المكتب الإسلامي/ الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٨ هـ.

٧٨ ـ شبه جزيرة العرب في عهد الملك عبد العزيز.
لخير الدين الزركلي.
الطبعة الأولى سنة ١٣٩٠ هـ.

٧٩ ـ شمال المملكة.
للشيخ حمد الجاسر.
نشر دار اليمامة/ الطبعة الأولى سنة ١٣٩٧ هـ.
ط. م العربية الحديثة.

٨٠ ـ الصحفي السياسي المؤرخ النجدي سليمان بن صالح الدخيل.

للدكتور محسن عياض عجيل.
الطبعة الأولى سنة ١٤٠١ هـ.

٨١ ـ الطريق إلى الإسلام.
لمحمد أسد.
دار العلم للملايين.

٨٢ ـ عبد العزيز في التاريخ (تاريخ وأدب).
للشيخ حمد بن إبراهيم الحقيل.
الطبعة الأولى سنة ١٣٨٨ هـ ط مؤسسة المعارف ببيروت.

٨٣ ـ عشائر العراق.
للمحامي عباس العزاوي.
ط م شركة التجارة والطباعة عام ١٣٧٤ هـ.

٨٤ ـ علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم.
لصالح بن سليمان المحمد العمري.
الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ ط م الإشعاع بالرياض.

٨٥ ـ علماء نجد خلال ستة قرون.
لعبد الله بن عبد الرحمٰن البسام.
ط م النهضة الحديثة عام ١٣٩٨ هـ.

٨٦ ـ العلاقات بين نجد والكويت ١٣١٩ ـ ١٣٤١ هـ.
لخالد محمود السعدون.
نشر دارة الملك عبد العزيز سنة ١٤٠٣ هـ.

٨٧ ـ عنوان السعد والمجد.
لعبد الرحمن بن ناصر.
صورة للنسخة الخطية.

٨٨ ـ عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد.
لإبراهيم فصيح الحيدري.
/ط م دار البصري.

٨٩ ـ عنوان المجد في تاريخ نجد.
لعثمان بن عبد الله ابن بشر.
تحقيق عبد الرحمٰن بن عبد اللطيف آل الشيخ.
نشر دارة الملك عبد العزيز الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٢ ـ ١٤٠٣ هـ
ط م دار الهلال للأوفست.

٩٠ ـ العنيزية.
لعبد العزيز بن محمد القاضي.
ط م الصباح ببغداد سنة ١٣٦١ هـ.

٩١ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري.
للحافظ ابن حجر العسقلاني.
بتحقيق عدد من العلماء.
ط م السلفية الطبعة الثانية سنة ١٤٠٠ هـ.

٩٢ ـ في شمال غرب الجزيرة.
لحمد الجاسر.
ط م دار اليمامة عام ١٣٩٠ هـ.

٩٣ ـ القبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين.
لمصطفى مراد الدباغ.
ط دار الطليعة ببيروت عام ١٣٩٩ هـ.

٩٤ ـ القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد.
لسليمان بن صالح الدخيل.
حرره وديع البستاني.
طبع بآخر نبذة تاريخية عن نجد لضاري بن فهيد الرشيد.
نشر دار اليمامة ط م نهضة مصر.

٩٥ ـ قاموس العادات. اللهجات والأوابد الأردنية.
لروكس بن زائد العزيزي.
ط م القوات المسلحة الأردنية سنة ١٩٧٣ م.

٩٦ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس.
دار إحياء التراث العربي ببيروت/ الطبعة الثانية سنة ١٣٥١ هـ.

٩٧ ـ كنز الأنساب ومجمع الآداب.
لحمد بن إبراهيم الحقيل.
الطبعة الحادية عشرة سنة ١٤٠٨ هـ ط م الفرزدق التجارية بالرياض.

٩٨ ـ لباب الأفكار في غرائب الأشعار.
لمحمد ابن يحيى.
صورة من نسخة خطية بخط المؤلف.

٩٩ ـ ليلة المصمك.
ليوسف إبراهيم يزبك.
طبع سنة ١٩٥٣ م.

١٠٠ـ مجلة التوباد.

١٠١ ـ مجلة العرب.

١٠٢ ـ مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية.

١٠٣ ـ مجلة لغة العرب.

١٠٤ ـ مجلة مركز البحوث/ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٠٥ ـ مجموعة الرسائل والمسائل النجدية.
ط م المنار عام ١٣٤٩ هـ.

١٠٦ ـ مجموعة رسائل وفتاوى.

١٠٧ ـ مجموعتا الكرملي والدخيل.
صورة من النسخة الخطية بالمتحف العراقي.

١٠٨ ـ ملحمة عيد الرياض.
لبولس سلامة.
ط م القوات المسلحة بالرياض.

١٠٩ ـ مسيرة إلى قبائل الحجاز.
لجابر جليل المانع.
ط م حداد بالبصرة سنة ١٩٧١ م.

١١٠ ـ مشاهير علماء نجد وغيرهم.
لعبد الرحمٰن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ.
الطبعة الثانية سنة ١٣٩٤ هـ إشراف دار اليمامة.

١١١ ـ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر.
لحمد الجاسر.
نشر دار اليمامة.

١١٢ ـ معجم قبائل الحجاز.
لعاتق بن غيث البلادي.
دار مكة للنشر والتوزيع.

١١٣ ـ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة.
لعمر رضا كحالة.
ط مؤسسة الرسالة ببيروت.

١١٤ ـ معجم قبائل المملكة العربية السعودية.
للشيخ حمد الجاسر.
نشر النادي الأدبي بالرياض ـ ط م الأهلية للأوفست بالرياض.

١١٥ ـ المعجم الكبير.
لأبي القاسم الطبراني.
تحقيق الدكتور حمدي عبد المجيد السلفي.
ط الدار العربية للطباعة ببغداد/ الطبعة الأولى.

١١٦ ـ معجم اليمامة (المعجم الجغرافي للملكة العربية السعودية).
ط م الفرزدق الطبعة الأولى عام ١٣٩٨ هـ.

١١٧ ـ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة.
لشمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمان السخاوي.

تحقيق عبد الله محمد الصديق.
دار الكتب العلمية ببيروت الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩ هـ.

١١٨ ـ الملك عبد العزيز والمملكة العربية السعودية/ المنهج القويم في الفكر والعمل.
للدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي.
نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٩٨٥ م.

١١٩ ـ من أشعار الدواسر.
لمحبوب بن سعد بن مدوس الفصام الدوسري.
تحقيق أبي عبد الرحمٰن ابن عقيل الظاهري.
الطبعة الأولى سنة ١٤١٠ هـ ط من الشريف.

١٢٠ ـ من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية/ الجزء الأول.
لمنديل بن محمد إل فهيد.
الطبعة الثانية (وفيها زيادة) سنة ١٤٠٤ هـ ط م الفرزدق.

١٢١ ـ المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب.
لعبد الرحمٰن بن حمد بن زيد المغيري.
الطبعة الثانية عام ١٣٨٤ هـ ط المكتب الإسلامي بدمشق.

١٢٢ ـ من تاريخ الكويت.
لسيف مرزوق الشملان.
نشر ذات السلاسل بالكويت/ الطبعة الثانية سنة ١٤٠٦ هـ.

١٢٣ ـ من شعر النبط.
صدر عن ديوانية شعراء النبط في الكويت.

١٢٤ ـ من شيم الملك عبد العزيز.
لفهد المارك.
الطبعة الثانية ـ عام ١٤٠٠ هـ.

١٢٥ ـ المنطقة الشرقية (البحرين قديماً).
لحمد الجاسر.
نشر دار اليمامة/ الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩ هـ.

١٢٦ ـ من عيون الشعر النبطي.
لعبد اللطيف السعود أبا بطين.
ط م الفرزدق.

١٢٧ ـ موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف.
لأبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول.
عالم التراث ببيروت سنة ١٤٠٠ هـ.

١٢٨ ـ منهاج أهل الحق والأتباع في مخالفة أهل الجهل والإبتداع.
لسليمان بن سحمان.
ط م المنار سة ١٣٤٠ هـ.

١٢٩ ـ نبذة تاريخية عن نجد.
للأمير ضاري بن فهيد الرشيد.
نشر دار اليمامة/ ط م نهضة مصر.

١٣٠ ـ نشأة إمارة آل رشيد.
للدكتور عبد الله الصالح العثيمين.
نشر عمادة شؤون المكتبات بجامعة الرياض ـ ط م الشرق الأوسط ـ الطبعة الأولى عام ١٤٠١ هـ.

١٣١ ـ نيل الأوطار شرح منتقى الأخيار.
لمحمد بن علي الشوكاني.
ط م الحلبي/ الطبعة الثانية سنة ١٣٧١ هـ.

١٣٢ ـ الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز.
لخير الدين الزركلي.
دار العلم للملايين ببيروت/ الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٧ م ط م الشركة العامة للطباعة بيزل ببيروت.

١٣٣ ـ وفيات الأعيان.
لابن خلكان.
تحقيق الدكتور إحسان عباس.

١٣ - فهرس تفصيلي

* * *

اسم الموضوع	رقم الصفحة
- الطموح العربي فيما بين ١٩٥٦ - ١٩٦٧ م، وتقسيم هموم الجماهير إلى ثلاثة مشاعر.	٢٦ - ٣١
- الطموح العربي من خلال الملك عبد العزيز، وإنجازه في حدود ظروفه وقدرة رعيته، وخلال ذلك الحديث عن مواهبه.	٣١ - ٣٧
- التحرج من عبارات المرحوم، والمغفور له.	٣٧ - ٣٨
بطاقة عن الملك عبد العزيز.	٣٨ - ٤٠
- عبد العزيز والشعر.	٤٠ - ٤٧
- من أحديات الملك عبد العزيز.	٤٣ - ٤٧

* * *

اسم الموضوع	رقم الصفحة
٣ - من تاريخنا الثقافي:	٤٨ - ١١٩
- أسباب سقوط الدولة السعودية الأولى.	٤٨ - ٤٩
- مواقف العلماء السياسية بعد كارثة محمد علي.	٤٩ - ٥٠
- تزمت أنصاف المتعلمين من أمثال ابن بطي رحمه الله وآثارهم، وردود العلماء عليهم وتحذيرهم منهم.	٥٠
- ترجمة الشيخ محمد بن عبد اللطيف (حاشية).	٥٢ - ٥٤
- دور ابن سحمان في المعركة العلمية.	٥١ - ٥٢
- دور ابن بطي.	٥٢ - ٥٤
- تقريظ المشايخ لابن سحمان في رده على ابن بطي.	٥٢ - ٥٨
- إفادات عن ابن بطي.	٥٨
- رسائل للعلماء يظهر أنها رد على ابن بطي.	٧٣
- تقريظ المشايخ لابن سحمان في رده على ابن بطي حول القصيدة الميمية التي مدح بها ابن سحمان محمد ابن رشيد، وردهم عليه حول الهجرة ولبس العمامة.	٥٨ - ٦٨
- رد ابن سحمان على ابن بطي، ونص قصيدته الميمية.	٦٨ - ٧٠
- الخلاف بين صالح السالم البنيان وعيسى الملاحي وقضاء ابن سحمان بينهما بالقصيدة اللامية.	٧١ - ٧٣

اسم الموضوع	رقم الصفحة
- معركة لبس العمامة بين ابن بطي وخصومه.	٧٣ - ٨٠
- تخريج الأحاديث في لبس العمامة.	٧٥
- كان الشيخ حسين بن محمد بن عبد الوهاب يلبس العمامة ويراها سنة.	٧٦
- العمامة لباس العرب، وما ورد فيها من الشعر.	٧٦ - ٧٨
- فتوى العلماء في لبس العمامة.	٧٨ - ٨١
- الخلاف بين ابن سحمان وابن عمرو، وقصيدة ابن سحمان الرائية.	٨١ - ١١٩
- ترجمة الشيخ ابن جاسر.	٨٢ - ٩٣
- ترجمة الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف (حاشية).	٩٥ -
- ترجمة الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن (حاشية).	٩٧ - ١٠٣
- ترجمة ابن عمرو.	١١٧ - ١١٩

* * *

اسم الموضوع	رقم الصفحة
٤ - بين معركة الصريف وحصار الرياض الأول سنة ١٣١٨ هـ:	١٢٠ - ١٩٥
- بواعث الكتابة عن هذا الموضوع.	١٢٠ - ١٢١
- الاختلاف الكثير في جزئيات معركة الصريف.	١٢١
- مجالس الكبراء التاريخية.	١٢١ - ١٢٢
- كتاب العلاقة بين نجد والكويت لخالد السعدون أحفل كتاب بتفصيل أحداث الحملة تاريخياً، وإيجاز تفصيلاته.	١٢٢ - ١٢٣
- قبول الوثائق للنقد والتمحيص، وذكر نماذج من أخطاء تقرير وكيل الأنباء المقيم في الكويت.	١٢٣
- بواعث ذهاب عبد العزيز لحصار الرياض، والقول بأن حصاره للرياض عن اتفاق بين زعماء الحملة وليس توجيهاً من مبارك.	١٢٤
- كلام المؤرخ عبد العزيز الرشيد عن جيش مبارك الصباح.	١٢٥ - ١٢٦
- لماذا صاحب آل سعود وأهل القصيم حملة مبارك؟.	١٢٤

اسم الموضوع	رقم الصفحة

اسم الموضوع — رقم الصفحة

اسم الموضوع	رقم الصفحة

اسم الموضوع	رقم الصفحة
- قصيدة حمود الرشيد على قافيتي الدال واللام بوصل الهاء في الأخيرة.	١٩٢
- تقريظ منصور العمير لقصيدة حمود بقصيدة على وزنها ورويها.	١٩٢
- من قصيدة راشد العبيد على قافية الراء.	
- من شعراء الصريف عودة بن سحمان.	١٩٣
- من يائية الذعيليق.	١٩٣
- من شعراء الصريف سليمان المنيع.	١٩٣
- من قصيدة سليمان الصميع على قافيتي النون والعين.	١٩٣
- من شعراء الصريف هضال بن ذرية.	١٩٣
- من عرضة مفضي العبد العزيز على قافيتي اللام والباء فيهما.	١٩٣
- تحقيق الخلاف حول علم ابن رشيد بحملة مبارك قبل المعركة أو عدم علمه.	
- حول وصية محمد ابن رشيد لابن أخيه عبد العزيز بن متعب.	١٩٥

* * *

اسم الموضوع	رقم الصفحة
٥ - رحلة بلجريف رواية أدبية مادتها التاريخ:	١٩٦ - ٢١٢
- الاحتمالات حول دعوى بلجريف أنه زار جزيرة العرب.	١٩٦
- أكذوبة بلجريف على الإمام عبد الله بن فيصل وأنه طلب منه سما لأخيه سعود بن فيصل.	١٩٦ -
- معنى الهوصار (حاشية).	١٩٦
- الفرق بين الرواية الأدبية الواقعية والتاريخ الواقعي.	١٩٨
- عنصران واقعيان لأكذوبة بلجريف.	١٩٨ - ١٩٩
- البراهين على كذب دعوى بلجريف.	١٩٩ - ٢٠٠
- الزعم بأن بلجريف انتدب من قبل فرنسا لتقوية أطماع آل رشيد.	٢٠١

* * *

* * *

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

من منشورات
مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام - توزيع دار الكتاب السعودي
الرياض ص . ب: ٤٢٢٤٨ رمز ١١٥٤١
ت وفاكس: ٢٣٠٤٢١٣

(١) من تاريخنا ـ محمد سعيد العامودي ـ الطبعة الثالثة.
(٢) الشعر في البلاد السعودية في الغابر والحاضر ـ أبو عبالرحمن بن عقيل الظاهري ـ الطبعة الثانية.
(٣) الدين ضرورة حياة الإنسان ـ عبدالكريم الخطيب ـ الطبعة الأولى.
(٤) منهج الإسلام في تربية الجندي المسلم ـ الدكتور محمد إبراهيم نصر ـ الطبعة الأولى.
(٥) الصنوبري، شاعر الطبيعة في العصر العباسي ـ صالح عبدالله التويجري ـ الطبعة الأولى.
(٦) الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي انلبلاد السعودية ١١١٥هـ / ١٣٥١هـ، ـ عبدالله محمد أبو داهش ـ الطبعة الأولى.
(٧) شعراء ينبع وبنو ضمرة ـ عبدالكريم محمود الخطيب ـ الطبعة الأولى.
(٨) موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء المعري ـ الدكتور زهدي صبري الخواجا ـ الطبعة الأولى.
(٩) حلم في نجد ـ الشيخ على الطنطاوي ـ الطبعة الأولى.
(١٠) من نبع القرآن ـ الدكتور محمد رجب بيومي ـ الطبعة الأولى.
(١١) فاتنة الخورنق ـ الدكتور محمد رجب بيومي ـ الطبعة الأولى.
(١٢) وجوه من الريف ـ حجاب يحيى الحازمي ـ الطبعة الثالثة.
(١٣) في الأدب السعودي ـ الدكتور يوسف نوفل ـ الطبعة الأولى.
(١٤) مفكرون في السعودية ـ الدكتور يوسف نوفل ـ الطبعة الأولى.
(١٥) أجيال ضد الماركسية ـ علاء الدين وحيد ـ الطبعة الأولى.
(١٦) الاعتبار ـ أسامة بن منقذ ـ تحقيق الدكتور قاسم السامرائي ـ الطبعة الأولى.
(١٧) حصاد الدمع ـ شعر ـ الدكتور محمد رجب البيومي ـ الطبعة الثانية.
(١٨) شعر الدعوة الإسلامية في عصر النبوّة والخلفاء الراشدين ـ جمع وتحقيق عبدالله الحامد ـ الطبعة الثانية.
(١٩) سدّ باب الاجتهاد وما ترتب عليه ـ عبدالكريم الخطيب ـ الطبعة الأولى.
(٢٠) القصص القرآني ـ عبدالكريم الخطيب ـ الطبعة الأولى.
(٢١) فلسطين والمواقف العربية والدولية ـ إبراهيم المسلم ـ الطبعة الأولى.
(٢٢) القضية الفلسطينية ودور الملك عبدالعزيز آل سعود ـ إبراهيم المسلم ـ الطبعة الأولى.
(٢٣) العقيلات ـ إبراهيم المسلم ـ الطبعة الأولى.
(٢٤) أحمد حسن الزيات بين البلاغة والنقد الأدبي ـ د. محمد رجب البيّومي ـ الطبعة الأولى.
(٢٥) الخيل والفروسية في الإسلام، وبه فصل خاص عن الخيل في المملكة العربية السعودية ـ د. محمد إبراهيم نصر ـ الطبعة الأولى.
(٢٦) تاريخ ينبع ـ عبدالكريم محمود الخطيب ـ الطبعة الأولى.

(٢٧) الجبل الأسود ـ قصة الدكتور محمد رجب البيوّمي ـ الطبعة الأولى.
(٢٨) المعارك الأدبية بين زكي مبارك ومعاصريه ـ محمد جاد البنّا ـ الطبعة الأولى.
(٢٩) الفستان والرصاص ـ قصص إسلامي ـ محمد جاد البنّا ـ الطبعة الأولى.
(٣٠) قراءة في واقع الخريطة الإسلامية ـ محمد جاد البنّا ـ الطبعة الأولى.
(٣١) فتى العرب ـ قصة ـ الدكتور محمد رجب البيوّمي ـ الطبعة الأولى.
(٣٢) سلسلة قصص أدبية ـ تراثنا العربي ـ إبراهيم المسلم ـ الطبعة الأولى.
(٣٣) الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين ـ الدكتور عبدالله الحامد ـ الطبعة الثانية.
(٣٤) في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية ـ الدكتور عبدالله الحامد ـ الطبعة الثانية.
(٣٥) الشعر في ظلال دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ الدكتور عبدالله الحامد ـ الطبعة الثانية.
(٣٦) الشعر الإسلامي في صدر الإسلام ـ الدكتور عبدالله الحامد ـ الطبعة الثانية.
(٣٧) يوم المجد ـ قصص إسلامي ـ الدكتور رجب البيوّمي ـ الطبعة الأولى.
(٣٨) شجرة الليمون ـ مجموعة قصصية ـ عبدالكريم الخطيب ـ الطبعة الأولى.
(٣٩) دجال القرية ـ قصة الدكتور محمد رجب البيومي ـ الطبعة الأولى.
(٤٠) رسالة التلاوة أو تلاوة القرآن الكريم ـ محمد الحسيني ـ الطبعة الأولى.
(٤١) قطرة الماء/ قصة تربوية / د. محمد إبراهيم نصر/ الطبعة الثانية.
(٤٢) المطر والنهر / قصة تربوية / د. محمد ابراهيم نصر/ الطبعة الثانية.
(٤٣) حبة الرمل / قصة تربوية / د. محمد إبراهيم نصر / الطبعة الأولى.
(٤٤) الهمة العالية / قصة عربية / د. محمد رجب البيومي / الطبعة الأولى.
(٤٥) اللغة بين الفرد والمجتمع/ جسبرسن/ ترجمة الدكتور عبدالرحمن أيوب ـ ط. ٢.
(٤٦) النظم الشفوي في الشعر الجاهلي/ ترجمة د. فضل بن عمار العماري/ الطبعة الأولى.
(٤٧) وجه في الزحام / قصة / عبدالكريم الخطيب / الطبعة الأولى.
(٤٨) نهاية سعيدة / قصة / د. محمد رجب بيومي / الطبعة الأولى.
(٤٩) مؤمراة فاشلة / قصة / د. محمد رجب بيومي / الطبعة الأولى.
(٥٠) إلى الأندلس / قصة / د. محمد رجب بيومي / الطبعة الأولى.
(٥١) القربان وقصص أخرى / مجموعة قصصية / د. حماده ابراهيم / الطبعة الأولى.
(٥٢) في مواجهة الموت وقصص أخرى / مجموعة قصصية / د. حماده إبراهيم/ ط. ١.
(٥٣) تأملات في العقل والسلوك / محمد بن إبراهيم التويجري / الطبعة الأولى.
(٥٤) حياتنا في الميزان ـ محمد بن إبراهيم التويجري ـ الطبعة الأولى.
(٥٥) محمد العلي العرفج ـ حياته وشعره ـ محمد بن عبدالعزيز بن عبدالكريم ـ ط. ١
(٥٦) الإعلام بمناقب الإسلام ـ أبو الحسن العامري ـ تحقيق د. أحمد عبدالحميد غراب ـ الطبعة الأولى.
(٥٧) رؤية إسلامية للاستشراق ـ د. أحمد عبدالحميد غراب ـ الطبعة الأولى.
(٥٨) البيان القصصي في القرآن الكريم ـ د. إبراهيم عوضين ـ ط. ١.
(٥٩) الالتزام الإسلامي في الشعر ـ ناصر الخنين ـ ط. ١.
(٦٠) مشكلات الشباب والمنهج الإسلامي في علاجها ـ وليد شبير ـ ط. ١.
(٦١) الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية - د/ عبدالله الحامد / الطبعة الثانية.
(٦٢) مختصر الفقه الإسلامي ، محمد بن ابراهيم التويجري، الطبعة الثانية.
(٦٣) مختصر سيرة الرسول ﷺ. الشيخ محمد بن عبد الوهاب . ط ١٤١٣هـ.
(٦٤) الشباب والمستقبل. محمد بن إبراهيم التويجري. الطبعة الأولى.

(٦٥) مدير المدرسة ـ د. عبد الحليم العبد اللطيف ـ الطبعة الأولى.
(٦٦) مسائل من تاريخ الجزيرة العربية ـ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهرية ـ عدة طبعات
(٦٧) الجدول الدوري للعناصر ـ يوسف العريني ـ الطبعة الأولى.
(٦٨) الجدول الدوري للعناصر ـ خالد الواصل ـ الطبعة الأولى.
(٦٩) خزانة المعلومات الإسلامية ـ حسن ملا عثمان ـ الطبعة الأولى.
(٧٠) روائع المعلومات الإسلامية ـ حسن ملا عثمان ـ الطبعة الأولى.
(٧١) ذخائر المعلومات الإسلامية ـ حسن ملا عثمان ـ الطبعة الأولى.
(٧٢) كنوز المعلومات الإسلامية ـ حسن ملا عثمان ـ الطبعة الأولى.
(٧٣) سؤال وجواب في الثقافة والمعلومات الإسلامية ـ حسن ملا عثمان ـ الطبعة الأولى.
(٧٤) صندوق المعلومات الشعبية والشعر النبطي ـ محمد بن عبد العزيز العنزي ـ الطبعة الأولى.
(٧٥) أبا العلاء هجر الركب من عناء الطريق ـ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري ـ الطبعة الأولى.
(٧٦) خاطرات أرقني سراها ـ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري ـ الطبعة الأولى.